محمد فريد وجدى

رائد التوفيق بين العلم والدين

تأليف

أنور الجندى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٤

العلامة فريد وجدى

ملامح شخصيته

نحن ازاء شخصية خصبة ، غاية الخصوبة ، عميقة غاية العمق ⋅⋅ شخصية مفكر وفيلسوف وباحث متجرد لفكرة واحدة عاش لها حياته كلها ، وما أطولها بعيدا عن مجالات الشهرة والتألق، أو احداث الدوى ، كأنما هو زاهد ، لا يتطلع الى أى شىء فى هذه الحياة ، غير أمر واحد ، هو أن يقول كلمته ، انه من النماذج القلائل التى تظهر فى تاريخ الفكر الانسانى ، بين آن وآخر ⋅⋅ لتكون مهيأة بالعقل والقلم على أداء دور كبير ؛ ليس على مسرح الحياة وانما فى أعماقها ⋅⋅ من أولئك القادرين على استيعاب مفاهيم عصرهم من أجل الدفاع عن دعوة انسانية رفيعة يحملون لواءها مدى حياتهم ⋅⋅ لا يصيبهم اليأس ولا التحول ، ولا تزيدهم الأيام والأحداث الا قوة على الاستمرار ، فكأنما هذه الحياة عندهم مجرى طويل ممتد ، يبدأ أول أمره عاديا لا يلفت النظر ، ثم لا يلبث أن يزداد عمقا ، ولا يزال يمتد ويتسع ويعمق ، حتى اذا أوفى على الغاية اكتمل وتضخم ، وأحال كل ما حوله خصبا وحياة ⋅

كذلك كانت حياة (فريد وجدى) فى مطلعها قبل أن ينتهى القرن الماضى بخمس سنوات ٠٠ شاب فى العشرين من عمره ، ولد فى الاسكندرية ، وتنقل بينها وبين دمياط ، ثم استقر فى السويس مع والده الذى كان يلى منصب وكيل المحافظة بها ٠٠ وقد أكمل تعليمه فى مكتبة والده متفوقا فى اللغة الفرنسية ٠٠ وقارئا بها ، مازجا ذلك بثقافة عربية اسلامية أصيلة قوامها دراسات الأدب والعلوم والفقه والتاريخ والسنة والشرائع والقرآن ، موجها قلمه الى قضية عصره ، مواجها تحديات الفلسفة المادية ، داعيا الى الايمان بالأديان ، مقدما الى أهل عصره عصارة الثقافات القديمة والمستحدثة ، الشرقية والغربية على السواء ، من أجل بناء ثقافة عربية اسلامية عصرية ، وكان قمة عمله فى هذا « دائرة معارف القرن العشرين » ٠

وتجرى حياة (فريد وجدى) الطويلة العميقة التى امتدت قرابة الثمانين عاما من الأعوام على أرجح الأقوال فى أربع مراحل كبرى :

١ – مرحلة بناء الشخصية

٢ – العمل الصحفى الوطنى

٣ – الموسوعة والأعمال الكبرى

٤ – الصحافة الاسلامية ومجلة الأزهر

١ – أما فى المرحلة الأولى فقد أخذ (فريد وجدى) يكتب رسائله التى تتناول الكون واثبات وجود الله ، وتطبيق الديانة الاسلامية على النواميس الحديثة ، وفى هذه المرحلة أصدر عددا من المؤلفات ، كما أصدر مجلة «الحياة» التى كان يضمنها هذه الأبحاث على هيئة مقالات ، ثم يعود فيصدرها فى مؤلفات .

وتتسم هذه المرحلة بوضوح الفكرة ، وعذوبة الأسلوب ، والقدرة على الأداء فى مجال الدراسات الروحية والدينية والاسلامية على نحو عصرى ، يختلف اختلافا واضحا عما كان عليه أسلوب الكتاب فى اللغة العربية فى هذه المجالات ، ولقد أفاد من طريقة (الشيخ محمد عبده) (١) ومنهجه فى فهم الاسلام ، وزاد أنه استطاع أن يستشهد بما يقف عليه من كتابات الغربيين لما يذهب اليه من وجود الخالق ، وفضل العرب والمسلمين على الحضارة الحديثة ٠

غير أنه فى نهاية هذه المرحلة أخذ نفسه بعملين موسوعيين كانا علامة على طريقه فيما بعد ؛ ذلك هو كتابه « كنز العلوم واللغة » الذى أصدره عام ١٩٠٥ وحشد فيه فنونا من عصارات الآداب والعلوم والفنون والفلسفات ألتى تضمنتها الموسوعات ، واستفاد فى اعداده من الموسوعات العربية القديمة و « دائرة معارف لاروس » ، ثم كتابه « صفوة العرفان فى تفسير القرآن » وهو تفسير مختصر للقرآن يشرح على كل صفحة منه كلماته ومعانيه فى ايجاز ويسر ٠

٢ – ثم لم يلبث (فريد وجدى) أن انتقل الى المرحلة الثانية وهى العمل الصحفى الوطنى وذلك بانشائه عام ١٩٠٧ جريدة « الدستور » التى عاشت بضع سنوات وتوقفت عام ١٩١٠ ، وكانت مدرسة جديدة فى الصحافة اليومية من ناحيتين : من ناحية كرامة الكلمة وارتفاعها عن السجال والجدل المغرق فى الهجاء ، ومحاولة ادخال شذرات مختلفة من الصحف

---

(١) ذكر (فريد وجدى) فى بعض أحاديثه ، أنه تأثر الى حد كبير بالأستاذ (الامام محمد عبده) وكتابه «رسالة التوحيد» ٠

العالمية عن الحضـــارة وتطور العلم والمذاهب والأفكار الحديثة فى الغرب ، بأسلوب سهل مبسط يقربها للقارىء .

كما قدم «الدســـتور» عـــددا من الكتاب ، كان فى مقدمتهم (الأستاذ العقاد) الذى عمل فى هـذه الصحيفة محررا أساسيا طوال فترة حياتها .

٣ ـ ولم يلبث (فريد وجدى) أن أوقف صحيفته ، حيث لم تطاول نفسيته السمحة المطبوعة على الدراسات العلمية ، العمـــــل الصحفى فى اضطرابه ومشاقه وزواياه المختلفة وعاد الى فطرته فى العمل الموسوعى والعلمى ، بعد أن كسب من وراء العمل الصحفى اليومى شهرة واسعة فى العالم الاســلامى كله .. كانت فى ذاتها تعميقا لعمله الفكرى وامتدادا له .. ولم يلبث بعد أن واصل أيامه فى مشروعه الضخم « دائرة معارف القرن الرابع عشر الهجرى والعشرين الميلادى » أن انتهى منها عام ١٩١٨ وكان يواصل اصدارها على أجزاء صغيرة باشتراكات زهيدة ، ومن أجل دعم هذا المشروع اشترى مطبعة خاصـــة أطلق عليها مطبعـة « دائرة معارف القرن العشرين » ثم أعاد طبعها مرة أخرى بعد ذلك بقليل عام ١٩٢٣ مما أكد أهميتها فى هذه الفترة كمرجع سريع منوع لثقافات العصر والسلف ، ممتزجة مرتبطة من وجهة نظر عربية تؤمن ببناء الفكر العربى الحديث على أســاس من قيمه ومفاهيمه ؛ مع انفتاحه لتقبل كل جـديد وحادث فى مجريات النهضـة ، وتطور الحضارة الانســـانية .

وفى هذه المرحلة ملأ (فريد وجدى) الدنيا ، وشـغل الناس ، فقد كتب فى مختلف الصحف اليومية والأســبوعية والشهرية ، وفى مقدمتها الأهرام والمقتطف والهلال ، وعالج

عشرات من القضايا ، فى مقدمتها قضية وجود الروح ، وواجه مختلف تطورات العصر الفكرية والسـياسية والاجتماعية ، ودخل كثيرا من المساجلات والمعارك ، فى اعتزاز بالعلم ، وترفع عن الكلمة النابية ، وكان خط فكره فى مختلف كتاباته ، تغليب العلم والعقل على ما سواهما ٠

٤ ـ وفى عام ١٩٣٣ بدأت المرحلة الرابعة من حياته وهى اشرافه على تحرير مجلة الأزهر ٠٠ وكانت تسمى « نور الاسلام » ثم أبدلت باسم مجلة الأزهر ، وقد امتدت هذه المرحلة حتى عام ١٩٥٢ ، ظل خلالها دائبا على العمل فى ذلك المجرى الذى يتصل بدراساته وفكره ٠٠ وقد قدم خلال عشرين عاما ما يقرب من خمسمائة بحث ، فقد كان أحيانا يكتب مقالين أو ثلاثة فى العدد الواحد ، وأبرز ما تتمثل به هذه المرحلة ، هى اهتمامه بموالاة كل ما يكتب عن الثقافة العربية والاسلام والشرق والروحية فى صحف الغرب ٠٠ وفى مؤلفات كتابه، فيعرض له ، وينتفع به فى مجال دعوته الى الروحية ، ومقاومة الفلسفة المادية ، أو يرد على ما به من شبهة أو خطأ ٠

وفى خلال هذه الحياة الفكرية العقلية من حياة (فريد وجدى) ـ التى بدأت عام ١٨٩٦ بكتابه «الفلسفة الحقة فى بدائع الأكوان» وانتهت عام ١٩٥٢ بآخر مقال له فى مجلة الأزهر ـ تبدو صورة باهرة ، لعمل ضخم امتد خلال سبعة وخمسين عاما ، لم يتوقف ولم يفتر من أجل رسالة التنوير واليقظة ، وبناء الفكر العربى الاسلامى المعاصر ، على أساس العلم والعقل ، ومقاومة الجمود من ناحية ، ومقاومة المادية من ناحية أخرى ، ورد هذا الفكر الى مقوماته الأساسية التى تمتزج فيها الروح والمادة والعقل والقلب ، والدنيا والآخرة ٠ وقد أشار (فريد وجدى) فى بعض أحاديثه الى أن حادث الشك فى العقيدة ، هو الذى وجهه الى هذه

الدراسات ، فقد كان اذا ناقش أحد العلماء فى أمر الكون والعقيدة سارع مناقشه باقفال باب المناقشة ، مما دفعه الى بحث هـــذه الأمور بنفســـه ، وقراءة كل ما كتب عنها ، حتى زال الشــك وارتاحت نفسه الى عقيدة ثابتة .

ولم تكن مؤلفات (فريد وجدى) المنشورة باسمه وهى تربو على عشرين كتابا هى كل آثاره وانتاجه، بل ان آثاره المطمورة فى بطون الصحف والدوريات لتزيد على هذا القدر ، ولعلها أكثر أهميـة وخطرا ، فقد اتصلت بالقضايا الفكرية والوطنية ، التى دارت فى العالم الاسلامى ، خلال هذه الفترة من حياته ، فقد شهد حربين عالميتين ، وتابع تطور الفكر الانسانى ، فيما قبل القرن العشرين وخلال نصــفه الأول ، متابعة راشــدة يقظى ، من خــلال زاويته الانسانية الروحية الدافعة على الدين ، المشدودة الى حاجة البشرية اليه ، المتخذة من سلاح العلم والعقل وسيلتها الى كل رأى تراه ، أو وجهة نظر تصل اليها ٠٠ وهذا الجانب قد أوليناه أهمية كبرى وكشفنا عن آثاره فيه ٠

فاذا أضيف الى هذا موسوعته «دائرة معارف القرن العشرين» ـ التى صدرت فى ٨٤١٦ صفحة فى عشرة مجلدات وضمت آلاف المواد : فى العـــلوم النقلية والعقلية والـــكونية وتاريخ المذاهب والتفسير والحديث والتاريخ العام وتراجم مشهورى الشرق والغرب والجغرافيا والطبيعة والســـياسة والكيمياء والفلك ، والفلســفة والعلوم الاجتماعية ، والاقتصادية ؛ والروحية ، والطب والعلاج وقانون الصحة ، والفوائد المنزلية وخصائص العقاقير والاحصاءات ـ تبين مدى هذا الجهـــد الضخم ، الذى استطاع به باحث فرد دون معونة من أى نوع أن يقدم هذا العمل للفكر العربى المعاصر ، وفى أوائل العقد الثانى من هذا القرن ٠٠ ولا تزال هـــذه الموسوعة مرجعا حيا نافعا للباحثين الى اليوم ٠

ولا يمكن أن تكتمل صورة هذه الحياة العريضة الخصبة التى امتدت طولا وعمقا الا حين تواجه « شخصية » هذا العالم الباحث السمح ، وحياته المضطردة كالنهر الجارى ، لا صخور ولا جنادل، تتمثل فى شخصية مفهوم صاحب الرسالة الذى يقول كلمته ولا يطلب عليها أى جزاء ، لا من الشهرة ولا من المادة ، بل ربما ينفق عليها مما يملك حتى تصل الى الناس ·· ولطالما فعل ذلك (فريد وجدى) ، ولقد أتاح له ذلك بعض الموارد التى حققت له الارتفاع عن حاجة الرزق الماسة ، وعن طريق مطالبه العاجلة · وكان فى اغلب أمره عازفا عن ترف الحياة ، مكتفيا بالقليل الذى يقيم الأود ، وفق فلسفة صادقة الايمان بالمذهب النباتى ، وبايمان كامل بأن المفكر والكاتب يكفيه مثل زاد الراكب ، حتى يظل عقله يقظا محررا من أبخرة الأطعمة التى تفسد عليه منطلق فكره ··

ومن هنا كان ذلك الاستعلاء الرفيع المتواضع ، ان صح هذا التعبير ؛ عن مطالب الحياة ؛ ومجالسها ومناعمها ؛ مكتفيا فى ذلك بمتاع الفكر وغذاء الثقافة ، وفى مجالها لا يبخل بشىء على شراء ما يستحدث فى أبحاث العلوم والمعرفة ·· كما عرف بتنظيم حياته تنظيما دقيقا ، فى مواعيد طعامه ونومه ويقظته ، وكانت رياضة المشى على الأقدام من الأمور الأساسية فى حياته لا يتخلف موعدها ، ثم بعد ذلك حفاظ على طاقة الحياة من أن تتبدد فى السهرات أو الأطعمة أو المشارب أو الملذات ، غير مسرف ولا شحيح ، ولكن فى اعتدال واضح ، وتوسط وسماحة فى كل أمره ، وكذلك كان فى كتاباته وآثاره ومعالجته للأمور ·· ومن عجب أنه كان غاية التواضع مع كل من يعرف ويعامل ·· يقابل زائره واقفا ولو كان عامل المطبعة ، وكان مجلسه يضم عشرات من المثقفين والأعلام ، ويزوره كثير من أبناء العالم الاسلامى ، وقد عاشت معه زوجته التى قضت قبله بقريب من عام ، دون أن ينجبا ذرية وكان له فى مجال الانجاب الفكرى خير عوض ·

وقد كان للنهج الذى سلكه (فريد وجدى) فى حيـــاته ــ منهج الاعتدال فى مقارفة الحياة ــ أبعد الأثر فى تلك القـــدرة الوافرة على العمل العقلى حتى الأيام الأخيرة من حياته ، ولا تزال كتاباته فى الأعوام الأخيرة تكشف عن تألق هذا العقل وقدرته على المتابعة والبحث والعمـــل ·· وهـــذا فى بابه غاية العجب اذ لم تضطرد القـــاعدة فيه للكثيرين من المعمرين ، وقلما عرفنا معمرا استطاع أن يستمر قادرا فى مجال العقل والبحث كمـــا نجد فى (فريد وجدى) ، وليست العبرة بطول العمر ، ولكن بالقدرة على العمل العقلى فيه ·· ولقد شهدنا معمرين فى مجال الفكر انتهت حياتهم الفكرية قبل (فريد وجدى) بأكثر من عشرين عاما ، ولم تكن لهم بعدها آثار أو دراسات ·

وقد كان (فريد وجدى) مؤمنـــا بحاجة المفكر الى تخليص « دماغه » للعمل الذهنى ، ومن هنا حرر نفسه من قيود كثيرة ·· هى قيود العمل الوظيفى الذى رفضه فى أول حياته وقيود العمـــل الرتيب فى الصحافة ، وهو عمل شاق مرهق يقتل الأعصـــاب ، وأمضى حيـــاته منطلقا الى غايته فى البحث عن المعرفة والتمـــاس الحقيقة ، فيلسوفا لا يذهب مذهب الاغراب ، وباحثا لا يســـتعلى بعلمه ، ومساجلا سمحا ، ما ان يدخل فى جدل مع كاتب أو باحث حتى تراه مثلا عاليا للخلق والانصاف ، فهو يستقبل مســـاجله بالتحية ، ويعرض آراءه فى تلخيص واف أمين يسبق به الرد ، ثم يرد على كـــل جزئية ، دون أن يثـــير حفيظة أو يبدو فى مظهر الاستعلاء ، حتى استطاع أن ينتزع من أكبر المصـــاولين المجادلين عنفا وهو الدكتور (زكى مبارك) قوله : « لا يسعنى الا اســـداء الثناء للأستاذ (وجدى) على أسلوبه فى الجدل ·· ذلك الأسلوب المهذب من شوائب الغرض والعناء ، وتلك سجية عرفناها له منـــذ أمد بعيد » ·

فهذا التمديد لأعصابه وتحريرها من اندفاعات الصراع، كان بالغ الأثر فى قدرته على الاستمرار هذا العمر الطويل على العمـــل الذهنى ، فضلا على زهده فى مطامع الجاه، أو الشهرة أوالمنصب أو احداث الدوى ٠٠ وهو فى هذا المجال يرقى الى مجال الزهادة فى المظهريات يقابلها ايمـان عميق فى المخبريات والجوانيات ، مع ايمان راسخ ، لا يراوده شك ولا قلق ، بأن الانســـانية مقبلة الى دعواه ، بالغة طريقه ؛ غالب عليها ايمان الفطرة بالله والروحية ؛ وأن البشرية لن تقف عند مطارف الحضـــارة وزخارفها ؛ ولـكن العلم ســـيغلب أمره فيدفعهـــا الى الأصالة ويحول بينهـا وبين الانهيار ٠

وقد عاش (فريد وجدى) حياة بسيطة ممتدة ، لا نتوء فيها ، ولا أحداث بارزة ، حياة عالم باحث متجرد ، لا تعرف له رحـلات واسعة ولا تقلبات ضخمة ، ولا اصطدامات بأهل عصره، أو اندفاع فى مجال الصحافة أو الصراع السياسى ٠٠ كان يمر عليه الصيف بقيظه لا يغادر القاهرة ، وقلما يذهب الى ثغر من الثغور ، وقتـــه كله ملك للعلم والمعرفة ، أمامه كتـــابه وقلمه ونظـــارته ، يقرأ ويبحث ، لا يضيق بالوقت الطويل أو العمر الممتد ، وله وقت راحته ووقت عمله ٠٠ وكانت له مراسلات واسعة مع أعلام الفـــكر فى العالم الاســـلامى ، وكثير من الباحثين من الغرب ، ولطالما كانوا يرسلون اليه بعض انتاجهم ، ينظر فيه ويبدى ملاحظاته ٠٠ كما كان حفيا بكل ما يكتب فى باب الروحيات والدين فى الفكر الغربى كله ، يشترى من الكتاب نسختين من باب الاحتياط ، ويشترى كل طبعاته ، ويراســـل أعلام هذه الدراســـات ، مؤمنا بانسانية الفكر البشرى فى سبيل دعم الحضـــارة بالدين ، والتوفيق بين الدين والعلم ٠

ولا شك كان (فريد وجدى) رائد مدرســـة فكرية عصرية

سلفية ، تجمع بين القديم والجديد ، والشرق والغرب ، والحضارة والدين ، وتحاول أن تزاوج بينها على منهج جديد ؛ يختلف عن منهج الباحثين من رجال الدين أو العلم على السـواء ، ويمكن أن يقال ان كتابات (الدكتور محمـــد حسين هيكل وعبـاس محمود العقاد ومحمد أحمد الغمراوى ومحب الدين الخطيب) هى امتداد لمنهجه ، واستمرار لفكرته .

ولا يضير (فريد وجدى) أنه أمضى أكثر من نصف قرن يعمل فى حقل واحد ، ولا ينقص ذلك من قدره ، مادام ذلك الحقـــل واسعا عريضا ، منوع البذور والثمار ؛ وخاصة اذا ذكرنا أنه كان مجدد الروح والفكر ، قادرا على أن يتطور مع العصر دون أن يتخلف أو يقف ، وقد يسبق خطوه خطو أهل جيله ، دون ان ينحرف عن القيم والمقومات الأساسية للفكر العربى الاسلامى القابل للتلقى ؛ والمتفتح دائما لكل جديد .

« .... »

الباب الأول

حياة المفكر في مراحله المختلفة

المرحلة الأولى

بنـــاء الشخصيـة

منذ أخذ (فريد وجدى) نفسه بالبحث فى الكون والخالق والدين ، فى السادسة عشرة من عمره ، ومضت الشبهات تحيط بفكره ، ولم يجد حين فزع الى علماء الدين ما يرد عنه شكوكه ، أخذ يدفع بنفسه فى بحور الفلسفة والعلم والدراسات الميتافيزيقية وما وراء المادة ، فى تحد خطير لما يضطرب به الفكر فى جيله من نظرات جديدة . . كالنيتشرية والدارونية، ولم يلبث أن عكف على الدرس والتثقيف الذاتى ، ومضى يقرأ كل جديد ، محاولا الوصول الى الحقيقة ، ولكنه فى نفس الوقت قد غمره شـــعور بالانقباض والضيق ازاء جيله وشباب عصره، فاذا كان هو ، قد عجز الا يجد شيئا عند علماء الدين يشفى الغلة فى مواجهة تحديات الفلســفة المادية ، فاستطاع أن يصـــل الى ذلك عن طريق الثقافة الذاتية ، والبحث وقراءة عشرات من الأبحـــاث القديمة العربية والحديثة الغربية التى ردته الى اليقين ، فما بال شباب جيله وهو لا يستطيع أن يجد ذلك كله ، اذن ، فلينتدب نفسه لهذه الرسالة ، وليحمل لواء هذه الفكرة ، وليكتب باللغة الفرنســـية وباللغة العربية ليرد

على المهاجمين للاسلام ، والمتهمين اياه بالجمود ، وبأنه مصدر التأخر في الشرق ، وليكتب بالعربية مصححا الحقـــائق ، كاشفا عن هذه المفاهيم التي ردت نفســـه الى الايمان ؛ علها تجـد الى قلوب طلاب الحقيقة وعقولهم سبيلا ٠٠ هذه هي مهمته التي ندب نفسه لهـــا فليبدأ ، وقد بدأ فعلا بتأليف كتابه « الفلســـفة الحقة فى بدائع الأكوان » وطبعه بالمطبعة العامرية العثمانية « وادارتها حارة سوق الزلط بمصر المعزية » صدر فى شهر جمادى الثانية عام ١٣١٣ هـ وقد أضيف هذا الكتاب في دار الكتب فى ٩ من فبراير ١٨٩٦ م ، وقد صور فيه منهجه في العمل وهدفه من البحث : قال « لما كان من أشرف الأعمال وأجلها ، خدمة الأمة وتغذيتها بلبان المعـــارف الحقة ، رأيت أن أتحلى بتيجان هذا الشرق فى عمل صغير أهديه الى العالم العلمى ، ولو أنى لم أبلغ الشأو الذى يتيح لى أن أقف هـذا الموقف الحرج ، ولكن لى من حضرات العلماء أكبر ساتر على مقصدى ، وعاذر لقصورى ، ومنبه على هفواتى ومصلح لغلطاتى ، وسقطاتى ، فأى لسان لا ينبو ؛ وأى جواد لا يكبو » ٠

ويعطى هذا الكتاب الانطباعة الأولى ، لحياة خصبة عميقة ، فى مجال الفكر من بعد ، يتميز صاحبها بالتواضع والســـماحة ، غير طامع فى شهرة أو كسب مادى ، ومن هـــذه الكلمات انطلقت دعوة امتدت حياة (فريد وجدى) كلها ، وهى اتخاذ العلم وسيلة لتأكيد حقائق الدين ، وقد قسم كتابه الى أبواب ، فتـــحدث عن عجائب الأكوان وعجائب مملكتى الحيوانات والنباتات ٠٠ ثم تحدث عن « الانسان » وأحواله ، من فسيولوجية وحكمة وجوده ٠

وعرض لآراء (بوسويت وسافريه وفيتلون وجران) وغيرهم من علماء الكيمياء ، كما عرض لآراء أستاذه (كميل فلامريون) الذى ظل يذكره ويستشهد به الى آخر أيامه ٠

ويبدو (فريد وجدى) من خلال عمله هذا منطلقا من نقطة واحدة ، عاش حياته يســـتمد منها ، هى فهم حقيقة الله والكون والانسان من خلال الآية القرآنية « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » متخذا طريق العلم سبيلا الى الوصول الى الله والايمان به ، مؤكدا أن أعلى دعوة للأديان وللاســـلام بالذات ، هى دعوة « العقل » وقد كشف عن هذا المعنى من بعد وتوسع فيه ، كان هذا المعنى قابعا فى أعمـــاقه ، وهو يكتب كتابه الصـــغير الحجم الذى ضمنه قراءاته فى صحف وكتب أوروبية ·

ولم يلبث (فريد وجدى) أن خطا خطوة أخرى فى طريقه ، فأصدر كتابه : « تطبيق الديانة الاسلامية على النواميس المدنية » عـام ١٨٩٩ ويضع هذا الكتاب حجر الزاوية فى اتجـــاه (فريد وجـدى) ؛ وفى الكشف عن الخط الذى بدأ يعمقه ، وكان بذلك من أوائل من تحدثوا عن سلامة المقومات الفكرية الاسلامية ، وقدرتها على البقاء والاستمرار ، ودورها فى انشاء الحضارة المعاصرة ·

وقد أشار فى كتابه الى أنه قد أصـبحت العلاقة بين الشرق والغرب اشتباكا يوجب أن يتعارف الفريقان تعارفا يمحو ما سبق من التناكر ، وأنه لابد أن يفهم الأوروبيون حقيقة «الدين الاسلامى» وماهيته واثبات أنه ضامن للانسان نيل السعادتين ، أما وجه كونه ضروريا لا مناص منه فهو أن الغربيين أصبحوا بجدهم ونشـــاطهم أصحاب السـلطان والنفوذ فى معظم العالم الاســـلامى ، وما داموا جاهلين بحقيقة الاسلام ، ومعتقدين بما يهذى به كتابهم ضـــده ، فانهم لا يستطيعون طبعا أن يروا فى ديانة محكوميهم الا عبئا ثقيلا على عقولهم ، نقول ان الأوروبيين معذورون فى تصديق التهم ضد الاسلام والمسلمين ، ولهم الحق فى العمل ضدها ماداموا لا يرون أمام أعينهم من مظاهر الدين الا البدع التى اخترعها صغار العقول ··· الخ ·

ثم أشار (فريد وجدى) الى مهمة «المتنور الشرقى» فى هذه الظروف التى تمر بالعالم الاسلامى ، وهو ماندب نفسه اليه . فقال ان على عاتقه واجبين :

١ — تفهيم العالم أجمع أن الدين الاسلامى فضلا على كونه بريئا من الأضاليل التى ينتسبها اليه بعض الكتبة ، ومنزها عما يعقله العامة فانه ناموس السعادة الحقيقية وملاك المدنية الصادقة ·

٢ — أن يسعى عقلاء هذه الأمة على محو البدع التى غص بها العالم الاسلامى ، وصارت نقطة سوداء فى جبين الشرق ·

ثم صور العوامل التى دفعته الى الاتجاه فى هذا الطريق فقال :

« هذه الأفكار كانت تجيش فى صدرى منذ أربع سنوات ، وأنا اذ ذاك فى سن البدء فى العمل للوطن ، فلم أر أفضل لخدمته من هذه الوجهة ، فثابرت من حينها بهمة لا تعرف الملل على درس ما يؤهلنى الى فهم حقيقة الاسلام ، حتى آنست من نفسى بعض القوة على القيام بهذا الواجب الأقدس ، فابتدأت أعمالى بتأليف كتاب باللغة الفرنساوية ، نفيت فيه عن الاسلام كل تهمة ألصقها به المفترون ؛ وأثبت بالأدلة الحسية ، وبالاستناد على البداءة العلمية أنه روح المدنية الحقيقة ، وعين أمنية النفس البشرية ، ونهاية ما ترمى اليه القوة العقلية ، وأن كل رقى يحصل فى العالم الانسانى ليس هو الاتقربا من الديانة المحمدية ، ولم أكد أنتهى من تأليفه ، حتى بعثتنى نفسى الى ترجمته الى لغتنا العربية الشريفة ، لكى أكون قد قمت ببعض الواجبين فى آن واحد ، على أنى كلفت نفسى تجشم المصاعب فى هذا العمل ، لا بقصد اتخاذ اشتغالاتى فيه تسلية لى على ما أضعت من وظيفة أو شهرة ، كلا ، بل غرضى الوحيد من هذا العمل هو اقامة الحجج العلمية على أن دين الاسلام

ليس بالدين الذى يتناساه ذووه ، أو يلوى الكشح عنه متبعوه ٠٠ وأنه ليس بالدين الذى تعارضـــه العلوم العصرية ، والحقـــائق الفلسفية ، بل هى مما تزيده تثبيتاً وتمكينا ، وتزيد متبعه ايمانا ويقينا » ٠

ثم اتجه الى المثقفين وقال : « أليس بعار على متنورى هـــذه الأمـــة أن تبقى حقـــائق دينهم مختبئة فى مكاتبهم فى مطـــاوى مجلداتها ، وهم مغرورون بزخارف أفكار البشر » ٠

وقد لقى هذا الكتاب منذ ظهوره تقدير الباحثين . فكتب عنه (الدكتور يعقوب صروف) فى (المقتطف) فقال : « انه محاولة للتوفيق بين الأصول الدينية والحقائق العلمية، وان غرضه منه ، اثبات أن كل ما تقرؤه من قواعد المدنية العصرية ليس بالنسبة الى قواعد الديانة الاسلامية الا كشعاع من شمس، أو قطرة من بحر، وأسهل سبيل يوصلنا الى هذا الغرض ، هو أن نتكلم عن أســس المدنية الحالية ، ثم نثبت أنها بعض أسس الديانة المحمدية بطريقة واضحة .. فاذا قيل لماذا لا نرى هــذه المدنية فى ربوع الشرق، أجابك بقوله : ان سبب ذلك هو ســوء فهمنا لمعنى الدين وحمله على غير المراد منه ٠٠ » ووصف (الدكتور صروف) الكاتب الشاب بالعالم المتبحر والكاتب الواسع الاطلاع ، وأنه أجاد وأفاد ، وجـاء بغاية ما ينيله الاجتهاد ٠٠ وقال اننا نمدح المؤلف على اجتهاده ، ونعترف له بالقدرة على اثبات ما قصد اثباته ..

وقال (جورجى زيدان) فى « الهـــلال » : أعجبنا حســن أسلوبه ، وتسلسل مقدماته فى الوصول الى النتيجة المطلوبة مع اعتدال خطته ٠

اما صاحب « المنار » (رشيد رضا) ، فقد تناول هذا الكتاب على نحو يكشف عن مفهوم العاملين فى الحقل الاسلامى ، على مدى

ما يمثله (فريد وجدى) فى هذه المرحلة ٠٠ وقد تصادف أن صدر كتـــابه فى نفس الوقت الذى صـــدرت فيه « رسالة التوحيد » للأستاذ الامام (محمد عبده) ، ومن هنا فقد قرنه (رشيد رضا) اليها وقال : « كفى الكتاب شرفا أننـــا جعلناه ثانى كتاب رسالة التوحيد التى لم يؤلف مثلها فى الاســـلام قط ، وأن مؤلفه جرى على آثار الأستاذ فى الرسالة أسلوبا وبحثا » ٠ وقال : « ان (فريد وجدى) لا يعيبه أنه لم يبلغ شأوه « أى شأو الأستاذ الامام » بلاغة وتحقيقا وتحويرا ، فالأستاذ حكيم الأمة فى هــذا العصر وأبلغ كتاب العربية أجمعين » ٠ ونقول : ان « فريد وجدى » اذ ذاك كان فى سن الخامسة والعشرين بينما (الأستاذ الامام) كان فى قمـة مجده وتألقه فى سن الخمســين ٠٠ وكفى بشهادة (رشيد رضا) قوله : « ان فى كتاب (فريد وجدى) ما ليس فى رسالة التوحيد، فلا يستغنى أحدهما عن الآخر » . وقال : « انه ممــا يمتاز به : سهولة التناول فيتسنى فهمه لجميع طبقات الأمة » ٠

ومضى (فريد وجدى) فى طريقه ، ودفعه طموحه وايمانه معا على توسيع دائرة عمله الفكرى فلم يكتف بتأليف الكتب؛ بل حصل على ترخيص باصدار مجلة باسم « الحياة » (١) عام ١٨٩٩ ، وظل مع ذلك ماضيا فى التأليف ، فأصدر عام ١٩٠١ كتابه : « الحديقة الفكرية فى اثبات الله بالبراهين الطبيعية » وكان بحثه هــذا خطوة جديدة فى مواجهة التحديات التى تواجه الفكر العربى الاسلامى ، وموقفه ازاء الفلســـفة المادية وأهم قضاياها « التشـــكيك فى الألوهية » ٠٠

ولما كانت هذه الشبهة قد واجهته ، واضطرب لها ، فقد كان لابد أن يعالجها علميا ٠٠ والانسان عنده مولع بالبحث والتنقيب ،

(١) سنتناول مجلة «الحياة» فى المرحلة التالية ٠

مغرم بالتحرى والتنقيب ، يود أن ينفذ الى صميم الأشياء ليعرف كنهها ، ويسرى الى أسرارها ، ليقف على مبدئها ولا يصرفه عن همه هذا ما يصادفه من اخفاق ، وهى خصوصية ستعلو بمعلوماته الى أوج لا يستطيع ادراكه اليوم ، وهو يقصد نفســـه حين يقول فى مقدمة كتابه هذا : « ان نهم الانسان بمعرفة ما هو محجوب عنه ، وكلفه بكشف ما هو مستور عليه ، يكاد يســـتحيل عند بعض الحساسين من أفراده الى نار يحترق لها الفؤاد حسرة ، وتطير لها النفس شعاعا » .

فهو يرى : « أن أكبر المسائل التى يشـــغل حلها كل قلب بغير استثناء ، ويستولى على كل لب من أية طبقة كان ، هو الوقوف على حقيقة الحقائق التى منهـــا استمد هـــذا الوجود روح قوامه ، ومادة بقائه .. وقد بلغ الانسان من الاهتمام بأمر هذه الحقيقة الى حيث فقد الطمأنينة والراحة ، وصارت كل خطرة من خطراته تعبر عما يخالج الصدر من الشوق اليها والحنين عليها » .

ويكشف (فريد وجدى) عن مشاعره تجاه هذه القضية حين يقول : « لقد طبع الانسان على حب الحياة وايثارها ؛ وجبل على الدفاع عنها وتحرى سبل الطمأنينة اليها ، وأنى له راحة الضمير ، ورباطة الجأش ، وهو لا يعـــلم ما هو ؛ ومن أين أتى ؛ والى أين يذهب ؟ أى جبـــان لا يهتم بذاته ، وأى فاقـــد للاحساس لا يأبه لحياته ؟ اذا كان الانسان يتحرق لجهله ما يحيط به من الأجسام ، ويكاد يخرج من ذاته ليطل على سريرتها ، فكيف به وهو يجهـــل أصل الأصول ، وحقيقة الحقائق » .

ويمضى (فريد وجدى) فى تصوير موقفه من قضية الكشف عن حقيقة الله والكون ، وهى رحلة المعرفة التى عاشها عمره كله فيقول : « ان من الناس من اذا ألم بهم هذا الشعور تلهوا عنه بما

يؤثر على حواسهم ومشاعرهم ، وكلنا يعلم حق العلم أن هؤلاء فى مقدمة من يعترفون بأن لهم ساعات من الفكر تكاد تذهب بحياتهم حزنا وكمدا ، ماذا يريد الوثنى من السجود أمام أوثانه ؟ وماذا يريد الملحد من اقامة الدليل على فناء جثمانه ؟ الأول يضرع لاله المجهول لينجي نفسه من مبيدات الوجود ، والثانى يصل الى هوة العدم وظلمة الفناء » .

ويمضى فى هذا البحث فيتحدث عن الانسان فى أدواره الثلاثة من حيث الايمان ..

١ ـ دور الفطرة

٢ ـ دور الفلسفة والحكمة

٣ ـ دور العلم الطبيعى والفلسفة الحسية ..

ثم يصل الى أن الاسلام هو دين الفطرة ، ويصل الى حل المسالة اللاهوتية التى هى عنده مسألة المسائل ، وان من حلها فقد نال سعادة الأبد ؛ وتخلص من كل كمد .. ومن فقدها فقد مزية البقاء ، واستهدف لينال اللأواء .

ومن خلال هذه الدراسة ومما سبقها تحس رأيه وانطباعه واضحا ، ذلك هو ايمانه « أن كل خطوة يخطوها البشر فى سبيل الرقى العلمى هى تقرب الى ديننا الفطرى ، حتى ينتهى الأمر الى الاقرار الاجماعى بأنه الدين الحق » .

* * *

ثم يخطو (فريد وجدى) خطوته التالية فى الطريق الذى رسمه لنفسه ، فى مواجهة تحديات الشبهات والشكوك والاتهامات التى أثارها الغرب فى وجه الاسلام والدين والروحية ، على النحو الذى

صـــورته كتابات (رينان ولافيجرى) وغيرهما ، ذلك هو كتـــاب « الاسلام فى عصر العلم » سنة ١٩٠١ ٠

وقد صور (فريد وجدى) من بعد مشاعره نحو هذا الكتاب ابان صدوره فقال :

« ألفته وأنا فى ميعة السن ، قريب عهـد بدور التحصيل والدرس ، فهو أصدق كتاب يمثلنى مناضلا عن الفلسفة الروحانية والدين، باعتبار أنهما الركنان القويان من أركان الاجتماع والرقى، وفى أول أدوارى وأنا أدفع بالدليل تلو الدليل اكتسابا للأنصـــار حول هذا الأصـــل ، وهو أن الجماعة التى أقامها الاسلام فى أول عهدها بالوجود ، يجب أن يكون هو الذى ينعشها من كبوتها ، على هذا الأصـــــــــل سرت فى تأليفى كتابى هذا ، رامياً الى لفت نظر المتعلمين الذين منتهم قوانين الفلسفة الحديثة ، فتمثلوا أنها الطريق الوحيد لبلوغ الغاية القصوى من الرقى الانســـانى ، واذا قلت الفلســـفة الحديثة عنيت بها الفلســـفة المادية ، التى تفرض أن الانســـان حيوان راق ، وأن الغاية التى أمامه هى وصوله الى آخر ما تنيله اياه العلوم الكونية ، وما يعده استعداده لقبوله منها » .

ويواصل (فريد وجدى) تصوير تجربته فى هذه المرحلة من حياته فيقول : « كنت فى هذا العهد قد أتممت جولة شاقة متعبة، قد جلتها وأنا فتى السن وحيداً فى متاهات خيالية من الهـــداة والأدلة ، فى وسط جماعات علمية لاتمت الى هذه المباحث بسبب ، فكنت أرتطم فى الشبهة العلمية ، وأصلى بنارها وحدى ، ولا أجد من يهدينى الى حلها ، ولا من يدلنى على مقابلها ، فما كدت أخرج منها سليم الايمان ، قويا على النضال ، حتى ألفيت بنفسى من هذا الكتاب ، فى مجال لا يجسر أن يقفه المغرمون الفحول ، فما ظنك بناشىء لا يزال من هو أسن منه فى دور التعليم والتحصيل » ٠

وقال (فريد وجـدى) : لقد خضت من البحث فى نفسية الانسان بحرا خضما لم أدع من عوامله الذاتية ، وعوامله الخارجية ، وروح العصر بابا للبحث الا ولجته ، ولا كلاما عن الدين والعقل والروح العلمية ، وما طوحت بى اليه من درس أول منـاشئها ، وما أثر عن اليونانيين الأقدمين عنهـا ، وما أتى به فلاسـفتهم وحكماؤهم ، وما أنتجته الحروب بين الفرس وبينهم من الآثار على العلم والفلسـفة ، وما أحدثته جامعة الاسـكندرية من النهوض العلمى فى العالم ، وما اقتضـاه هذا الخوض فى دراسة مذاهب الفلاسفة اليونانيين ... الخ .

ثم الخروج من ذلك كله الى دراسـة الروح الاسلامية ، والمثل الأعلى الذى أوجده رسول الله للانسان .. وما استدعاه ذلك من البحوث فى ماهية الدين الفطرى ، وعرض الأدوار التى تنتـاب العقائد ، وكنه الفضـيلة والرذيلة ، وغاية المدنية الاسـلامية ، وما استتبعه ذلك من النظر فى المـادة وما وراء المـادة ، والالمام بالبحوث التجريبية التى يقوم علماء أوروبا فى هذا العصر بهـا لاثبات العالم الروحانى ، وقد خرجت من الدراسة وأنا أشد ايمانا بصحة النتائج التى وصلت اليها من قبل أن أخوضها »

وفى هذه المرحلة التى تنتهى عام ١٩٠٦ لتبدأ مرحلة تالية بالعمل فى مجـال الصـحافة السياسية اليومية واصـدار جريدة « الدستور » تستحصد شـخصية (فريد وجدى) فيبدو كباحث ومفكر ، وعالم وفيلسوف ، على نحو جديد يختلف اختلافا كبيرا عن طابع الباحثين والمفكرين فى عصره ، ولعله كان رائدا فى مجال الجمع بين دراسات الاسلام مع العلم الحـديث فى محاولة للمزج بينهما ، واتخاذ العلم سلاحا لاقرار حقائق الدين ، ومقاومة الالحاد والفلسـفة المادية والاباحية .. مع الاعتماد على استظهار الفلسـفة الحسية « فلسفة العصر الحاضر » لا القضايا المنطقية والفلسـفة

العقلية التي تدور الغلبة فيها على تنسيق العبارات وتنميقها «على حد قوله» . بدأت هذه المرحلة عام ١٨٩٦ بصدور كتابه « الفلسفة الحقة في بدائع الأكوان » ، واستمرت حتى عام ١٩٠٦ في خلال أحد عشر عاما خصبة حافلة بالعمل .. عمل فيها في ثلاثة مجالات:

١ ــ أصدر سبعة مؤلفات تمثل في مجموعها مخطط فكره، وترسم طابع شخصيته الفكرية .

٢ ــ أصدر صفوة العرفان في تفسير القرآن .

٣ ــ أصدر مجلة «الحياة» الشهرية عام ١٨٩٩ .

٤ ــ بدا كتابه « فن جديد » من النثر على نسق المقامات أطلق عليه اسم « الوجديات » .

٥ ــ أصدر موسوعة مختصرة « كنز العلوم واللغة » ١٩٠٥ .

وشارك في ثلاث معارك فكرية هي :

١ ــ معركته مع قاسم أمين بكتابه : « المرأة المسلمة » ١٩٠٢ .

٢ ــ معركته مع (مسيو هانوتو) وزير خارجية فرنسا السابق عام ١٩٠٠ .

٣ ــ معركة مع اللورد كرومر .

وقد استطاع (فريد وجدى) أن يبرز في هذه المرحلة ويلمع ، فكتب بالاضافة الى ذلك في جريدتي « المؤيد واللواء » .

وقد لفت (فريد وجدى) نظر (الشيخ محمد عبده) بمنهجه الجديد ، فلما جاء (الشيخ رشيد رضا) الى مصر كان قد جعل في اهتمامه أن يتصل به كواحد من الكتاب البارزين في هذه الفترة .. يقول (رشيد رضا) في رسالة له الى (عبد القادر

المغربى) مؤرخة عام ١٨٩٨ «نشرها المغربى فى الرسالة ١٩٣٥م» تحدث فيها عن مقابلاته فى مصر أول مانزلها، ولقاءاته مع أعلامها، وفى مقدمتهم (الشيخ محمد عبده) : يقول :

« (فريد بك وجدى) ابن وكيل محافظة دمياط ، شـــاب ذكى نبيه ، أبصر أهل دميـاط بحالة الاســـلام والوقت ؛ وجهته مثلنا دينية ، يطالع الأحياء ، « يقصد موسوعة احياء علوم الدين للغـزالى التى كانت أحب قراءات (رشيد رضـا) » وله اعتقـاد بالفلسفة ، ألف كتابا صغيرا أسماه « الفلســفة الحقة » أهدانى نسخة منه ، وهو الآن يســـتعد لتأليف كتاب بالفرنســـاوية فى الديانة الاســـلامية ، ويعرضــه فى معرض باريز الآتى : « يقصد كتابه : تطبيق الديانة الاســـلامية على النواميس المدنية » وهـو منفرد بهذه الأفكار فى دمياط ، لأن دمياط بلدة اسلامية ، ومن ثم فهى ضعيفة فى العمران ، زرت (فريد بك وزارنى) ؛؛ وقد أعجب بى كل الاعجاب ، وتمنى أن أكون معه دائما ؛ ونشــط همتى على انشاء جريدة « المنار » وسيكتب فيها » .

ثم لم يلبث أن أصدر كل منهما مجلة شـــهرية عام ١٨٩٩ : أصدر (فريد وجدى) مجلة « الحياة » الشهرية ، وأصدر (رشيد رضا) مجلة « المنار » الشهرية أيضا ، ولم تلبث أن قامت بينهمـا مساجلات ومعارك مصدرها الاختلاف فى الرأى بين مدرستى العقل والنقل ، والاختلاف فى السياسة بين مذهبى (محمد عبده ومصطفى كامل) . وقد أتيح (لفريد وجدى) فى هذه المرحلة أن يســـتكمل أدوات البحث والدراســـة والكتابة وأن يغرس كل البذور التى أينعت فى دراساته من بعد ، حتى ليمكن القول بأن الأسس الكبرى لشخصيته الفكرية ، قد تجمعت جذورها فى هذه المرحلة ، وأنه ما من فكرة عرض لها من بعد أو عمل عمله ، الا كانت جذوره قد نمت فى هذه الفترة .

يبدو ذلك واضحا فى عملين كبيرين من أعماله :

أولهما : «كنز العلوم واللغة» وهو موسوعة ضخمة كشفت فى هذا الوقت الباكر عن شخصية باحث عميق ، أمضى الليالى ساهرا ، يقرأ ويستوعب من ثنايا دوائر المعارف العالمية ، وفى مقدمتها دائرة « لاروس » الفرنسية بالاضافة الى عصارات دوائر المعارف العربية ، وقد استطاع أن يقدم عام ١٩٠٥ « فى ٨٧٠ صفحة من القطع الكبير » خلاصات للعلوم النقلية والعقلية والطبيعية والطبية والاجتماعية والتاريخية والجغرافية .

وقد لقيت هذه الموسوعة تقدير الباحثين ، وأشارت اليها صحف الهلال والمقتطف والمقتبس ، وقال كرد على « أعجبنا منه أدبه فى كلامه عن المخالفين من فرق الاسلام .. وغيرهم ؛ وانها ضمت فوائد نافعة لا يسع متعلما جهلها ، وان كان قد أحصى عليه اغفاله لبعض الأسماء اللامعة من أعلام الاسلام ، (كابن تيمية وابن القيم وابن الهيثم والذهبى والسيوطى والقلقشندى وابن فضل الله العمرى وسعيد بن يزيد ـ أحد العشرة المبشرين بالجنة) » وقد أثبت (فريد وجدى) فى مقدمة موسوعته الصغيرة ، التى دفعته من بعد الى انشاء موسوعته الكبرى ، فضل العلم وعصر العلم ، وقال : « ان العرفان كان يطلب فى الماضى لمحض الكمال العقلى من بعض من تسمو بهم فطرتهم لطلبه ، أما اليوم فقد تغير الحال ، وأصبح يطلب اضطرارا سلاحا للحياة ، وعدة للبقاء ، وآلة لتخفيف وقع النوازل » . وقال : ان العلم لم تعرف له هذه الوظيفة .

ثانيهما : تفسير القرآن الذى أسماه « صفوة العرفان فى تفسير القرآن » ثم أصبح من بعد « المصحف المفسر » .

وقد صدر هذا العمل عام ١٩٠٧ بمقدمة فى فلسفة «القرآن»

ضافية ضخمة شاملة · وتعددت طبعاته من بعد ·· وقد تضمن هذا التفسير شرحا للألفاظ والمعانى .. ففى جانب الألفاظ يستوعب فى كل صفحة ألفاظها ويشرحها شرحا لغويا مضبوطا بالشكل ، وفى جانب المعانى يفسر آيات القرآن فى عبارات عصرية خالية من المصطلحات الفنية ، ومفرغة فى قالب سهل ، مع أسباب نزول الآيات .

أما مقدمة التفسير فقد تناولت بالدراسة موجزا من فلسفة الأديان ، وتطور الانسان مع العقيدة ، مع حديث مستفيض عن الوحى والنبوات ، وتاريخ القرآن من حيث جمعه وترتيبه ، وناسخه ومنسوخه ·

ولا يزال القرآن المفسر باقيا الى اليوم يعاد طبعه ، ولا تزال مقدمته تشهد بأن (فريد وجدى) استكمل فى هذه المرحلة من حياته أسلحة البحث العلمى وأدواته ، وأنه قد تهيأ فعلا لأداء رسالته التى عاش لها ، ولم يخرج عن نطاقها ولم يتوقف ، ولم تزده الأحداث والتطورات العلمية والمذاهب المستحدثة الا ايمانا بها ، واقتناعا بأنه على الحق ، وأن الانسانية تتجه الى فكرة الدين لا محالة ، بعد أن تنتهى مرحلة الفلسفة المادية ، وأنه لا سبيل الى حل أزمتها الاجتماعية والانسانية الا باعتناق الاسلام ·

ولم يبق فى هذه المرحلة شىء له أهمية يعتد بها فى تصوير مرحلة بناء الشخصية الا ترشيحه لتمثيل مصر فى مؤتمر اليابان ، وانشاؤه معهد العلوم العالية :

١ ـ أما مؤتمر الأديان فى اليابان فذلك خبر ورد فى الصحف عام ١٩٠٦ جاء فيه : أنه سيعقد فى « طوكيو » ناد حافل يدعى اليه أئمة الدين فى جميع النحل للتباحث فى أصول الأديان الحية ، وقد نشرت الخبر جريدة « الوقت » التى تصدر فى تركستان ·· ونقلت الخبر أغلب صحف العالم ، ووصل الى باريس

ولندن ، ونشرته جريدة « اللواء » فى مصر وعززته بعدها مقالات كتبها (مصطفى كامل) الذى اقترح ترشيح (فريد وجدى وطنطاوى جوهرى) لتمثيل مصر فيه ، باعتبارهما أبرز المشتغلين بالدراسات الاسلامية • •ودعا العالمين الى اعداد دراسات لهذا المؤتمر ، فسارع (فريد وجدى) فأعد رسالة شاملة تحت عنوان : «سفير الاسلام الى سائر الأقوام» (١) وقد كتبها (وجدى) باللغة الفرنسية أولا ثم ترجمها الى العربية ؛ ولما أزف موعد عقد المؤتمر « يونيو سنة ١٩٠٦ » ، ولم تصل الدعوة اليه ، سارع فأرسل رسالته الى « طوكيو » عاصمة اليابان بعنوان : « رئيس مؤتمر الأديان » ثم ظهر من بعد أن المؤتمر كان أكذوبة روجتها جريدة « الوقت » لسبب مجهول ، وتمثل هذه الرسالة قدرة (وجدى) البالغة على مواجهة مختلف الشبهات ، التى وجهت للاسلام والقرآن والنبى صلى الله عليه وسلم •

٢ ـ أما مدرسة العلوم العالية فهذا مشروع نفذه (وجدى) لتدريس العلوم الكونية والاجتماعية بأصولها وفروعها للدعاة الى الاسلام •

واتخذ مقره فى المدرسة التحضيرية لصاحبها (سيد محمد)، وقد افتتحت المدرسة وبدأ التدريس فيها عام ١٩٠٦ ، وقد نشر بعض ابحاثها فى مجلة «الحياة» واشار (فريد وجدى) الى اهمية هذا العمل فقال : « ان المقصود منه تخريج فرقة من حملة العلوم الدينية فى المعارف العصرية والفلسفة الحديثة ، ليكونوا على بينة من أمر الدفاع العصرى عن هذا الدين الحنيف » •

---

(١) حاولت الحصول على هذه الرسالة ، فلم أجدها فى سجلات دار الكتب المصرية بباب الخلق ، ولا فى غيرها من المكتبات الكبرى ، وتفضل (المهندس محمد توفيق أحمد) فنسخها متفضلا من مكتبة العلامة (مصطفى حسن الجعفرى) شيخ السادة الكتانية فى الديار المصرية ، فلهما جزيل الثناء •

المرحلة الثانية

الصحافة السياسية اليومية

- ١ -

من عجب أن يتجه (فريد وجدى) العالم الباحث الفيلسوف الذى بدأ حياته بدراسات التوفيق بين العلم والدين ، الى العمل فى الصحافة السياسية اليومية ، فيصدر جريدة « الدستور » ، وربما بدا ذلك مخالفا لطبـــائع الأشياء ، ولابد أن ســـمت العالم الباحث الفيلسوف سيصطرع مع طبيعة الصحافة والصــحفيين ، وتيارات الصحافة ودواخلها ومؤتمراتها فى تلك الفترة الخطيرة من حياة مصر والعالم الاسلامى كله ، ولا بد أن يفشل (فريد وجدى) فى هذا المجال ، وأن ينسحب منه ، فاذا حاول العودة اليه بعـــد الحرب العالمية الأولى لقى فشلا أشد حرجا ، ولكن هل كان (فريد وجدى) يعمل مع الصحافة بمفاهيمها أو بمفاهيمه هو ؟

الحق ان (فريد وجدى) قد حاول أن يترك طابعا متميزا فى مجال الصحافة كما يفهمها هو خادمة للمبادىء الكبرى والأهداف التى ترتفع فوق الأحزاب ، من أجل العالم الاسلامى كله ، ولذلك فقد بدت صحيفة « الدستور » فى السنوات الثلاث التى أصدرها خلالها يومية « أواخر سنة ١٩٠٧ ــ أول سنة ١٩١٠ » غريبة عن

طابع الصحف ، فلا هى صحيفة حزب وان أخـــذت طابع الحزب الوطنى ثم أختلفت معه ؛ ولا هى خادمة لسياسة حزبية ، وانمـا هى صحيفة ثقافة وعلم ، ولم تكن كتابات صاحبها تعطى صـــورة السياسى أو الصحفى بقدر ما تعطى صورته الأصيلة : الفيلســوف الاجتماعى الذى يشغله بناء فكر الأمة على نحو جديد قوامه العـــلم والدين ٠

١ ـ وقد كشف (فريد وجدى) هدفه منذ أول لحظة وفى العدد الأول « ١٦ نوفمبر ١٩٠٧ » قال : « أما بعد فنحن باصدار هذه الجريدة لا ندعى أن فى الصحافة العربية فراغا جئنا لسده ، فان فى ذلك غمطا لحق من تقدمنا من العاملين ، فما « الدستور » والحالة هـذه الا محام جـديد انتدبته الأمة باقبالها على ســـهومه للمرافعة فى قضية مصر بأسلوب علمى ، ليصبح صوت الدفاع عن مصر حاصلا على كل ما يجعله محترما مسموعا » ٠

ثم تساءل : نحن فى أى دور من أدوار حياتنا الاجتماعية ؟ ثم أجاب : اننـــا فى حالة انتقال من دور جمود سياسى لبثنا فيه آمادا طويلة الى دور حركة وحيــــاة ، وهو دور يقتضى حركة فى الأفكار ، ويقظة فى العواطف ، وميلا شـديدا الى التجديد ، حتى فى العوائد والعقائد ، ولما كانت أمور الأمم تندرج تحت أصـــلين علميين : « الديانة والسياسة » فنحن الآن بازائهما على الحال الذى تكون عليه الأمم فى حال الانتقال من الميل لنبذ كل جمود فيهما ، وتقمص روحيهما فى صورة تنطبـق على محصـــولها العلمى ، ومبلغها من الشعور الاجتماعى ٠

ثم قال : ان الوسيلة العملية التى تحقق لهذه الأمة أمنيتنا فى الاستقلال ، وتمتعها بكل مزايا الأمم الحية هى اشـــعارها بحقوقها الطبيعية ، وكرامتها الذاتية ، وبعثها للمطالبة بها ٠

٢ – وقد حدد (فريد وجدى) أهداف صحيفة «الدستور» فى ثمان نقاط : (١) المطالبة بالحقوق الطبيعية التى يندرج تحتها الاستقلال والحكم الذاتى وبيان الحصول عليها عن طريق الآداب الاجتماعية السليمة · (٢) تقوية العاطفة الوطنية فى النفوس ، وهى العاطفة التى عليها مدار الوجود السياسى للأمم · (٣) العمل على ترقية الشعور العام بالحقوق والواجبات الاجتماعية واعداد النفوس لقبول عظات الحوادث والاستفادة منها · (٤) توجيه العواطف والأميال الوطنية المتبددة الى وجهة عامة مشتركة لتتوكد للأمة شخصية تامة الصورة يعرف لها حق فيحترم ، ويعلم لها وجود فيعتبر · (٥) تصوير موقف مصر بازاء الأمم عامة وبازاء السلطات التى تنازعها خاصة ، وتعيين واجبات المصريين حيال ذلك · (٦) البحث فى الأحزاب المصرية ومراميها · (٧) تنشيط حركة النهضة المصرية والدعوة للتعليم والتربية ، وارفاد كل مامن شأنه اعداد المصرى للاستقلال والحرية (٨) نشر مباحث فى العلوم السياسية والاقتصادية وتركيب الأمم والحقوق والواجبات الطبيعية ·

٣ – وقد ظهرت « الدستور » منذ اليوم الأول على هيئة صحيفة مساهمة جعل صاحبها نصف أسهمها للقراء ، وأعلن ذلك فى الصفحة الأخيرة ، وواصل ذلك الاعلان فترة طويلة على هذا النحو : « اطراحا للأنانية والأثرة ، واقامة على مبدأ اقتصادى ، بتخصيص نصف ايراد الجريدة لألفى سهم والسهم جنيه مصرى ، يخول لحامله الحق فى أخذ ما يخصه من ريع الجريدة السنوى » ·

وهكذا بدأت « الدستور » حياتها الصحفية على نحو جديد ، لها طابع عمرانى يمزج بين الدين والسياسة ، ويولى اهتماما كبيرا لبناء الأمة عقليا واجتماعيا ، ويرتفع فى شأن السياسة عن طابع الحزبية ، ويكشف الحقائق فى وضوح ، ولكنه لايتخلى عن طابع

الحزب الوطنى والجامعة الاسلامية ، وان ظل محتفظا بمنهجه العلمى الرفيع حتى فى اشد المسائل السياسية والوطنية .

ومن حقنا أن نتساءل لماذا صدر « الدستور » فى هذه الفترة بالذات « أواخر ١٩٠٧ » ولماذا حمل على صدره اسم « الدستور » بالذات ، ولماذا ترك هذا العالم الباحث الفيلسوف مكانه فى ذلك المجال الذى رسمه لنفسه من أبحاث العلم والدين والرد على شبهات المستشرقين والكتاب الغربيين فى مواجهة الاسلام والفكر العربى الاسلامى ، ان عام ١٩٠٧ يتسم بأنه عام انشاء الأحزاب فى مصر ، ففيه تكون حزب الأمة وصدرت «الجريدة» لسانا له ، وشكل (الشيخ على يوسف) حزبا أطلق عليه حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية ، واضطر الحزب الوطنى الذى كان موجودا بالفعل منذ السنوات الأخيرة من القرن الماضى ، الذى كانت جريدته «اللواء» تصدر منذ أول يناير ١٩٠٠ أن يعلن تشكيله ، وقد جاء ذلك كله فى أعقاب استعفاء (كرومر) الممثل البريطانى بعد ربع قرن من تمثيله بريطانيا فى مصر ، كان خلالها صاحب السلطة الفعلية ، بينما كان الخديو صاحب السلطة الشرعية لا يملك شيئا ازاءه ، وكان الخلاف على أشده بين (الخديو عباس واللورد كرومر) ، وكان (عباس) يغذى الحركة الوطنية كوسيلة لتثبيت مركزه ، فلما وقع حادث دنشواى ، واهتزت له الدنيا على اثر كتابات الوطنيين فى مصر وفى مقدمتها كتابات (مصطفى كامل) ، اضطرت بريطانيا الى تغيير ممثلها فى مصر ، وتغيير سياستها بعرض جديد على يد المندوب البريطانى الجديد (الدن غورست) وهو ماعرف اذ ذاك بسياسة الوفاق بين بريطانيا والخديو ، هنالك تحول الموقف الوطنى تحولا خطيرا ، فقد جنح « المؤيد » وصاحبه (على يوسف) الى صف الانجليز ، تبعا لتحول الأمير ، واضطربت الأمور وانفرط العقد الذى كان يربط الصحافة الوطنية «المؤيد واللواء» فى طريق

واحـد ، فأصبحت المؤيد موالية للخديو على طول الخط ، حتى فى خطوته الجديدة نحو بريطانيا، كما تحول «المنبر» الذىكان يصدره (احمد حافظ عوض ومحمد مسعود) ، وذهب (على يوسف) الى بريطانيا ، كما ذهب (حافظ عوض) ، وهناك أعلن كل منهما مايفهم منه أن بريطانيا أصبحت « كعبة » السياسيين المصريين ، وكانت الجريدة قد صدرت فى مارس عام ١٩٠٧ لسانا لحزب الأمة ؛ الذى تكون من أصحاب المصالح الحقيقية ، ومن طبقة السراة والأعيـان الذين كونهم الاحتلال كقوة مضادة لقوة نفوذ القصر والأمراء الأتراك الذين يشكلون السلطة العليا فى البلاد ، وقد اخذت « الجريدة » تكشف عن حقيقتها رويدا حتى اذا اعفى (كرومر) برزت مهاجمة الذين هاجموا تكريم (كرومر) ومضت تشـــيد به الى حد اعتباره أعظم سياسى العصر .

كل هذا الاضطراب الذى حـدث عام ١٩٠٧ كان خليقا بأن يدفع (فريد وجدى) وهو من المحبذين لمبادىء الحزب الوطنى ، المعجبين بالزعيم الشاب (مصطفى كمال) ، كان خليقاً به أن يدفعه الى الميدان ــ للعمل الصـحفى السـياسى على منهجـه وطريقتـه واسلوبه، «اسلوب العالم الفيلسوف» الذى ينظر الى القضية على أنها قضـية أمة تتكون ، وأن حاجتها فى الصحافة اليـومية انما تتمثل فى ترشيدها الى اكتمال بنائها الثقافى والاجتماعى على النحو الذى يحول دون دخائل النفوذ البريطانى فى مجال التحول الفكرى والسياسى .

ولمـا كانت هذه الفترة من الحركة الوطنيـة قد أخذت طابع الدعوة الى تحـديد نفوذ الأمير ؛ واعلاء شورى الأمة ؛ فى صـدى الدعوة الى الدستور والنظم النيابية والبرلمانية فى أوروبا ، ومن ثم فى الدولة العثمانية ، فقد استطاع الحزب الوطنى فى هذه الفترة أن يدفع أنصاره فى أنحاء البلاد الى توقيع ألوف الالتماسات الموجهة

الى الخديو لاصدار «الدستور» ، حتى كان طلاب المدارس العليا يواجهونه هاتفين بالدستور كلما شاهدوه فى عربته قاصدا الى مكان أو آخـــر ٠

ومن هنا تبدو شخصية (فريد وجدى) واضحة ، رصينة ، فى أن يتخذ من هذا المطلب السياسى الأساسى الخطير فى هذه الفترة اسما لصحيفة يومية تحمل اسمه ، وتظل تردد الدعوة الى المطالبة بالدستور كل يوم ، وربما كان هذا هو الذى دفعه بعد انتهاء الحرب العالمية واستعلان الدعوة الى صدور «الدستور» على أثر صـــدور تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ الى العـــودة للمطالبة بالترخيص باصدار « الدستور » كرة أخرى ٠

والواقع أن « الدستور » لم تكن حين صدورها من الصحف الكبرى التى تنفق عليها الأحزاب « كاللواء والجريدة والمؤيد » ولكنها استطاعت على هذا النحو الذى نهجته أن تلفت اليها الأنظار ، وأن تحوز مركزا ضخما ، فى العالم الاسلامى ، وأن تجمع حولها مختلف طوائف الأمة ، بين ذلك الحشــد الضخم من الصحف التى كانت تصـــدر فى هذه الفترة « الأهرام والمقطم واللواء والجريدة والمؤيد والمنبر والوطن ومصر » ٠

٢ ــ طابع الدستور

والحق أن « الدســتور » كان له طابع متميز واضح الدلالة والهدف ، فهو موصول بالحزب الوطنى ، ولكنه يختلف معه فى أمر أو آخر ، وهو مؤمن بالجامعــة الاســلامية ، ولكنه يؤمن بالوطنية المصرية اساسا ويهاجم من يغض من قدرها، وقد يميل نحو الدولة العثمانية ، ولكنه لايقبل أن يكون عميلها أو أن يؤيدها الا بالقدر الذى يراه حافظا للقوة الجامعة التى تحول دون هدف الاستعمار من السيطرة على العالم الاسلامى بتمزيقه ، والقاء الخلاف والصراع بين العرب والترك ، وبين المصريين والعرب والأتراك وهكذا ٠

ومن هنا كانت حملته الضخمة على الاستعمار وعلى الاحتـلال البريطانى وعلى (كرومر) ، ومهاجمته الشديدة للصحف الموالية للاحتلال والكتابها ، ولكل من ينحرف عن طريق الوطنيـة .

وأبرز معالم « الدستور » هو بنـاء الأمة اجتماعيا على نحو علمى دقيق ، يجمع بين الوطنية والدين : « اذا كانت الأمم يدعوها نجباؤها للنهوض باسم العـلم الاجتماعى وحده ، فنحن ندعوها باسمه وباسم الدين معا ، فليعرف كل منا أنه حى له حق الأحياء ، وان الله خلقه حرا ، فلا يسلبن حريته انسان مثله بأى حجة ، أو بأى وسيلة ، وانه عائش فى هيئة اجتماعية هى عائلته العامة ، التى يحب لهـا الاعزاز والكرامة ، وليعلم كل منا أنه مؤيد لكل سـلطة قائمة فى بلاده بما يبذله من الطاعة لها . ودعوته الى العزة والكرامة مطردة لاتتوقف .. أيتها الأمة : العـزة العـزة ، دوسى تحت قدميك كل شرف وهمى ، وكل عظمة باطلة ، حقرى كل كبير لاينفع بلاده ، وازدريه ، ولا تأبهى له ، وعديه سقطا » .

ثم يهاجم كل من يحاول أن يثبط همة الأمة أو يصفها بالضعف والتخاذل : « ان الناظر الى طبيعة الأمة المصرية بعين الانصـاف لا يقول فقط بكفاءة هذه الأمة لمجاراة سواها ، بل يميل للحـكم بأنها أصـلح الأمم للارتقـاء ؛ وأحقهـا بكرامة الأحياء ، لـم يثبت للباحث الاجتماعى أن العنصر « المصرى » أقبل العنـاصر للارتقـاء فقط ؛ بل ثبت لنا ان طبيعة المقاومة فى هذه الأمة تفوق كل طبيعة أخرى ، فقد توالت عليها ضروب من الفتوحات العنيفة ، وانصبت عليها من الغارات البربرية ما كان يكفى لأن يستأصل حيويتها من زمان بعيد .. » .

وهو متطلع دائما الى الثقافة العالية للأمة : « ليس مرادنا من التعليم فتح الكتاتيب فى القرى ، ذلك أمر منفذ فى بابه ، بل لابد

منه ، وانما مرادنا نشر التربية التى تمكن النشء من المكافحة فى ميدان الحياة الاقتصادية ٠٠ » ٠

ويصدق رأيه فى النظرة البعيدة على ضوء مراجعة الواقع ، وقد كان من أوائل من أعلن ـ وذلك عام ١٩٠٧ ـ ان دول أوروبا متواطئة على تجزئة « الدولة العثمانية » وأن الاستعمار يعمل على الفصل بين مصر وأجزاء العالم العربى والاسلامى بدعوى أن ذلك ينافى الجامعة الوطنية ، ويناقض الفكرة الدستورية ٠ ومن رأيه أن ذلك سيؤدى الى أن يتم لتلك الأمم المغيرة على الشرق الاسلامى ابتلاع أممه أمة بعد أخرى ٠ وقد دعا (فريد وجدى) فى هذا الوقت الباكر الى التنبه لما يريده الاستعمار ، وأن يفهموا مايراد بهم ، والا ينخدعوا بالتمويه السياسى الباطل ٠٠ وقد صدقت نظرة (فريد وجدى) فقد كانت الخطة المرسومة حقيقة منذ ذلك الوقت هى تمزق الروابط بين أجزاء العالم الاسلامى والعربى ، لتحقيق ما تم فى نهاية الحرب العالمية الأولى من السيطرة على مختلف هذه الأجزاء واحتلالها ٠

وقد ناضل « الدستور » عن قضيتين اعتبرهما قضية واحدة : هما قضية الدين ، وقضية الوطنية ، لأن العقيدة والوطنية فى نظر (فريد وجدى) صفتان متلازمتان ، يجب أن يقوما بالوطنى الفاضل بمعناهما الأكمل ، فالدين مأوى الروح والوطن مأوى الجسد ٠

ولعل من أبرز معالم طابع « الدستور » هو تلك الافتتاحيات الاجتماعية التى حرص دائما على أن تبرز هدفه وسياسته ، ومن عجب أن ترى عناوين هذه الافتتاحيات على هذا النحو : كيف تعز الأمم وكيف تذل ، الحقوق الطبيعية للأمم والأفراد ، واجبات

الفرد نحـــو وطنه ، الدين والوطنية معـــا ، مزاج الأمة المصرية وشخصيتها خلال الأدوار .

وفى افتتـــاحية له تحت عنوان « الاخـــلاق شرط أولى فى استقلال الأمم » (١) يقول : « من الوهم : أن يظن ان مســألتنا الســـياسية تحل بمحض حل مســـألة الاحتـــلال الانجليزى ، فقد يزول هذا الاحتلال ويتلاشى ، ونظل كما نحن الآن مأسورين مستبعدين لكثير من أنواع الاحتـــلالات الأجنبية التى ليس مدار اخراجهـــا الســـياسة ولا القوة ، ولكن استقامة الأخلاق وقوة الارادة .. ان الذى ينقصنا فيما نرى تقوية روابطنا الاجتماعية من الأخلاق واللغة والوطنية ، حتى يتسنى لنا أن نكون مجموعا متماسك الأجزاء ، يقاوم عوامل التحلل المتسلطة عليه من جميع جهاته ، ان الأخلاق فى الأمم رابطة مقدسة ، وهى ان انحطت فى أمة مستقلة أوجبت انحلالا يقابلهـــا فى الروابط الأخرى ، ولا تظهر آثارها السيئة ما دامت الأمة محمية من جميع الطوارىء الخارجية ، ولكنهـــا لو دعيت للوقوف بازاء أمة أخرى ظهر ذلك الانحلال فيها بأبشع أشكاله ، وكان الفوز لخصيمتها لا محالة فى غالب الأحيان .

من كان يظن أن الأسلحة تغنى عن الفضـــائل فقد ظن أن السيف يغنى عن اليد التى تضرب به » .

ولم يتردد (فريد وجدى) فى نشر دراساته فى علم الاجتماع مبسطة فى صحيفة سياسية يومية ، حتى مقالاته السياسية كانت ذات طابع علمى عقلانى ، يقوم على أســـاس نقاط تطرح ويجاب عليها .. وقد تميز «الدستور» عن الصحف اليومية المعاصرة له

(١) الدستور فى ١٣/١/ ١٩٠٩ .

بمظاهر كثيرة من أهمها : أن كان (فريد وجدى) يفسح صدره وصدر جريدته لكل رأى مهما كان معارضا ؛ ينشره بالكامل أو يلخصه تلخيصا وافيا ، ولو تعرض له هو شخصيا بالنقد أو السخرية ، ثم يجيبه اجابات رصينة ، لا تحفزه المعارضة فى الرأى الى الخروج عن حدود الذوق والخلق الذى استنه لنفسه .

هذا فضلا عما اتسم به الدستور من تولية الاهتمام للمرأة ونشاطها ، فقد كانت زوجته (فاطمة راشد) تلى جمعية ترقية المرأة وقد أنشأ لها بابا يوميا تحت اسم « منبر الأوانس » حفل بكثير من الدراسات والأبحاث والرسائل .. أما أبرز طوابع « الدستور » فهو الاهتمام بالحركة العلمية الأوروبية ؛ وهو باب ثابت يجىء أحيانا فى الأعمدة الأولى للصفحة الرئيسية ، يوالى فيه تقديم خلاصات الحركة العلمية ، فلما وسع الجريدة بعد عام افسح صفحة كاملة للدراسات والأبحاث المدنية فى مختلف مجالات السياسة والعلم والاجتماع والفكر ، كما يبدو بارزا فى صفحات الدستور الاهتمام بالصحة والأمراض وأبحاث اطالة الحياة عن طريق العلاج الطبيعى ، كما ضمن الجريدة صفحات مختارة من التراث العربى وآيات البلاغة والكلمة المسلمة .

وقد عنى بعد قليل من صدوره بالصورة ، كما رفض طوال حياته أعلانات الخمور والعقاقير والتدجيل .

وقد والت جريدة الدستور الصدور منذ ١٦ نوفمبر سنة ١٩٠٧ حتى توقفت فى أوائل سنة ١٩١٠ ومجموعاتها فى دار الكتب بالقلعة تمر مستكملة وان كان لا يوجد عدد منها من يناير الى مارس ١٩٠٨ ، ومن يوليو ١٩٠٩ الى نهاية الفترة الأولى .

وقد كان أبرز كتاب الدستور فى هذه الفترة (أحمد وجدى (شقيق فريد) وعباس محمود العقاد) وبه كتب كثير من أصحاب

الأســـماء الشابة التى لمعت من بعـــد ، كما كتب فيه (ابراهيم عبد القادر) « الذى عرف بالمازنى فيما بعد » ·

٣ ـ معاركه السياسية

وفى سنوات الدستور الثلاث كان (فريد وجدى) شعلة من العمل الفكرى والسياسى ، لا يشـــاركه فى التحرير الا (عبـاس محمود العقاد) الذى بدأ حياته الصحفية فى الدستور ، وشقيقه (أحمـــد وجدى) المحامى الذى ولى منصب مدير تحرير الدســـتور فى العام الثانى للجريدة ·

وقد كانت « الدستور » لسانا من ألســـنة الحركة الوطنية ، والجامعة الاسلامية ، والمطالبة بالدســـتور ، وسفيرا من ســـفراء التوفيق بين العلم والدين ، وخصـــيما للاســـتعمار والاحتـــلال البريطانى لا يتردد فى معارضة الحزب الوطنى؛ ومخاصمة الخديوى فى أى تصرف يراه خارجا عن مفهومه السياسى الوطنى الاسلامى ، ولقـــد بلغ به الأمر أن خلع بيعة لجنة الحزب الوطنى واعتبرها خارجة على النهج الذى رسمه (مصطفى كامل) ·

ولقد كانت الدستور أول أمرها تحلى بشعار : « جريدة يومية سياسية تجارية » ثم أصبحت بعد ١٩ أبريل ١٩٠٩ « لسان حال المقيمين على المبادىء الأصيلة للحزب الوطنى» وذلك على أثر خلافه مع لجنة الحزب الوطنى التى عدها مخالفة لمبادىء الحزب نفسه، ثم أصبح شعارها بعـــد ١٦ مايو ١٩٠٩ « جريدة يومية سياسية اســـلامية » وقد هاجم وزارة (مصـــطفى فهمى) ، ثم هاجم فكرة اختيار (بطرس غالى) رئيســـا للوزارة ، وقال فى معارضتها : « لسنا نزعم بأن صفة المصرية القائمة بنا جميعا قد محقت ســـائر

الفروق المذهبية ؛ وتغلبت على جميع نزعاتها الدينية فجعلتنا أمة واحدة متحدة من كل الوجهات الاجتماعية » ٠

وهاجم الشاعر أحمد شوقى « شاعر الأمير اذ ذاك » على أثر تصريح له ، وكان هجـومه عليه منصبا على انصرافه عن الحـركة الوطنية الى مدح الأمير ، ومما قال فى ذلك (١) : « نشأ شـوقى شاعرا فصرف مجهوده فى مدح الخديو السابق ، فقلنا شاب ألجأته الحاجة للتوظف ، فهو يحاول أن يتمكن من وضـعه بهذا الضرب من الشعر فى عصر يعد فيه المديح صناعة العاطلين ٠٠ ولو أحصى الشعر الذى قاله شـوقى فى المديح والتشبيب لبلغ عشرين ألف بيت وزيادة ، لا تحفظ له الأمة من كل هـذا الشـعر الا بيتا واحدا هـو :

فانما الأمم الأخلاق ما بقيت   فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولو كان استعمل الشعر فيما أريد منه فى هذا العصر لما تغنى النشء الجديد اليوم الا بأقواله ، ولكان له على عقول الناس أكبر تأثير ٠

هل من الوطنية التى تليق بشاب عصرى أن ينكمش فى جدار ديوان ، مثله كمثل الببغاء فى قفص ، ثم يفتح حياته السـياسية بتصريح لم يبق فى مصر عقل يدرك ، الا عده مروقا من الوطنية، تصريح يرينا انك قد انتحيت ناحية عن معنى الوطنية غير مبـال بما يجلبه عليك من سخط أبطالها ، حرام عليك أن تعقل مواهبك فى سبيل حياة زائلة ، وحطام قليل ، وانما العيش أيام معدودة والعمر رأس مال كبير » ٠

---

(١) الدستـور ٢ اكتوبر ١٩٠٨ ٠

وتكشف هذه الكلمات منهج (فريد وجدى) فى فهم الشعر وموقف الشـــعراء ، ومذهبه فى الحياة والســـياسة جميعا ، فهو لا يبالى أن يهاجم شاعر الأمير ايمانا بمذهبه ، الذى اختطه لنفسه .

بل انه هاجم الأمـــيرة نازلى فاضل وهى من أسرة الخـديو الحاكم ، فى تصريح لها هاجمت فيه مصر والمصريين فقال : « تفتخر الأميرة بحسبها التركى لأنه اليوم أرقى حالا من الجنس المصرى ؛ من حيث شكل الحكومة وآداب الأفراد ، ولكنها لو ألقت بنظرها الى الحـوادث الماضـية رأت أنه بينما كان المصريون يضـعون أسس العلوم والصـــنائع ، ويبنون الأهرام التى قاومت الازمان ، كان الأتراك هملا على أخس حالات البشرية .

من ذا الذى يظن أن الأمة العربية التى أحدثت أكبر حوادث التاريخ ، ورفعت البشرية درجات عديدة عن مستواها الأول تعود اليوم الى جاهليتها .

ولا أدرى كيف يطلق لقب أميرة مصرية على من تحقر الجنسية المصرية ، وتمتهن عوائد المصريين ، ان الامارة فى أمة من الأمم ، وخاصة فى هذا العصر الذى عرف فيه النـــاس وجودهم الذاتى ، لا تكون بانتحـال الألقاب ؛ وسكنى القصـــور بل بالصفات العالية والخلائق الجليلة ، ان هذا الرجل الذى خرج من وسط الشعب لم يرفعه فى الأمة نسب ولا نشب ، وانما رفعته خلال نفسية جعلت له من المكانة فى نفوس قومه ما ليس لأمير .

ان الأمم التى وصلت الى هذا التمييز لدرجة رفع الانســـان بصفاته الذاتية ، وان كان حقيرا ، أمكنها أن تسقط المتعالى بالأوهام وان كان أميرا » .

وهكذا يبدو (فريد وجدى) وقد ارتفعت به مفاهيمه وقيمه

فوق الأجناس والدماء .. والسلالات العريقة ، ولو كان غير ذلك لما هاجم (فريد وجدى) الجنس التركى ، وهو الموسوم بأنه من أصـــل تركى أو جركسى ، بل انه بلغ فى صـــدق موقفه ومطابقته لمعتقداته ، أنه هاجم الخديو هجوما ضخما بالغ القوة والوضوح ، تعليقا على كلمته فى الجمعية العمومية (١) . حين قال : « لم ينوه الجناب العالى فى خطبته فى الجمعية العمومية بخمسة وستين الف طلب مقدم اليه بشأن الدستور ، لم ينوه بالحادث الجلل فى تاريخ هذه البلاد وهو حادث العرائض التى قدمها له الحزب الوطنى موقعا عليها من أكثر من خمسة وستين ألف انسان فى هذه البلاد ، وكان يجدر بالجناب العالى أن يمر على ذكره والتنويه به والاجابة عنه ، اما اغفاله بالمرة واعتباره كأن لم يكن فهو اغفال لأعظم حادث من حوادث البلاد السياسية التى يهتم بها الملوك والقادة ، وقد جاءت خطبته مغفلة ذكر الدستور ، وهو الأمر الذى شغل الناس كلهم على اختلاف نزعاتهم، وشغل جميع الصحف، فاغفال ذكر نية الحكومة ازاء هذه الميول المجمع عليها يعتبر اغفـالا لأعظم المطالب الوطنية التى شغلت بال النـــاس ، فاذا تدبرنا الخطبـــة مجردة عن هذين المادتين وجدناها لا تخرج عن كل خطبة سابقة » .

كما هاجم تقييد حرية الصحافة ، ولما اعلن الدستور فى الدولة العثمانية « يوليو ١٩٠٨ » جدد الدعوة الى المطالبة بالدستور، نابعا من الأمة ، لا منحة من بريطانيا يقول : « لا نأخذ الدستور من بريطانيا لأنه اذا كانت انجلترا بعد خمس وعشرين ســـــنة من احتلالها تبـــدأ فى وضع الأساس بتوسيع اختصاصات مجالس المديريات فاحسب بعد كم سنة تحكم بنجاح التجربة » .

وهو يهاجم (دنلوب) مستشار وزارة المعارف ، ولا يخلى

---

(١) الدستور ٢ فبراير سنة ١٩٠٩ .

ناظر المعارف (سعد زغلول) من العجز عن مقاومة أهداف الاحتلال البريطاني في وزارة المعارف ٠

ويولى اهتماما لا حد له لمشروع « الجامعة المصرية » ، ويوالى حملته أياما بعد أيام في سبيل استنقاذ المشروع من فرض نفوذ الاحتلال البريطاني عليه بايقافه أو تحويله عن هدفه ، معلنا (١) أنه يجب أن يؤخذ المشروع من أيدى الموظفين ، ويسلم لزعيم الحزب الوطني ، باعتباره صاحب الفكرة والنواة الأولى لمشروع الجامعة ٠٠ وعنده أنه لا يمكن أن تقوم لهذه الجامعة قائمة ، الا اذا كانت لها أوقات ثابتة لا يقل ايرادها عن ٢٥ ألف جنيه سنويا ؛ وأن هذا القدر من المال لا يمكن استغلاله الا من نحو ٣ آلاف فدان ، وأن الطريقة الضامنة لايجاد هذا القدر من الأطيان هي أن يؤلف وفد من أكمل أفراد الشبيبة المصرية أدبا وعلما ، يأخذ على عهدته أن يطوف القرى والمدائن ، ويدعو الأمة « أن تبادر بانقاذ مشروعها من أيدى الموظفين لئلا يدركه الذبول » ٠

ولم يتردد أن يفضح أغراض الاحتلال البريطاني ، فأعلن أن المقربين للاحتلال صرحوا بأن الانجليز يكرهون انشاء هذه الجامعة ، وقد نوه بعض مستشاريهم بذلك في خطبة له بمناسبة نهضة الكتاتيب ، فبطلت حركة الجامعة ، وضعف أدرها ، وما ضعف الا بوجودها في يد الموظفين الذين يخشون سطوة المسيطرين مهما كانت شجاعتهم الأدبية ٠

وقد اهتم بهبة (حسن زايد) للجامعة « ١٩ ابريل ١٩٠٨ » وكتب عنها خمسة أعمدة ، وهاجم «المؤيد» لموقفه من مشروع الجامعة، ثم هاجم الاسراع باعداد الجامعة للتدريس مبتدئة بالكماليات « ٤ مايو ١٩٠٨ » ٠ ثم واصل هذا الحديث كاشفا عن اتجاه الحكومة نحو الجامعة في خدمة السياسة البريطانية ٠

---

(١) ١٤ ابريل ١٩٠٨ ومابعده «جريدة الدستور» ٠

وكان للدستور موقف واضح تجاه الوحدة الاسلامية ، وهى الرابطة القائمة اذ ذاك فى ظل الدولة العثمانية ، على النحو الذى يفهمه الحزب الوطنى ، وهو موالاة تركيا فى سبيل مقاومة بريطانيا ، وأن الاحتلال البريطانى هو العدو الأول والأكبر ، أما الصلة بالدولة العثمانية فأمرها يسير فى الاتفاق عليه باعتبار مصر دولة مستقلة وفق الفرامانات الدولية .. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد كان الكاشفون لهدف الاستعمار « ممثلا فى الدول الأوروبية الكبرى » وخططه الضخمة المتوالية ، يرون أنها كانت فى مجموعها تهدف الى اضعاف الرابطة بين العرب والترك والمصريين من أجل تمزيق هذه الوحدة ، والسيطرة على هذه الأقطار وتقسيمها ، وقد سبقت خطة « سايكس بيكو » التى عرفت خلال الحرب العالمية الأولى ونفذت فى أعقابها ، التى قضت بتقسيم العالم العربى بين بريطانيا وفرنسا ، خطط أخرى كثيرة معروفة ، منذ بدأ الصراع بين فرنسا وانجلترا فى الحملة الفرنسية وحملة البريطانيين الأولى بقيادة ويلسن والحملة البريطانية الثانية بقيادة فريزر ، وانشاء قناة السويس وشراء بريطانيا لأسهم القناة ، والاحتلال البريطانى لمصر ، والاتفاق الودى بين بريطانيا وفرنسا ، والحملة الضارية على الدولة العثمانية ، وعلى (السلطان عبد الحميد) ، وهى حملة أخذ قيادها فى الأغلب بعض أعوان بريطانيا من مرتزقة الصحافة والسياسة وفى مقدمتهم « فارس نمر ، وصابونجى ، ويوسف الخازن ومراش وسركيس) وهم الصحفيون العملاء الذين عملوا بين عواصم مصر وبريطانيا وفرنسا ، وحملوا لواء الهجوم على الخلافة والدولة العثمانية والاسلام ، ازاء هذا كانت طائفة من المستنيرين المحنكين الفاهمين لهدف بريطانيا والاستعمار يدعون الى الاصلاح ، ويحافظون على بقاء هذه الرابطة بين أجزاء الدولة العثمانية مع الدعوة الى الدستور والحكم النيابى ، فى معارضة لرأى القائلين بالفصل بين الترك والعرب والمصريين ،

ولم يكن هؤلاء ، وفى مقدمتهم (فريد وجدى) يهدفون الى اعـــلاء شأن تركيـــا أو يدفعهم الى ذلك شعور ذاتى ، أو شعور مرتبط بالأجناس والدماء والسلالات العرقية ، بقدر ما كان يدفعهم شعور المقاومة للاستعمار الغربى الذى كان قد وضع أمامه منذ ســـنوات طويلة هدف تمزيق الدولة العثمانية وابتلاعها ، وظل يعمل دون توقف على اثارة الخلافات الجنسية والدينية والقبلية والفكرية بين أجزائها بغية اسقاطها ٠٠ ومن هنا كانت دعوة (فريد وجدى) الى الحفاظ على هذه الوحدة ، والتجمع حولها خلال هذه الفترة ، فان (فريد وجـــدى) ليس من رجال الســياسة أو الدبلوماسية أو المبرزين فى مجال المناورات ، أو المداورين فى دروب العلاقات بين قصور يلدز وعابدين ؛ أو بين الأمراء والوزراء وكبار رجال المابين او السـفراء والقناصل ، فذلك شأن لايجيده هذا الرجل الذى عرف بسمت العلماء والفلاسفة ، انما كان يعالج هذه الأمور من نافذة واحدة ، هى نافذة ايمانه بالخط الذى رسمه (جمال الدين الأفغانى) مؤمنا بارتباط الدين والسياسة معا وفق مفهوم واضـــح لجوهر الاسلام ٠

يقول : الذين يزعمون اننـــا نخلط بين الدين والســـياسة لا يعرفون من الاسلام الا أنه دين ، ويغفلون أو يتغافلون عن أنه رابطة أصيلة لأمة تبلغ نحو الثلاثمائة مليون نسمة منبثة فى أرجاء الأرض ٠

ان خلط السياسة بالدين فى أوروبا يعد من أكبر الجرائم لأن للدين لديهم سقطات لا تغتفر ، بل هو لديهم الكابوس الذى ألم بمدنية الرومان فجمـدها ، وضرب بأيديه وأرجله على جميع الأمم الآخذة به ، فطمس معالمها خمسة عشر قرنا متوالية ٠٠ وعنده أن الاسلام غير ذلك ، فهو تعاليم اجتماعية وقوانين نظامية ونواميس حيوية ٠٠ بل ان الاسلام « عقد اجتماعى » أخذه الله على طائفة من

الناس سماهم المسلمين عاهدهم به على التبرؤ من كل العقائد والتقاليد والأوهام .

وليست «الجامعة الاسلامية» عنده الا نوعا من هذه الوحدات التى كانت تقوم فى كل مكان فى العالم فى عصره فى قرن يمكن أن يسمى بعصر الجامعات الكبرى .. فهناك الجامعة التى جمعت شعوب أمريكا ، وهناك الجامعة التى تقوم فى الشرق « تحت زعامة اليابان والصين » وهناك جامعة أوروبا ؛ وهناك الوحدة الألمانية ، فلماذا لا تقوم فى هذه المنطقة جامعة من شعوب يجمعها فكر موحد، ومفاهيم متقاربة ؟

كان (فريد وجدى) ينعى على الكتاب انصرافهم عن الدعوة لهذه الجامعة ، والاستسلام للدعوة الاقليمية ، والانصراف الى الحركة الوطنية المجردة ، أما هو فكان يزاوج مزاوجة كاملة بين مفهوم الدين ومفهوم الوطنية . ولقد كانت هذه الدعوة تحمل فى أعماقها طابع مقاومة الاستعمار والنفوذ الأجنبى أساسا .

ولقد كانت هذه المرحلة القصيرة من حياة الدستور «١٩٠٧ - ١٩١٠ » حافلة بالأحداث والمواقف فى الحركة الوطنية الداخلية وأحداث العالم الاسلامى ، وأهم ذلك : اعلان الدستور العثمانى ١٩٠٨ ، وعزل (السلطان عبد الحميد) ١٩٠٩ . وقد ظل موقف (فريد وجدى) ازاء هذه الأحداث كما هو ، موقف المؤمن بضرورة التئام العالم الاسلامى ، ومقاومة كل ما يحاول تمزيق هذه الوحدة .

بل انه أخذ يوجه رسائله على هذا النحو « خطاب مفتوح الى العالم الاسلامى » محاولا الحيلولة دون تمزيق الرابطة، وكاشفا عن مؤامرات الاستعمار فى الايقاع بين العرب والترك والمصريين .

٤ ـ الدستور بين الصحف والأحزاب

الحق أن موقف جريدة «الدستور» وصاحبها كان بين الصحف والأحزاب غريبا وعجيبا ، فلم يكن فريد وجدى سياسيا محترفا ، ولا صحفيا محترفا ، وهو بمقاييس السياسة والصحافة قد فشل فشلا لا حد له ، أما اذا كانت النظرة قائمة على القيم والمثل فى مجال العمل السياسى والصحفى فلا شك كان (فريد وجدى) من الأمثلة الباقية فى تاريخ الصحافة العربية ، وانه كان علما على مدرسة صارعت فى سبيل كلمة الحق ، معتصمة بقيم الخلق والصدق ، ولم تستطع هى أيضا أن تكمل رسالتها ، وفى مقدمة هؤلاء (عبد العزيز جاويش ، وأمين الرافعى وأحمد وفيق) .

ولقد صدر « الدستور » فى أشد الظروف التى واجهتها الحركة الوطنية قوة وعنفا ، وقد واجه « فريد وجدى » الأمور بمثله ومفاهيمه ومقاييسه ، ولم يقبل مقاييس المطاولة ومجاراة التيار ، حتى مع الحزب الوطنى نفسه الذى كان ينتسب اليه .. نعم ، صدر « الدستور » فى ظل ظهور الأحزاب الثلاثة ، وتبلور مفاهيم الصحف الوطنية الثلاث على النحو الذى أصبح معروفا .

« الجريدة » : لسان حال حزب الأمة الذى يمثل السراة والأعيان وأصدقاء الاستعمار البريطانى ممن أسماهم كرومر « أصحاب المصالح الحقيقية » و « المؤيد » لسان حال الخديو وما أسماه الشيخ على يوسف « حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية » يتجه كيفما يتجه ، وهو فى هذه الفترة وبعد ذهاب كرومر وقدوم « غورست » قد صالح بريطانيا ، وقبل الاتفاق الودى الذى أطلق يده فى كل ما كان يطمح اليه .

أما « اللواء » فهو صحيفة الحزب الوطنى ؛ ومن هنا كان موقف فريد وجدى واضحا من القوى الثلاث والأحزاب الثلاثة .. وهو موقف لا يحسد عليه ، فقد صارع لطفى السيد وعلى يوسف ثم صارع الحزب الوطنى نفسه .

❋ ❋ ❋

١ – أما «المؤيد» فان صلة فريد وجدى به قديمة منذ انشائه، وقد كان مسرحا لكتاباته ، يوم كان أول الصحف الوطنية وصاحب المواجهة الفعلية للمقطم ، لسان حال الاحتلال ، غير أن الأمور تحولت بجريدة المؤيد وصاحبها على يوسف بعد ظهور حزب الأمة، بعد أن أدار الخديو ظهره للحركة الوطنية .. وقد هاجم فريد وجدى هذا الاتجاه فى مواجهة شاملة لموقف الصحف من العمل الوطنى وبناء فكر الأمة وتوجيهها ، يقول : « ان المصرى اليوم بين يدى أفراد من الكبراء قد كتب الله عليهم الذل والاستكانة ، وحبب اليهم الخسة والمهانة ، وكتاب قد أشربوا فى قلوبهم نفاقا ودناءة ، وأخذوا آمال الأمة احتيالا ، ولا هم لأحدهم اليوم الا البذخ والترف والعيش معيشة أولى النعمة، فهم يشايعون أولئك الكبراء المترفين فى جبنهم ليشاكلوهم فى ترفهم ، فالأولون يستقون لهذا الأمر كأس الذل بما يفرطون فى حقوق بلادهم ، والآخرون يصدقون فى تقريظهم » (١) .

ثم أعلن أسفه على تحول «المؤيد» (٢) تلك الجريدة التى كانت قبل عشر سنين قوة من قوى الأمة ، والحاجز الحصين ضد الانجليز على مااستحلوه لأنفسهم ، كأن الله مسخ فؤاد محررها فأخذ اليوم يعترف ويؤمن بما كان ينفر منه ويعده كفرا بالأمس ،

(١، ٢) ١٩٠٨/٤/٥ – الدستور .

وعنده (١) ان الاثم فى موقف (الشيخ على) ، ومضيه فى تقلبه واستهزائه بالامة وأميالها عائد على الأمة بأكثر مما يعود عليه ، لأنها لم تشدد مؤاخذته ، ولم تحاسبه حسابا دقيقا فى ذلك ، فاستهان بالرأى العام ، الى أن قال انه يغضب الرأى العام بمقالة، ويرضيه بمقالة ، وأن (الشيخ عليا) سيظل على ماهو عليه حتى يشتد ساعد الرأى العام فينكل بالمتقلبين تنكيلا أدبيا صارما .

وقد صور (فريد وجدى) تحول «المؤيد» (٢) ، فقال : « كان المؤيد بالأمس عدو الاحتلال الألد ، والخطر الاكيد عليه ، فكان كرومر يخشى بطشه ، ويعده قوة وطنية يحسب حسابها ، أما اليوم فانى أقول بالبرهان الذى بين يدى أن المؤيد اليوم بدل سياسته الأولى ، واتخذ له أسلوبا رضى عنه المحتلون حتى سموه بجريدة المعتدلين .

لو كنت تطالع «المؤيد» منذ خمسين سنة ، واطلعت على الحملة المنكرة الساقطة التى كان يحملها على المويلحى من أجل حادثة ، لتعلمت درسا جديدا فى الحكم على الرجال» .

ومما قاله (فريد وجدى) : « لقد تحول المؤيد عن خطته ، وتغير عن سابق طريقه ، كان اعتقاد الناس أن يقرءوا فى المؤيد غارات شعواء ضد الحكومة وسيرها ، فخلف ذلك كله مسالمة ظاهرة ، ثم اتفق أن ذهب صاحب المؤيد الى لوندرة ، فاحتفل به، فخطب خطبة سياسية شفت عما فى صدره من التحول الى سياسة الملاينة والمخادعة ، فأكد للناس صدق ظنهم فى تحوله عن منهاجه الأول .. وقال بعضهم : انه تابع فى سياسته لبعض المصادر العالية وقد أشارت عليه بالصمت فامتثل » .

(١) ٨ ابريل ١٩٠٨ الدستور .
(٢) الدستور ١٣ ابريل ١٩٠٨ .

٢ ـ أما «الجريدة» فقد كان لها النصيب الأوفى من حملات (فريد وجدى) وكان (لطفى السيد) موضع مؤاخذة صاحب « الدستور » فهو عنده (١) قد بدأ حياته السياسية ضعيف القلب خائر العزيمة يائسا أو قريبا من اليأس ، وادار جريدته على مبدأ يغاير مبدأ الحزب الوطنى كل المغايرة ، فما كان يقرأ القارىء فى تلك الصحيفة الا حملات عنيفات على الشعور الوطنى وطلاب الاستقلال ، بحجة أن الأمة لاتزال عمياء صماء بكماء ، وأن كل الذى فيها حركة مصطنعة اوجدها بعض السياسيين المتحمسين الذين لاينظرون الا لمصلحتهم الذاتية ، فلم يمض على (لطفى السيد) فى هذا الظن عام حتى توالت عليه من الضربات ماجعله ينظر الى الأمة بنظر غير النظر الذى دخل به معها فى معمعان السياسة .

ويقول (فريد وجدى) : «ليس تحت سماء مصر من يجهل المبدأ الذى تكونت من أجله «الجريدة» والأصابع الكرومرية التى اقامتها لاطفاء جذوة الشعور الوطنى التى أشعلها (مصطفى كامل) فى أفئدة المصريين فقضت سنتها الأولى فى نكران مبدأ الوطنية ، وتهجين الحزب الوطنى ورجاله ، فلما دالت دولة كرومر ووجدت الجريدة نفسها بالعراء ، سقط فى يد مديرها الذى أجاد الدفاع عن مظلومى دنشواى» .. وهاجم (فريد وجدى) شعار «المنفعة» الذى رفعه (لطفى السيد) مدير الجريدة فى مجال السياسة والوطنية يقول : تكلم لطفى السيد عن الوطنية كلاما يعد فى علم الفلسفة اليوم من بقايا القرون المظلمة التى كان فيها أمر النوع الانسانى قائما على مبدأ المنفعة المادية المحضة ... والحاجات الحيوانية الصرفة ، ولم يدر أن العالم الانسانى قد تدرج نحو الكمال ، فهو كل يوم يطلب وجودا أرقى ، وحالا عن حالات الحيوانية أبعد ..

(١) الدستور ١٨/٥/١٩٠٨ .

ويظهر لى أن لطفى بك قليل الاطلاع على معارك الافهام ، والهمم فى العالم الاجتماعى .. فهو من امثال نظرية الوطنية والمنفعة فى دورهما الاول .. خطيب يقوم فى القرن العشرين وسط أمة فى مضطرب الأمم ومزدحم المذاهب الاستعمارية ، تعتبر عطشى لسلسبيل العلم الراقى لتحل به غوامض المتناقضات التى تراها بين يديها ومن خلفها ، فلا يواتيها من نظرية الوطنية والروابط الاجتماعية الا بأحسن ما كانت عليه أيام كان الرجل يسلب جاره ، عاملا على مبدأ «المنفعة» نعم ، قامت الوطنية على المنفعة ، كما يقول ، ولكن غاب عنه ان المنافع ارتقت فى ذاتها ، وفى نظر الأمم فبعد أن كان الانسان يرى أن المنفعة هى ان يعيش على هيئة قبيلة ، وأن يطارد جميع مجاوراته من القبائل كما هى حال الوحوش الهائجة ، ارتفعت المنفعة فى ذاته ، واتسعت نظريته الاجتماعية فى نظره ، فمال لتكوين امة ، فانساق لتوحيد قبائله ففعل ، فقامت الأمم وكان من لوازم اتساع نظرية الوطنية ارتقاء شخص المنفعة ، وكانت المقدمات التى تبذل للتمهيد لعصر تلك الحياة الاجتماعية الراقية التى يتسع معها معنى الوطنية ، فلايقصر على ابناء البلد الواحد ، وانما ينشر مبادىء الأخوة الانسانية .

وقد بدت مقدمات هذا العصر الجديد فانشئت محكمة التحكيم فى لاهاى ، وحلت مشاكل كثيرة قامت بين الأمم ، وتكلم فى توحيد اللغة ، لتتوحد العواطف ، لتصبح الأمم كالأسر المختلفة فى مملكة عامة ، هى أوروبا بأسرها ؛ فأين (لطفى السيد) من هذا كله، انه لا يزال من الوطنية فى أدنى أشكالها، فهو يقول للمصريين: ابنوا وطنكم على المنفعة المجردة ، ومقتضى هذه النظرية الخشنة

الا يضحي المصريون أى مصلحة لهم ، ولا يكابدوا أى تنازل كان فى مصلحة أمة اخرى .

وفى دراسة مطولة للصحافة المصرية عرض (فريد وجـدى) للجريدة ، فأشار الى الظروف التى أحاطت بصدورها وقال : ان طائفة من أعيان الأقاليم اجتمعوا وقرروا (١) العمل على تأسيس جريدة حرة مستقلة عن كل سلطة تجمع الى علو تحريرها ؛ جمال الرواء وابهة الثراء ، فتنجذب الأمة من بين مخـالب المأجورين والمتحمسين «يقصد ماكان يوجه الى الحزب الوطنى من اتهـام» واتصل خبر هذا العزم باللورد كرومر قيصر قصر الدوبارة اذ ذاك فأظهر الريبة فى الأمر ؛ فلم يسع أولئك الاعيان الا أن أوفدوا من يكاشفه بحقيقة نواياهم ، فوجدوا منه كل تشجيع ، وأشار الى ماتردد اذ ذاك من ان الانجليز بعد ان أعجزهم اماتة شعور المصريين بجرائدهم المأجورة ، اتخذوا هذه الحيلة الجـديدة لتخـديرهم والتغرير بهم ، وزاد فى هذه الظنون اختيارهم مديرا للجـريدة محاميا لم ترض الأمة عن دفاعه فى حادثة دنشواى ، فضلا عمـا تفضلت به جريدة التيمس على الجريدة من التقريظ والاطراء قبل ظهورها ، فلما اختـير محررو الجريدة ، كان فى تسميتهم دليـل حسن تمهيدى على مجافاة مشرب الجريدة لمطالب المصريين ، فقد تخطى جميع رجال الأقلام من المصريين ، ولم يقع انتخابه الا على كتاب من السوريين ، وربما كانوا أكتب من المصريين ، ولكن جريدة وطنية مصرية أخذت على عهدتها ان تكون مثالا صحيحا للصحافة فى مصر لايجوز عقلا ولا ذوقا أن يحـررها غـير المصريين ، وما ان برزت الجريدة حتى وجد مكتوبا على صدرها شعار غريب «من حقق النظر وراض نفسـه على السكون الى الحقائق وان آلمتها فى

---

(١) الدسـتور ١٠/١٢/ ١٩٠٧ (العبارة بتصرف) .

أول صـــــدمة كان اغتباطه بذم النـــاس أشد وأكثر من اغتباطه بمدحهم اياه » فقال الناس : يا للعجب ، جريدة مصرية يقوم بشأنها أعيان مصر لخدمة المصريين وايقاظ عواطفهم تصدر بهـذه الجملة الدالة على أنها ستحمل على العقائد الموروثة ، والعواطف المتأصلة فى النفوس حملات منكرة حتى تجرح صدور الناس عليها فيوسعها الناس ذما ويشبعوها شتما ، فتكون بمـا راضت به نفسـها على السكون للحقائق أفرح بذم الناس لها من مدحهم اياها ؟ .. هل نحن على باطل ، فجاءت الجـريدة لمكافحتنا فيه ؟ هـل نحن من الوطنية على ضلال حتى أتت الجريدة لمنازعتنا فيه ؟

وتساءل (فريد وجدى) : لقد قرأ الناس فى الجريدة مقالات ومباحث فهل مرت الجريدة بذكر « الاستقلال » ، هل مست موضوعا دقيقا بين المصريين والمحتلين ، هل ناضلت عن حقوق مصر بلهجة المصرى الغيور ، هل علمت المصريين كيف أن الوطنية سياج الأمم ومساك الشعوب كلا ، لعلنا على باطـل من أمـرنا ، وجاءت الجريدة لهدايتنا الى الحق فيه ، فهل سعت فى التوفيق بيننا وبين المحتلين ؟ هل دعتنا الى تسلم قيادنا اليهم ، هـل ناضلتنا فى حق ننكره عليهم ظلما ، كلا ، اذن ما الجريدة ، فلا هى على مشرب الجرائد الوطنية ، تعبر عن شعور المصريين ، وتمـدهم بالدروس المرقية لعواطفهم ، ولا هى على هدى الهداة المخالفين فتستحق منا احترام المخالف المخلص فنقرأها لندرك وجه الحق ، وقال الناس ليست الجريدة على شىء فاتركوها ، وكادت تصـبح خبرا لكان ، لولا أن تداركها مجلس الادارة فأعلن أن وراء الجريدة حزبا يقال له (حزب الأمة) وأعضاؤه رؤساء العائلات الثرية فى البلاد ، وانه ساع فى نشر التعليم بماله ، وجاهه ، ويهيىء الأمة للاستقلال وحـكم نفسها بنفسها . فصفق الناس طربا ، وقامت الجريدة زاعمـة أن الأمة طفلة قد غرر بها المتهورون ، وانها فاقدة الشعور قد ألهـاها

بالخيـال الموهون ؛ فآلت على نفسـها لتفضـحن تلك الجرائد ، ولتفسدن عليها عملها ، وانها لن تصرح للأمة الا بمـا يناسب حالها ويتفق مع قابليتها ... الخ .

٣ ــ ولقد كان اهتمام (فريد وجدى) بالصحف المصرية بالغا ، أما الصحف السورية التى تصدر فى مصر ، كما أسماها «كالأهرام والمقطم» فقد كان له فيها رأى آخـر ، أما «الأهـرام» التى كانت تساير الحركة الوطنية وتخالف الانجليز فهو لايهاجمها .. وان كان فى النظرة العامة يرى أن الجرائد السـورية لم تظهر فى مصر لمطالبة الحاكمين بحق مسلوب ، أو محاسبتهم على عمل غير مألوف ، بل كانت تتقرب الى الحاكمين بالمديح .. والاطراء ، وتلبسهم شفوفا من حلل الثناء ، ولاتطلب اليهم أمرا ، الا عن طـريق الاسـتماحة والرجاء . (١) أما «المقطم» فالموقف معها مختلف وله فى مواجهتها رأى ، هذا الرأى هو شجبها كلية ، ومقاطعة رأيها . يقول : «ان أصحاب المقطم ليسوا من أبنـاء هـذه البلاد ، وهم مهما انتحلوا لأنفسهم من صـفات الوطنية فلن يكون لهم منها الا بقـدر ماتحققه أقوالهم واعمالهم ، واذا كانت الأمم تتبرأ من أبنائها الذين يذهبون فى سياستهم غير منهاجها ، فالأمة لاتعتبر «المقطم» جريدة مصرية وطنية حتى يصح أن تثور عليه جرائد مصر بالتأنيب لاجباره على أن يقـول ما لا يريد قوله ؛ ولو كان المصريون اكتفوا بهذا الاعلان كلما كتبت المقطم شيئا ضـد مصلحة البـلاد ، لكان المقطم اليوم لا يعرفه أكثر المصريين ، ولكنهم أخـذوا يناقشـونه الحساب ، ويبادلونه السباب ، فاشتهر بين الناس اسمه وذاعت مبادئه» .

٤ ــ أما جريدة «الظاهر» التى يصـدرها (محمد أبو شادى) فقد هاجمها (فريد وجدى) هجوما عنيفا وكشف عن تقلب الرجل

(١) الدسـتور ٢٠/١٢/١٩٠٧ .

بين الآراء والأحزاب فقد بدأ بالحملة على (الشيخ محمد عبده) (١) مشايعة لما اشتهر من سخط الجناب العالى عليه ، فارتكب «الظاهر» فى الحط من كرامة ذلك الامام الجليل والقصد من قدرة ما لايليق صدوره من هداة الأمم واطباء هيئتها الاجتماعية ، لاسيما وبراءة الشيخ مما كان ينسبه اليه ويعزوه اليه ظاهرة للعيان ، لا تحتاج لبرهان ، فأثر ذلك فى قلوب المصريين اثرا سيئا ولم يزد فى «الظاهر» ما يجب أن يكون فى الجريدة التى يديرها رجل قانونى له مواقف مشهودة فى التفرقة بين الحق والباطل، وظل «الظاهر» على غلوائه فى حق ذلك الأستاذ الكبير حتى تحقق للناس سوء القصد من تلك المطاعن ، فكان ذلك أول ماشعرت النفوس له بالانقباض والمضاضة ، وبينما الناس واياه على هذا الحال من الشك ، اذا به قد حالت به الحال الى تقمص مبدأ جديد ، هو مشايعة المحتلين ، والضرب على نغمته الغالبة فى اطرائهم ، والتمدح بهم، ظهر ذلك فى لحن كلامه فتبين للناس سرعة تقلبه من غير ما سبب ظاهر، ولا حكمة معقولة، وبدت بوادر خطيرة عليه بلا تدريج ، وأوهمته أهواؤه أن من النكاية بمن تقرب اليهم أولا أن يناقض خطته السابقة معهم ، فيمدح من كان يذمهم ، ويذم من كان يمدحه .

فانقلب يمدح الاستاذ المفتى (الشيخ محمد عبده) ويطريه ويبنى له من صروح الثناء ماينقض سابق مطاعنه فيه ، حتى انه صبغ نفسه بالسواد يوم موته حدادا عليه ، وشفع ذلك بالطعن فى (الشيخ على يوسف) فى قضية الزوجية ، وغلا فى ذلك غلوا أخرجه عن حدود المعقول ، فتحققت الأمة عند ذلك أنه سريع التحول ، لا يثبت على حال ، منقاد لأهوائه ، يرمى الى حيث رمت اليه ، والامم ان لم تأنس من خدامها الثبات والجزامة ولم تحس منهم الصلابة والشهامة غضت طرفها عنهم .

(١) الدستور ٢/١٢/ ١٩٠٧ .

٥ ــ أما جريدة «المنبر» التى كان يصدرها (حافظ عوض ــ محمد مسعود) فقد تعرضت لهجومه عندما تحولت عن مبادئهـا ، فقد كان المنبر مجاهدا فى الحركة الوطنية «انس الناس منه لسـانا قويما وحجة دامغة ولهجة صريحة قوية» وعرف بالبلاغة والجرأة ٠

غير أن « المنبر » لم يلبث أن تحول ، كما تحولت « المؤيد »، وذلك بعـد ذهاب أحـد صاحبيه (حافظ عوض) الى لوندرة وتصريحه لأحد مكاتبى الجرائد بأن فى مصر حزبين متشاكسين ، أحدهما المتطرفون ، وهم قوم قليلو العدد ، يطلبون الشـهرة ليس الا ، وليس لهم أقل تأثير فى سياسة مصر ، وثانيهما المعتدلون ، وهم الذين يمثلهم حضرته ، وهم أكثر عددا ، وأصحاب المصـالح الحقيقية فى مصر ، وذكر فى عرض كلامه أن المعتدلين لا يحبـون أن يتكلموا فى الاستقلال ، ولا فى نبذ سلطة الاحتلال بل ولا عزل الموظفين الانجليز ، وانما هم يطلبون توسيع اختصاص مجـالس المديريات ، وشيئا من الاصلاح فى التعليم ، وقد قابلت الأمة هذه السفارة بالاستخفاف ، وأعرضت عن « المنبر » استياء من هـذا الدور الذى لعبه صاحبه بغير احتياط ولا تحفظ ، وزاد فى استيائها انها أحست بتغير ذريع ظهر فى سياسة « المنبر » ، فبعد ان كانت تدعو الى التاليف ، وتحث على التضامن أخذت تعمل على التفريق بفصـلها كتبها ؛ يخطىء فيهـا كل من يخالفه بلسـانه السـاخر المتنمر ٠

٦ ــ أما « اللواء » فقد كان (فريد وجدى) يراه ترجمـان الشعور الوطنى ، يمثل فى عباراته وأسلوبه صورة الروح المصرية بكل دقائقها ، واشار الى مايعاب على اللواء من التطرف فى مذهبه والشدة فى لهجته ، وقال : « ينسى هؤلاء ان الرجل الحى اذا شعر

بفقد أمته للاستقلال وهو أكبر ما تصاب به الأمم من حاجات الحياة كان من أقل واجباته أن يتألف ويظهر ألمه ، وأنه لا حرج على المطالب بحقوق بلاده أن يحقد فى لهجته ، وأن يشتد فى عبارته ، فهو بذلك انما يترجم عن شعور طبيعى هو أول علائم المحققين ، وأوضح دلائل الصادقين » ٠

ولكن موقف (فريد وجدى) من الحزب الوطنى ممثلا فى لجنته مالبث أن تغير ، مما دعاه الى خلع بيعة هذه اللجنة ، والعودة الى مبادىء الحزب الوطنى الأصيلة ، التى دعا اليها (مصطفى كامل) ٠ وكان ذلك مقدمة لانصرافه عن الصحافة السياسية كلية٠

فقد كشف له تحول الموقف فى الدولة العثمانية بعد اعلان الدستور ١٩٠٨ وسقوط (السلطان عبد الحميد) ١٩٠٩ ، وتولى الاتحاديين الحكم فى تركيا ، والتقارب الذى بدأ بين الاتحاديين وبريطانيا ، ان هناك مؤامرة تدبر ضد مصر ، وتهدف الى اطلاق يد بريطانيا فى مصر على نحو يمكنها من اتخاذها قاعدة لتحركات جيشها فى الشرق ، فأزعجته هذه الفكرة أيما ازعاج ، ودعته الى أن يعلن الدعوة لعقد مؤتمر وطنى لدراسة هذا الموقف ، وذلك مقدمة لالتقاء الشعب كله فى « وحدة وطنية » ، ومن هنا سارع بتوجيه دعوة الى الصحف الثلاث : (اللواء والمؤيد والجريدة) ومضى الى عرض الأمر على هذا النحو (١) : « لقد علمتم ما عزمت عليه انجلترا من اتخاذ مصر قاعدة لحركات جيشها الاستعمارى ، وهو تحويل سيخول انجلترا حجة جديدة فى وجوب بقاء احتلالها لوادى النيل»٠ وقال : « ان ذلك حدث بعد دخول الدولة العثمانية فى شكلها الدستورى وتقربها من انجلترا » ٠ ومن هنا كانت حاجتنا الى تحديد مركزنا أمام الدولة العلية ، وأمام الاحتلال الانجليزى الذى لا تجد

---

(١) ٢٩ مارس ١٩٠٩ ٠

فى هذه الأيام لمزاعمه حدا ، وقال : « ان تحديد هذا الموقف يتطلب أن يجتمع سراة المصريين وعلماؤهم ووجوههم ؛ مجردين عن كل صبغة حزبية » . وقال : « ان أمة « توضع » (١) حقوقها الطبيعية وتزداد كل يوم سقوطا تحت نير الأسر ، لجديرة بأن تتنبه الى ما يراد بها ، ونحن بصفتنا القائمين على حماية حقوق الأمة يجب أن نشعر أنفسنا بفداحة التبعة » . ثم كشف عن هدفه فى مقالات متوالية ، يوما بعد يوم « خلال شهر مارس ١٩٠٩ » وأشار الى ان الأحزاب التى تكونت فى الفترة الأخيرة (٢) بدلا من أن تلم شعث الأمة وتبلغها رشدها وسط ذلك المعمعان المضطرب من السلطات المتعددة ، أخذت تتشاكس وتتنابذ بواسطة جرائدها ، فزادت الأمة ذهولا عن نفسها ، ولم تغذ العاطفة الوطنية التى نشأت فى الأمة بشىء يذكر ، وقال : ان الأمة فى حاجة للتسلح بوحدتها فلا تخذلوها باسمها .

ولكن هذه الدعوة لم تلق الا الاستنكار والسخرية ، وعارضها الحزب الوطنى ، هنالك أعلن (فريد وجدى) موقف الخالع لبيعة الحزب الوطنى المجاهر بالخروج عليها ، معلنا أن هناك فارقا بين مبادىء الحزب الوطنى ومواقفه الأصيلة على ما تركها عليه مؤسسها الأول (مصطفى كامل) وبين المبادىء الحالية لهذه اللجنة ، وقال : « انى على الطريق الذى عاهدنا الله عليه جميعا ، وانها أى اللجنة انحرفت عنه ، وخرجت عن حدوده » . وقال : لا أريد أن أزيد الأحزاب بحزب جديد ، ولا أريد أن أرأس هيئة رابعة ، وانما غاية ما أرجوه أن أبين للناس أنى مقيم على مبادىء الحزب الوطنى الأصيلة بالدليل والبرهان ، ان غايتى هى « البناء على الأساس» التى تركه (مصطفى كامل) ولم يتمه ، ثم نشر بحثا

(١) هكذا فى النص ولعله يريد (وتضيع) .
(٢) ١٩ ، ٢٠ ابريل ١٩٠٩ الدستور .

مطولا عن السبب الذى حمله على خلع بيعة لجنة الحزب الوطنى قال فيه : « ان السياسة الانجليزية على اسلوب مضاربات البورصة» وأشار الى مدى ما لحق بالحركة الوطنية من اضطراب بعد انشاء الأحزاب ، كيف تمزقت وحدتها ، أما كل الانتصارات التى حققتها مصر فقد وقعت قبل ظهور الأحزاب ، ومن هنـــا كانت دعوته الى الوحدة الوطنية ، ذلك بان « المخلص الوحيد من هذه الورطات هو اسقاط لجان الأحزاب ، واسناد الأمر للعارفين بمصـــادر الأمور ، واتحـاد رابطة أدبية من العـاملين ليستطيعوا أن يجتمعوا على هيئة مؤتمر كما هو الشأن لدى كل أمة فى المهمات » ومما يذكر أن دعوة (فريد وجدى) كانت تحمل رأب الصـــدع بين الأمير والأحزاب لمواجهة النفوذ البريطانى المتزايد ٠

٧ ــ واذا استطعنا أن نلخص « الدستور » فى كلمة خـــلال هذه المرحلة قلنا : انه كان نموذجا مثاليا من الصحافة لم يعرف من بعد الا فى جريدة واحدة هى جريدة « الأخبار » التى أنشـأها (أمين الرافعى) « ١٩٢٢ ــ ١٩٢٧ » فطالما أشار (فريد وجدى) الى أن « الدســتور » يحترم كل رأى وينشره ، وان خالف مذهبه السياسى ٠٠ وقد أتاح للعقاد أن ينشر آراء (سعد زغلول) وغيره ممن كان يناضلهم ولم يعترض عليها ، وكان ينشر ملخصـا لآراء خصومه ولا يرى فى ذلك غضاضة ، ولاينى يذكر كلمته الحافلة « عهدا ألا نذكر جريدة بسوء مهما نالت منا ، ولا نعتقد ان مانقوله الكمال ، واذا وجدنا فى أقوال المنتقدين علينـا ما نحس أن فيه خـيرا ٠٠ أخـذناه » وقد كتب فى الدسـتور فى هـذه الفترة عبد الرحمن شـكرى الذى تناول شعر (حافـظ عوض) بالنقد ؛ كما كتب (على الغاياتى وعبد الحليم المصرى ومحمود رمزى نظيم)، ومن أكثر كتابها ظهورا بعـــد (العقاد وأحمد وجـدى) شقيق صاحبها (محمد توفيق العطار) ٠

كما نشرت شــعرا (لنجيب الغرابلى وابراهيم الدباغ وامام العبــد ومحمــد محمود الرافعى) ونشر بهـــا (ابراهيم ناصف الوردانى) بعض آثاره الأدبية ٠

أما لماذا أغلق (فريد وجدى) « الدســتور » وكيف ، فان أقدر من يتحدث عن هذا هو الأستاذ العقاد الذى رافقه هذه المرحلة كاملة « ١٩٠٧ ــ ١٩١٠ » يقول :

ان أزمته فى مجال الصحافة انما كانت أثرا من آثار « المبدأ » الذى لا ينحرف عنه الرجل قيد شعرة ، وهو الجهر بالرأى ولو خالف القوة والكثرة ، وخالف أحب الناس اليه ، واشار العقاد الى أن خلاف وجدى مع الحزب الوطنى قد أدى الى كســاد الصحيفة فعجزت عن النهوض بتكاليفها ، ولم يقبل ان يعوض الخســارة بمعونة مفروضة من جهات لا تتفق مع عقيدة فأوقفها (١) .

---

(١) مجلة المجلة (مارس ١٩٦٢) ٠

المرحلة الثالثة

الموسوعة والأعمال الكبرى

- ١ -

بتوقف « الدستور » ١٩١٠ تنتهى مرحلة وتبدأ مرحلة جديدة فى حياة (فريد وجدى) وهو فى منتصف العقد الرابع من عمره ٠٠ مرحلة ضخمة عريضة تتمثل فيها قوة الارادة ، وصلابة العزيمة والقدرة على تحدى الأحداث ٠ فلقد انتهت حياة (فريد وجدى) فى العمل الصحفى على نحو يوحى بالفشل أو اليأس أو الهزيمة فى مجال مضطرب ـ ذلك هو مجال الصحافة السياسية ـ وهو مجال ملىء ـ اذ ذاك بالمؤامرات والدسائس ؛ لا يظفر فيه الا القادرون على الاغضاء والمداراة والمرونة ، والسير مع الظروف ، أما أولئك العقديون الذين لا يستطيعون أن يخرجوا عن قيمهم ومفاهيمهم ، فهم أعجز الناس عن السبح فى هذا البحر الضخم ، حيث كانت تتصارع قوى الاحتلال والقصر ، ومناورات الدولة العثمانية وفرنسا وأصحاب المصالح الحقيقية ٠٠ ومن هنا طوى (فريد وجدى) شراعه، وتوقف عن العمل الصحفى السياسى اليومى الذى عرف به فى جريدة الدستور ٠

ولكن (فريد وجدى) كان قبل ذلك يعمل فى الصحافة عن

طريق مجلة « الحياة » التى أصدرها عام ١٨٩٩ ، وهى مجلة شهرية أشبه بكتاب يضم عددا من المقالات فى موضوعات مختلفة ، وقد واصلت هذه المجلة عملها ابان « الدستور » وبعده . غير أن (فريد وجدى) الذى بدأ حياته «مفكرا» قد عاش خلال سنوات «الدستور» مفكرا يلبس ثوب الصحفى السياسى ، وفارق كبير بين الساسة والمفكرين ، وبين الصحفيين والفلاسفة .. ولن تستطيع أسلحة المفكرين والفلاسفة أن تعمل حيث المجال لأسلحة الساسة والصحفيين .

وكان هذا الموقف بعد تعطيل « الدستور » تحديا له دفعه الى أفقه الأصيل فى قوة ، وأتاح له الفرصة لتوسيع مجال أبحاثه ودراساته .

وكان (فريد وجدى) قد أصدر موسوعتين هامتين قبيل صدور « الدستور » هما موسوعة تفسير القرآن ومقدمتها الرائعة التى أطلق عليها « صفوة العرفان فى تفسير القرآن » و « كنز العلوم واللغة » الذى كان أشبه بدائرة معارف عامة ، أما اليوم فان (فريد وجدى) يعود الى عمله ، فيعكف تسع سنوات كاملة على هذه الموسوعة الصغيرة ، لينشىء على نسقها دائرة معارف القرن الرابع عشر الهجرى والعشرين الميلادى، فى عشرة مجلدات ضخمة، وما يكاد الدستور يتوقف حتى تبدأ اعلاناته فى الصحف عن دائرة المعارف « المقتبسة من سبع دوائر معارف افرنكية ، ومن مجموعة ثمينة من كتب عربية وفرنسية ، تصدر على هيئة أجزاء شهرية ، الجزء فى ثمانين صفحة ، والاشتراك ٦٠ قرشا عن كل مجلد سنوى، ويقبل الثمن مقسطا على اثنى عشر شهرا، كل شهر خمسة قروش طوابع بوستة» هذا نص الاعلان الذى ظهر فى المؤيد واللواء فى أغسطس عام ١٩١٠ .

وقد استكملت دائرة معارف القرن العشرين «١٩١٠ ــ ١٩١٨» فى طبعتها الأولى فى مطبعة دائرة المعارف التى اشتراها خصيصا لها وأسماها باسمها ، ثم أعاد طبعها مرة أخرى « ١٩٢٣ ــ ١٩٢٥ » فبلغت ٨٤١٦ صفحة (١) فى عشرة مجلدات ، وجعل ثمنها « ٥٤٠ قرشا » .

وقد قدمها بأنها : « قاموس عام مطول للغة العربية والعلوم النقلية والعقلية والكونية بجميع أصولها وفروعها والنحو والصرف والبلاغة والمسائل الدينية وتاريخ الفرق والمذاهب والتفسير الحديث والأصول والتاريخ العام والخاص ، وتراجم مشهورى الشرق والغرب والجغرافيا الطبيعية والسياسية والكيمياء والفلك والفلسفة والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والروحية والطب والعلاج وقانون الصحية والفوائد المنزلية وخصائص العقاقير والاحصاءات، وسائر ما يهم الانسان فى جميع المطالب » . يقول (فريد وجدى) فى مقدمة دائرة المعارف : « وضعنا كتابنا « كنز العلوم واللغة » قبل خمس سنين ، وكان غرضنا الأول منه أن نحصر خلاصة معلومات البشر كلها فى دائرة واحدة يلم بها المطالع الماما عمليا ، فيستفيد منها لعقله وروحه وجسده على قدر ما تسمح له الحالة.

وقد لقى عملنا الاقبال والتقدير من الأمة والهيئات الرسمية « الأزهر والمعارف » وكانت هذه الشهادة المزدوجة أحسن مكافأة للمؤلف بعد جهاده الطويل وسهره المتواصل .

واليوم وقد أنسنا من وقتنا فراغا ذكرنا حاجة الأمة الى دائرة معارف أغزر مادة وأجمع فائدة .. وقد كنا فى الأربع السنين الماضية دائبين على جمع ما فاتنا جمعه فى كنز العلوم واللغة ، فأجمعنا

---

(١) مجموعها عشرة مجلدات كل منها ٨٠٠ صفحة ، عدا السابع فهو ٩٦٠ ص ، والعاشر ١٠٥٦ ص

على وضع « دائرة معارف » على أسلوب يناسب الحـــاجة العصرية ليكون بازاء سابقه كدائرة معارف لاروس الكبيرة بجانب قاموسه الصغير ، فعولنا على أن نتوسع فى اللغة توسعا لا يدع حاجة فى النفس ، وأن نتبسط مع القسم العلمى تبسطا يحقق للطالب غاية ما يرمى اليه ، جاعلين نصب أعيننا أن يكون الكتاب جامعا بين الحاجة العقلية والحاجة المعيشية » .

***

والحق ان مجرد مراجعة دائرة معارف (فريد وجدى) «القرن العشرين » يكشف عن أشـــياء كثيرة ، فى نفسية هـــذا الرجل وحياته ، أهمها قوة العزيمة وصدق الايمان بالعلم والوطن والاسلام واللغة العربية ايمانا لا حـــد له ، الى قوة ارادة بالغة استطاعت أن تراجع سبع دوائر معارف كبرى ، وأن تستوعب ما فيها من مواد مختلفة ، وأن تترجم هـــذه المواد ثم تصـــبغها بالصبغة العربية الاســـلامية وذلك هو الفضل الذى يتميز به عن دوائر المعـــارف الأخرى ، فانه استطاع بالحق أن يعطى الأمة العربية دائرة معارف على قاعدة فكرها وقيمه ، مزج فيها بين علوم العرب والمسلمين ؛ وعلوم الفكر الغربى والحضارة الغربية ، على نحو يسير فى أسلوب سمح سهل ، يبسط المعقدات من العلوم ، ويذكر فى كل خطوة أنه يحدث أبناء اللغة العربية والعالم الاسلامى ، فهو ذاكر أبدا فضل العرب على علوم الحضـــارة ، وهو مقدم أبدا للعرب فكر الغرب وحضارته فى تسامح واخلاص ، واحترام لقارئه ، وايمان بالعـلم والدين معا ، وتتجلى عظمة هذا الباحث فى مراجعة أبواب : «أدب، تاريخ ، فلك ، لغة ، اسلام ، اله ، روح ، دين .. الخ » ، فاذا ذكر أن (فريد وجدى) لم يكن مؤيدا فى هذا العمـــل من جهة

رسمية ، أو أنه كان لا ينتظر على عمله هذا جزاء ماديا أو أدبيـا ،
عجبت لقوة خلق هذا الرجل وصلابته فى العمل لوجه الله والوطن
والعلم خالصا . وقد اشار (الدكتور هيكل) (١) الى هذا العمل فى
كلمة له فقـال : « ان (فريد وجـدى) لم يكتف فيها « دائرة
المعارف » بوضع قواعد البحث ونظامه والاشراف على أبحاث سواه ؛
بل تفرد فلم يستعن بأحد ، ولم يشرك فى مجهوده مجهود غيره ،
وهو الذى بحث ونقب ونظم ورتب ، وبحسبك هذا لتعرف مشقة
العمل وعظم المجهود .. ولو أن هذه الآلاف من الصحف كانت كلها
فى فن أو علم واحد لكان ما تقتضيه من مجهود أقل مما تقتضى هذه
العلوم النقلية والعقلية بجميع أصـولها وفروعها ذلك أن اتحـاد
اتجاه الذهن وامعانه فى الغوص على نوع واحـد من المعانى يلذه
ويشحذه ويزيده دقة فى التصوير وفى التفريق بين الألوان البادية
التشابه لذى النظر السطحى ولغير المتعمق : فأما هذا الانتقال من
علم الى علم، ومن فن الى فن، فعسير كل العسر، يحدث فىالذهن
وقوفا ، كلما شاء أن يتجول الى اتجاه جديد ، وليس هذا الشـأن
قاصرا على التفكير وحده ، بل انك لتشعر به ، ولو كان عملك قاصرا
على مجرد النقل والترجمة ، بهذا المجهود قصد السـيد (فريد
وجدى) الى أن يكون الكتاب جامعا بين الحـاجة العقليـة والحاجة
المعيشية فكما يحرص عليه العالم ليسبح منه فى نظريات العلوم ،
يحرص عليه الرجل العادى ليبحث فيه عن مسكنات آلامه وصـحة
أهله وعياله .. الخ . ، وأنت اذا رجعت فى دائرة المعـارف هذه
الى شىء من الشئون الروحية فأنت واجد دائما بحثا ، كما أنت واجد
رأيا خاصا للمؤلف ومنته الى نتيجة معينة » .

ولم يجد هذا العمل الضخم أى صدى فى دوائر العلم والثقافة
الرسمية ، حتى ان (داود بركات) رئيس تحـرير الأهرام كتب

(١) «فى أوقات الفراغ» للدكتور هيكل .

افتتاحية الأهرام يوم «٣ ابريل ١٩٢٥» عن دائرة المعارف وصاحبها ، هاجم فيها المسئولين للغبن الذى لحق صاحب هذا العمل الضخم مذكرا « برجل عمل وحده منفردا وعمل جادا وعمل ساهرا ، عمل لا ليتلألأ على صدره نيشان ؛ ولا تدفع له رتبة ولا ليقام له حفل تكريم » : وأشار الى مدى التضحية التى بذلها بينما سوق الأدب والعلم فى كساد ، والناس مشغولون بكل شىء عن الأدب والعلم ، وهو يظن أن المسئولين عن نهضة العلم والأدب لا يكادون يعرفون شيئا عن هذا العامل المجد ، واذا عرفوا عنه شيئا فان ما يعرفونه لا يتجاوز أنه رجل كاتب أديب ، وأن المنافق والدساس والرجل المداجى انما يقدم على صاحب دائرة المعارف فى كل شىء ، يقدم عليه بالمال ينصب انصبابا وبالمقام يرفع ويعلو ، وبالتقديم الذى لا يكاد ينتهى الى حد · أما هو ــ وقد كل دماغه ونحل جسمه وفرغ جيبه ، وقصر عمره ينقل العلم الى أمته ــ فانه فى عزلة ، وانه لمجهول ·

ودعا محرر الأهرام الى انصاف (فريد وجدى) ، وتسجيل عمله « فان لم يفعلوا فان الاهرام يسجل على صدره جلال العمل الذى أتمه ، ونفع هذا العمل وفائدته الكبرى » وقال (داود بركات) : « انا ليعرونا الأسف والأسى اذا نحن ذكرنا طوائف العلماء والأدباء الذين كنا نراهم يجتمعون آلافا من أجل قصيدة تروقهم أو منظومة تتملك عليهم مشاعرهم وقلوبهم ، أما اذا وجدوا عملا كهذا العمل الجليل الذى قام به (وجدى) فانهم لا يولونه اهتماما ، ولا يعبئون به ، بل لا يكادون يعرفونه » · وقال : « لقد عمل لنفسه ولأمته عملا لاشك بأنه كبير جليل » ·

وهكذا لم يجد (فريد وجدى) من ينصف عمله ، ولكنه هو لم يكن طامعا فى تقدير جيله ؛ ولم يكن متطلعا الى الجزاء المادى أو الأدبى الذى يتوقع لهذا العمل ؛ وانما كان يرجو به « بناء أمة وانشاء جيل » ·

ولا يمنع ذلك التقدير للعمل الضخم من أن تحصي عليه بعض الأخطاء ، أو تفوت الباحث بعض المواد ، أو يتعثر العمل في بعض جوانبه على نحو من الانحاء ، واذا كان (الدكتور هيكل وصاحب المنار وأحمد تيمور باشا) قد أحصوا على دائرة معارف (فريد وجدى) بعض الأخطاء، فذلك أمر طبيعى لعمل فردى، أتمه صاحبه فى بضع سنوات ، ويكفى انه استطاع اتمامه ، بينما عجز (بطرس البستاني) عن اتمام دائرة معارفه بالرغم من المساعدة السخية التى فرضتها له الحكومة المصرية بشراء ألف نسخة من الدائرة ، وعجز خلفاؤه كذلك فلم يتم هو أكثر من ستة أجزاء وأعد خلفاؤه ثلاثة أجزاء أخرى حتى عام ١٩٠٠ ووقفوا عند حرف « عين » .

وقد ثبت فعلا أن همة الرجل الفرد تصل أحيانا الى أكبر مما تصل اليه همة الجماعات واللجان ، على حد تعبير (خليل مطران) فى حديثه عن دائرة معارف (وجدى) حين قال : « بارك الله فى الرجل وفى همته الغلابة على الصعوبات، فقد فعل بمفرده مالا تستقل بفعله الجماعات » . وقال : « ان أعظم الأعمال فى الشرق انما تقوم برجل » .

وقد أشار الصحفى العجوز (توفيق حبيب) الى ذلك فقال : « انه اذا فاخرت سوريا ولبنان بالبستانى وعمله ، فان مصر تفخر بهمة (فريد وجدى) ، فقد كان الى جانب بطرس البستانى أولاده ونسيبه سليمان وغيرهم ، من فحول العلماء وكبار الأدباء ، أما (وجدى) فقد عمل بمفرده فى وضع دائرة معارف القرن العشرين ، ثم لخص منها « دائرة معارف البيت والمكتب » فى مجلدين وعانى الأمرين فى الانفاق على الطبعة الأولى وتصريفها أجزاء شهرية ، ثم أعاد طبعها فأدركت وزارة المعارف تقصيرها فى مساعدته وقررت شراء بضع مئات منها وضعتها فى مكتبات المدارس » .

وقال توفيق حبيب : « ان دائرة (فريد وجدى) تمتاز على

دائرة البستانى بتوخيها شرح بعض المسائل الدينية ، فكلمة «الله» مثلا مبسوطة فى نحو عشرين صفحة ، وكلمة «بيع» مشروحة شرحا فقهيا اسلاميا مسهبا ، وكلمة « مكتبة » دون فيها الكاتب خلاصة طيبة عن المكتبات العامة فى مصر ٠٠ الخ » ٠

– ٢ –

يمكن أن يقال ان (فريد وجدى) « مفكر كامل الأدوات » ، فهو لا يكتفى بأن يكون باحثا ، أو مترجما أو دارسا لهذا العلم أو ذاك ، وانما هو العالم الذى يستطيع أن يجعل له قاعدة كاملة من مختلف العلوم والدراسات ، ثم ليس هو صاحب القلم المؤلف الذى ينتظر دور النشر ، بل هو صاحب المطبعة التى تنشر مايكتب، ومطبعته مسماة باسم (دائرة معارف القرن العشرين) ٠ ومن هنا كانت قدرته على العمل دون أن يحتاج الى معونة أحد ، وهو رجل موثوق به فى نظر قرائه ، فاذا أعلن عن كتاب اشترك قراؤه فيه قبل طبعه بالمئات ، وسايروا عمله ملزمة ملزمة ، ومن هنا استطاع أن يعيد طبع كتبه مرات ، ولم يكن فى عمله هذا راغبا فى أن يفيد ماديا ، انما كانت رغبته فى أن ينشر العلم ، وأن يبلغ رأيه وصوته وفكرته الى كل من يستطيع أن يبلغه ، ووسائله الى هذا : الصحافة ، وقد اتخذ اليها طريق المجلة الشهرية « الحياة » والصحيفة اليومية « الدستور » ، ثم اتخذ اليها فى هذه المرحلة الجديدة الكتابة فى الأهرام والبلاغ وكوكب الشرق وفى مجلات المقتطف والهلال والمعرفة ٠٠ الخ ٠

وقد كان من حسن حظه ، ان اعتزل السياسة والصحافة السياسية جميعا عام ١٩١٠ ، فأنقذ نفسه من متاعب الاعتقال والمحاكمات التى جرت للسياسيين والصحفيين الوطنيين خلال الحرب فهاجر منهم من هاجر أمثال (محمد فريد وعبد العزيز جاويش وعلى الغاياتى) وغيرهم ، وسجن من سجن أمثال (أمين

الرافعى وأحمد وفيق وسيد على) فلقد بدأت السلطات البريطانية تتخذ اجراءات شديدة مع أصحاب الأقلام والكتاب الوطنيين عندما أعلنت الحرب عام ١٩١٤ حتى انتهت ١٩١٨ ومن حق انه كان عالما مفكرا ولم يكن سياسيا أو صحفيا ؛ وقد استطاع (فريد وجدى) فى خلال هذه السنوات أن يواصل عمله الفكرى الموسوعى ، فشغلته دائرة المعارف ، وأبحاثه العلمية الخالصة ، طوال فترة الحرب ، فما أن أعلنت الهدنة حتى عاد الى المطالبة بالتصريح له بترخيص صحيفة يومية مجددة باسم « الدستور » كما أعاد اصدار « الحياة » سنة ١٩١٥ ·

ولم يتوقف (فريد وجدى) (١) بعد انتهاء دائرة المعارف وانما باشر العمل فى دراساته ، وأولى اهتماما كبيرا للفلسفة المادية والنظريات الروحية الجديدة ·

فأصدر كتابه الضخم « على أطلال المذهب المادى » ١٩٢١ فى ثلاثة أجزاء ·

وأصدر مجلة الوجديات ، وأصدر دستور التغذية «١٩٢١»

وأعاد طبع كثير من مؤلفاته : المرأة المسلمة ، والمصحف المفسر « صفوة العرفان » ·

ولم يتوقف خلال الحرب عن الكتابة فى المجلات الكبرى بالاضافة الى مجلة (الحياة) فنشر فى المقتطف بحثا مطولا عن (اثباته الروح بالمباحث النفسية) وأثار معارك مجددة عن خلود الروح مع (الدكتور صروف) خلال عامى « ١٩١٩ ــ ١٩٢٠ » ·

ولعل هذه هى المعركة الكبرى الأولى فى هذه الفترة .. فقد شغل نفسه بها شغلا جما ، حتى عرف بها ، ونسى الناس كل

---

(١) تناول آثار فريد وجدى بالبحث، كثير من الباحثين منهم الكونت دى طرازى فى كتابه «تاريخ الصحافة العربية» ، كما ذكره تشارلز آدمز فى كتابه « الاسلام والتجديد فى مصر » ، وذكره أنيس المقدسى فى كتابه « الاتجاهات الأدبية » ·

جوانب أبحاثه ولم يذكروا له الا هذا الجانب ، جانب الايمـــان بالروح وخلودها ، وكان قد أثار هذا الموضوع منذ السنوات الأولى لأبحاثه ، وترجم كثيرا عن (كاميل فلامريون) العلامة الفلكى الذى أقر وجود عالم ما وراء المادة « الميتافيزيقا » ، وقد توســع (فريد وجدى) فى هذه الفترة فى هذه الأبحاث ، ويمكن القول ان هـــذه المرحلة امتــداد للمرحلة الأولى ، مع اتســـاع وتعميق فى مختلف الدراسات وهى :

١ ـ نقض الفلسفة المادية واثبات الروح بالمباحث النفسية.

٢ ـ عالمية الاسلام وخلوده .

٣ ـ اقرار فضل العرب والاسلام على الحضارة الحديثة .

٤ ـ سلامة الارتباط بين العلم والدين .

٥ ـ اقرار مبدأ العقل فى مفاهيم الاسلام .

وقد كانت هذه أبرز اتجاهاته فى هذه الفترة التى بدأت بعد توقف « الدستور » سنة ١٩١٠ حتى عام ١٩٣٣ بتوليه رئاســـة تحرير مجلة الأزهر ، وفى خلال هذه المرحلة التى بدأت بانشــاء (دائرة المعارف) خــلال فترة الحرب العـــالمية الأولى ، وامتدت بالتأليف والكتابة فىمختلف الصحف والمجلات، ومواجهة التيارات الفكرية والعلمية المتعددة التى برزت بعــد الحرب العالمية الأولى ، وفى خلال هذه المرحلة واصل (فريد وجدى) عمله فى مجــالين : مجال الصحافة ومجال التأليف .

١ ـ أما فى مجال الصحافة فقد أعاد اصدار مجلة «الحياة» التى كان قد أصدرها عام ١٨٩٩ فى نفس العام الذى صدرت فيه مجلة « المنار » للشيخ (رشيد رضا) . كما أعاد اصدار جريدة « الدستور » .

أما مجلة الحياة التى كانت باكورة أعمـــاله الأدبية ، والتى تميزت بها تحمل طابع العلم والدين مقترنين ، فقد صـــدرت أول الأمر فى « ٩ يونيه ١٨٩٩ م ــ غرة صفر ١٣١٧ هـ » ثم توقفت بعد عامين ، وفى عام « ١٩٠٦ م ــ ١٣٢٤ هـ » أعاد اصدارها حتى عام ١٩٠٧ ، ثم توقفت مرة أخـــرى الى أن أعادها فى يونيـــه « ١٩١٤ م ــ ١٣٣٢ هـ » فصدر منها مجلد واحد ، وجملة ما صدر منها فى حياتها ٠٠ خمسة مجلدات بين « ١٨٩٩ ــ ١٩١٥ » ٠

وقد صدرها فى عددها الأول بكلمة أشار فيها الى مدى شعوره بعظم مسئولية العمل الذى قصد اليه فقال : « اللهم ان هـذا موقف صعب قد وقفته على ضـــعف منى ، فقونى بقوتك وأمدنى بحولك فانه لا حول ولا قوة الابك ٠٠ اللهم ان هذا موضع قد تزل فيه الأقدام ، وتضل عنه الأفهام ، فاجعل لى من واســـع حكمتك نبراسا أستنير به مناهج الرشد فأنهجها » ٠

أما مقصد « الحياة » فقد أشار اليه فى أنه « الحيلولة بعـد مكاريب (١) الالحاد وأذهان أبناء المشرق » لذلك ســيجعل مطمح نظره جملة نقط مهمة :

١ ــ اقامة أقوى الأدلة العلمية على أن الديانة الاسلامية هى روح العمران ، وقوام سعادة الانسان ، بطرق لا تجعل للشكوك مجالا فى الأذهان ٠٠ وسنسلك لهذا الغرض المسالك العصرية فى تأييد أقاويلها بالحجج الفلسفية الحسية ٠

٢ ــ تثبيت الأحوال الدينية فى العقول الطموحة ؛ كاثبات وجود الله تعالى والروح الآخرة بالأدلة الدامغة « وســنعمد فى ذلك على تحقيقات العلماء العصريين ، جريا مع سنة الزمان اعتقادا منا

---

(١) مكاريب جمع كربة وهى الأزمة ٠

بأن نشأتنا الحديثة أحوج الى هذه الخدمة منها الى سواها ، وايقانا من لدنا بأن نقش أصول العقائد فى أذهاننا بالطرق العصرية أنفع لها وللبلاد » واشار فى عدة مواضع الى أنه لم يقصد من اصدار «الحياة» الا اداء خدمة حقيقية للأمة والملة ، من جهة تحققـه انها أنجع دواء وأشرف غاية ، وبلغ فى ذلك غاية التســامح العلمى حين قال : « فمن رأى رأينا شكرناه ومن لم ير رأينا احترمنا فكره » . وذكر أنه لا يطمع فى كسب مادى من وراء عمله : « لسنا محتاجين لأى مساعدة مادية ولله الحمـد ، بل اننا أسسنا هذا وفى نيتنـا الصرف عليه لا الكسب منه » . وأشار الى مطامحه فى المجـــال الصحفى : « فى عزمنا بعد أن تتوطد دعائم هذه الجريدة أن نصدر جريدتين أخريين ، احداهما فرنساوية العبارة نحررها بقلمنا ، والأخرى انجليزية ننتقى لها من أبناء البلاد مترجما ، وستبحث كلتا هاتين الجريدتين فى الاسلام لتؤدى لشـــق عظيم من النوع الانسانى خدمة كبرى » .

وقد وسعت هذه المجلة أهداف (فريد وجدى) ورسالته التى بدأها فى مؤلفاته :

١ – الرد على الشبهات العصرية على الأديان .

٢ – معجزات الاسلام الخالدة .

٣ – ما وراء المادة .

٤ – استحضار الأرواح .

ولم تجد مجلة « الحياة » على هذا النحو طريقها سـهلا ، فقد طلبها الكثيرون بالاشتراك وأرسلها اليهم ولكنهم بعد أن انتهى العام لم يجد منهم ما يشجع على الاستمرار ، فكتب أكثر من مرة يشـير

الى تقصير الكثير فى ما سماه « طلب قيمة نأنف من ذكرها » ثم أشار الى عذره فى ذلك : « اننا لم نتشبث بطلب الاسراع فى دفع هذه القيمة الا تحاميا من مثل خسائر السنة الماضية ،فان أربعمائة وخمسين مشتركا تأخروا عن الدفع ، فقطعنا عنهم المجلة ـ ولايخفى ما لحقنا من الخسائر » ٠

وعاود (فريد وجدى) فى أوائل العام الثانى للمجلة « ٣٠ مايو ١٩٠٠ » الحديث عن أهداف عمله وهى :

١ ـ تثبيت أصول الدين الاسلامى الحنيف فى عقول أبنائه بنتائج العلم العصرى ٠

٢ ـ اقامة الأدلة العمرانية والفلسفية على أن هذا الدين هو منتهى ما تصل اليه الانسانية من حقيقة الدين ، وغاية ما تدفعه اليه استعداداته الفطرية المنزوية فى طى مواهبه الطبيعية ، وظلت مجلة «الحياة» تواصل عملها «١٨ شهرا» ثم توقفت ، حتى أعادها صاحبها عام ١٩٠٦ « ٣٠ مايو » وقد أشار (فريد وجدى » الى أنه أوقفها لأسباب عديدة ، ثم كتب له المئات يظهرون الأسف لتوقفها والمطالبة باعادتها فلم ير بدا ـ وقد اقتنع كل الاقتناع بضرورتها ـ من اعادتها ، ويبدو أن عام ١٩٠٦ كان بالنسبة له هاما من وجوه عديدة ، ربما كانت وفاة الشيخ (محمد عبده) وما أصاب الأزهر من جمود وعودة الى التقليد من أهمها ، وهو من أجل ذلك يقول فى « مجلة الحياة » بعد اعادتها انه « يجب على كل مفكر الآن ان يجاهر بفكره غير خاش لومة لائم ، وحرام على كل ذى بصيرة أن يكتم ما عنده حفظا ، وأنه صار من الجبن الأدبى أن يكتم المصلح فكرته فى الاصلاح » ٠ وقال « علام يكتم المصلح فكرته بعد ما ظهر له أن داء الجمود سرى فى كل طائفة من طوائف الأمة ، فأصبح العلماء بما أدخلوا أنفسهم فيه من الانقطاع للأقاويل

المعضلة وفك رموز كلام بعضهم ، اعجز الناس عن رد شبهة أو دحض فرية ، وصار العامة بما وقر فى نفوسهم من عجز علمائهم ، وعدم غنائهم عنهم ، فى حالة فوضى لاضابط لها .. ومن أخطر الأخطار ان يستهين العامة بالدين ، ولو دام الحال على هذا المنوال فان الجيل الآتى أشد على الهداة من أصعب الملحدين مراسا وأشدهم بأسا ، وأصبح متنورو الأمة بما يرونه من حال العلماء وجمودهم على مالا يتفق مع عقل ولا طبع ، مستقلين عن آرائهم ، متقاطعين فى دعاويهم ، وأصبح الملحد البحت لا يصدق بالبعث ولا بالعقائد الغيبية » .

وتساءل عن معنى « سكون المصلحين ، وأصحاب البصائر السليمة الذين يعرفون الحق ويكتمونه فى أنفسهم ، وأى جريمة أشد عند الله من امساك أصحاب الأفكار العالية عن الخوض فى ما يصلح الأمة فى أقدس شيء مراعاة لطائفة من الطوائف » . ثم قال : « نحن كنا مثلهم نكتم ماعندنا ، ولا نفاتح به الا أمثالنا ، ولكن رأينا أن الكتمان لا يجر الا زيادة البلاء » . وتساءل قائلا : « أفنكتم ما عندنا من قواعد الاصلاح فيكون الملحدون فى الحادهم والشاكون فى شكوكهم المشجع منا فى معرفتنا » .

ولاشك أن هذه المواجهة من (فريد وجدى) تدل على مدى غيرته على الدين من شبهات الالحاد الضخمة التى أخذت تشق طريقها بقوة فى هذه الفترة؛ فى حين عجز الأزهر وعلماء الدين عن مواجهتها على النحو الذى يكشف عن وجه الحق .

وتلك هى أضخم تحدياته التى عمل من أجلها مابقى من حياته، ومع ذلك فقد توقفت هذه المجلة بعد عامين ، الى أن أعادها « يونيه ١٩١٤ ــ ١٣٢٢ » مرة ثالثة ؛ وكان ذلك بعد أن توقفت «الدستور» التى شغلته فى الفترة من (١٩٠٧ ــ ١٩١٠) . وقد كان صدور

« الحياة » فى هذه الفترة انما يعنى اتصال فريد وجدى بقرائه عن طريق الصحافة ، هذا الخط الذى حرص على ألا يتوقف ٠

وفى هذه المرحلة من حياة المجلة يتحدث (فريد وجدى) عن أزمة الفكر الاسلامى كما يراها ، فيقول : « ان فى البلاد عشرات الألوف من المنقطعين لدراســة الاســلام ، ولكنهم يمضون عشرات السنين فى دراســة المســائل من نحو وفقه ومنطق وعلوم آلية على طــرق جمعت ضروب العقم ، جاعلين حظهم من الدين حفظ بعض الاصطلاحات الفنية ، كأن الاسلام صلاة وصيام وعبادة وزكاة وحج ونطق بالشهادتين مجردة عن كل أصل من أصول الاحياء وتربية النفس ، ولذلك انحطت درجة أهل العلم فى نظر أنفسهم ، وسرى الانحطاط منهم الى ذات الدين ، فلم يتخيل الناشىء الذى يلوى لسانه بكلمتين أوروبيتين أن فى الاسلام من الأصول ما يرفع أمة أو يحفظ جماعة ، أو ما يساوى مبدأ من المبادىء الاجتماعية التى نقرؤها فى الكتب الأوروبية اليوم » ٠

والحل عنده هو تصوير الأصول الاسلامية بصورتها الحقيقية ، ودراسة مبادئها دراسة فلسفية ٠

وفى هذه الحدود ندب نفســه للعمل ، وكانت اهتماماته فى هذه الفترة تتلخص فى (١) تناول الآراء العلمية فى المادة وصفاتها (٢) مذهب دارون وأصوله ومابنى عليه من الشبه (٣) بحث مشكلة وجود الخالق (٤) ، البحث فى مسألة وجود الروح ونفى الشبه التى يبديها أصــحاب الفلســفة المادية (٥) نقــل مباحث ماوراء المادة كاســتحضار الأرواح ، والتنويم المغناطيسى مما يثبت أن للانسان روحا خالدة بعد الموت (٦) اعادة بنــاء علم الأخــلاق على الأصــول الروحانية التى تحاول الفلسفة المادية هدمها لاقامة أصول حيوانية محضة على أنقاضها ٠ (٧) خدمة الحقائق الاسلامية واظهار جلالها (٨)

الرد على كل كتابة تصدر فى هذه البلاد ، يكون الغرض منهـا تثبيت أصول الفلسفة المادية واستخدامها لنفى العقائد الدينية (٩) العمل على تقوية العاطفة الدينية فى العقول .

وبعد فقد ظل (فريد وجدى) يشق طريقه بالعمل الدائم فى هذه المجالات عن طريق مجلته «الحياة» ومؤلفاته ، ودائرة المعارف التى انتهى من اصدارها عام ١٩١٨ بعد تسع سنوات كاملة من العمل المجهد المستمر « ١٩١٠ – ١٩١٨ » .

فاذا وضعت الحرب أوزارها عاوده الأمل فى اعادة اصـدار « الدستور » .

٣ – عودة الدستور :

وقد أتيح له اصـدار العدد الأول منهـا (جريدة يومية) فى « ٩ نوفمبر سنة ١٩٢٢ – ١٣٤١ هـ » مثبتا شـعارها على صدرها على أنها (صحيفة مسائية يومية سياسية أدبية اقتصادية تصـدر « بالقاهرة – شارع خيرت رقم ٤٠ بجوار المالية » وفى مقاله الافتتاحى تحت عنوان «عودنا الى المجال السياسى» صور كيف توقفت الدستور وكيف عادت « تركنا مجال الصحافة اليومية على كره منا سنة ١٩١٠ لأن ميدان الجهـاد القلمى اذ ذاك كان لايتسع لأكثر من صـحيفة أو صحيفتين ، وكان الموجود منها نحوا من خمس عشرة ، فلم تعش منها كلها الا من كانت تستند على امداد حزب قوى أو سلطة عالية ، فطويت على التتابع بعد الدسـتور صحف النظام والظاهر وضـياء الشرق والجريدة ومصر الفتاة وغيرها . وهذا أمر طبيعى حدث مثله فى كل أمة فى الدور الأول من أدوار وجودها السياسى ، فلا يلام عليه المصريون كما لايلام عليه كتابهم» ثم اشار الى عمله خلال هذه

الفترة بعد توقف « الدستور » : « أكببنا منذ ذلك الحين على وضع دائرة معـارف القرن العشرين ، وما فرغنـا من تأليفها حتى كانت الحرب العامة قد وضعت أوزارها ، فأسرعنا فى سنة ١٩١٩ الى قلم المطبوعات نطلب اليه التصريح لنا باصدار جريدة يومية ، علما بأن الأمة أصبحت فى حاجة ماسة الى جهود أبنائها من الوجهة السياسية، غير حاسبين لتكاليف الجهاد الصحفى فى مثل تلك الأيام حسابا ، فقيل لنا ان الأحوال لا تسمح بظهور صحف جديدة ، ولبثنا مدة ثم راجعنا قلم المطبوعات فاستمهلنا أشهرا أخرى ، فلما انقضت عاودنا الطلب ثالثة ، وما زلنا بين مطالبة ومواعدة حتى مضت ثلاث سنين.

وقد سبقنا بالخطوة بالرخصـة فى خلالهـا من تخلف عنا فى الطلب ، فأذنت وزارة الداخلية بالظهور « للنظام والاستقلال واللواء والسياسـة وصـدى الأهرام » وأخيرا رأت تلك الوزارة أن المجال السياسى يسمح بدخولنـا ، فصرحت لنا باصـدار الجريدة فى ١١ أكتوبر الماضى وهانحن نتقدم الى الأمة وكل بضاعتنا الاخلاص لها » .

وقد حدد هدفه من العمل السياسى فقال: «التفانى فى الدفاع عن حقوقها . والتناهى فى الذياد عن كرامتها، والذهاب كل مذهب فى رفع كلمتها واعزاز وجودها ، مما لانعده من مزايانا ، لأنها ميول أصبحت عامة فى كل من تقله أرضها من ابنائها، لايمتاز فيها كبير أو صغير ، ولا يتفاوت جليل وحقير ، فقد تساوى الطاقة فى العمل لاسترداد مجدها ، واقامة صرح عزها ، حتى صبية المكاتب وأغلمة الطرقات ؛ ولم يبق من مكانات الشرف مرام الا سبق اليه سابق وملأه على اثره لاحق » .

وعنده أن الصحافة اليومية ، وخاصة فى مصر ، يجب أن تلم بالحركة الفكرية العالمية فى كل ضرب من ضروب المجالات العقلية على أسلوب يجمع بين اللذة المعنوية والفائدة العملية فتصبح مدرسة

عامة للشعب يتناول منها أسرار العلم والحكمة دون أن يسأم المزاولة والتحصيل ·

وتلك كانت أمانته فى الفترة الأولى للدستور ، غير أن جريدة الدستور لم تستطع الاستمرار ، فقد عجزت مرة أخرى أن تواجه المناورات السياسية، وكان موقفها من استعجال اصدار «الدستور» الذى كان يعد – اذ ذاك – من الأعمال التى كرهها الوفد « وهو صاحب الأغلبية اذ ذاك » مما دعا الى مقاطعة « الدستور » فتوقف بائع الجرائد المشهور « سعودى » عن حملها ، وقد كان سعودى هو الآمر الناهى فى هذه الفترة ، فأى صحيفة يرفضها لن تستطيع التوزيع ، وقد كان لسعودى موقف معروف مع جريدة السياسة «لسان حال حزب الأحرار الدستوريين» وأصحابها فى الحكم، ولم يستطع (عبد الخالق ثروت باشا) اقناعه بحمل جريدة السياسة الا عند القدر الذى حدده (سعودى) ثمنا لها ·

أما « الدستور » فقد عد من الصحف المعادية للوفد ، فاضطر (فريد وجدى) أن يكتب بيانا مطولا يعلن فيه أنه سيبيع العدد بمليمين فقط · وأن دار الجريدة تقدم الجريدة بعين القيمة التى تعطى بها للمتعهدين أى بمليمين فقط على الطريقة الأوروبية ·

وقد أشار فى بيانه الى ما صادفه من العراقيل فى توزيعها « ما لو صادف أكبر جريدة فى العالم لنحاها من الوجود ، حتى حار طالبوها فى كيفية الحصول عليها فكانوا يتكلفون الحضور الى الادارة لأخذها مباشرة » ثم قال : فرأيتنى مضطرا دفاعا عن المبدأ الوطنى السامى الذى أمثله أن أتولى بنفسى تقديم جريدتى لقارئها بعين القيمة التى تعطى بها للمتعهد » ·

ولم تلبث جريدة « الدستور على مانراها فى مجموعاتها بدار الكتب بالقلعة » أن ضعفت وأصبحت جريدة للاعلانات القضائية

تنشر جذاذات من كتب (فريد وجدى) ومن دائرة المعارف دون أن تتوقف ، وقد ظلت هكذا حتى عام ١٩٣٣ ·

ويقول (عبد الحميد جلال) أحد محررى « الدستور ١٩٢٢ »: ان السر فى اختفاء « الدستور » فى المرة الثانية أن (فريد وجدى) كتب مقالا يستعجل استصدار الدستور عنوانه « الدستور يطالب بالدستور » وأدرك الوفد يومها اهمية رأى ذلك الرجل الذى لايستهان بقلمه ، فنشطوا الى محاربة جريدته محاربة مادية ، اذ انخفضت أصوات الباعة فى المناداة عليها ، فلم يحصل من ايرادها على دانق ·

ولعل (فريد وجدى) قد أصر على ابقاء رخصة جريدته طوال هذه الفترة كسلاح من أسلحته الفكرية والأدبيـة ، وحتى يظل له صوت مسموع ، مهما كان ضعيفا ، وربما كان الأمل يراوده أن يعود مرة أخـرى الى اصـــدارها ، ولعلها كانت عاملا من عوامل شـغل المطبعة ، وقد صفى هذا الموقف كله بعـد أن ولى الاشراف على مجلة الأزهر ، اذ توقفت الدستور نهائيا ، وكان أن تخلص من المطبعة ، واكتفى بالعمل فى المجلة الاسلامية الكبرى ، وفرغ نفسه لها ·

٣ ـ كمـا أصـــدر (فريد وجدى) فى هـذه الفترة مجلة « الوجديات » فى نوفمبر ١٩٢٠ حيث صدرت « الوجدية الأولى » وبدأت المجلة فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢١ ، وظلت تواصل الصدور حتى العدد السابع عشر فى ١٥ أبريل ١٩٢٢ ثم توقفت ·

وكان (فريد وجدى) قد بدأ فى مجلة «الحياة» نشر فصل تحت عنوان الوجديات عام ١٨٩٩ ثم عاد اليها فى المجـلة ذاتها ١٩٠٦ ·

وقد أولى هذا اللون من الكتابة اهتماما بالغا واستهل مجلته على هذا النحو : « الوجديات هى مقالات خيالية · الغرض من نشرها

تصوير مثل عليا للحياة الفاضلة ، وامداد النفوس بالقوى الأدبية الضرورية لهـا ، وقد اخترنا هذا الأسلوب لمواعظنا لأنه أفعـل فى النفوس من سواه » كما صور (وجدى) غايته من هذا العمل فى قوله : الأمم لا يستقيم أمرها الا بشكائم أدبية تنزل من عقولها وتحكم فى أهوائها ، وقد اثبت العلم ان الاباحة كانت دائما السبب الرئيسى لكل انحلال طرأ على المدنيات القائمة » .

وقال : « لسـنا أول من اخترع هـذا النوع من الأدب ، فقد سبقنا اليه فطاحل كتاب العربية الأقدمين : بديع الزمان الهمذانى ، وأبى القاسم الحريرى وجار الله الزمخشرى ، وجلال الدين السيوطى، ثم تلا تلوهم فى العصر الحديث نصيف البازجى اللغوى المشـهور ، فرأينـا أن نحتذى شاكلتهم ، ونترسم خطواتهم ، بوضع مقـامات أدبية ترمى لأغراض تعليمية ، وزدنا عن متقدمينا بأن جعلنا الصبغة الفلسفية فيها متغلبة على سـواها ، حرصا على الغـرض الرئيسى الذى حدانا لنشرها » .

ولقد لقيت هذه الوجديات رواجـا كبيرا ، واهتماما بالغـا ، لما فيهـا من امتزاج الخيال والعـلم والفكاهة « جذبا للنفوس الى مطالعتها » .

ولما كان (فريد وجدى) مفكرا ملتزما فانه قد أجاز لنفسه أن يستعمل كل سلاح شريف فى سبيل تبليغ دعوته : يقول فى ذلك: « أطلقنا فيها « أى فى الوجديات » عنان القلم فى ميدان الخيال وجعلناه واسطة مؤثرة فى اشراب القلوب نور الحقيقة التى تدافع عنها ، ونسعى فى تجليتها ماوسعنا ، وانا مع تحرجنا الشديد عن الولوج بكلياتنا فى ميدان لم يجل فيه أسلافنا الصالحون ، لم نر بأسا من استعمال هذا السلاح الحاد فى بث أفكارنا ونشر آرائنا، لا سيما وقد استعمله ادباؤنا بدون تحرج ، فان رسائل اخـوان

الصـــفا ، وكليلة ودمنة والصـــادح والباغم ، ومقامات الهمـــذانى والحريرى وابن حبيب كلها من قبيل استعمال الخيال فى سبيل الحقيقة » .

وقد أعيـد طبع « الوجديات » فى رسالة خاصة شاملة . وكان لها قراؤها المهتمون بها وكان لها أثر ضخم فى تحويل أنظار قرائها الى الهدف الذى قصد اليه صاحبها . هذا فى مجال الصحافة ، أما فى مجال التأليف فقد كان أبرز مؤلفاته فى هذه الفترة « على أطلال المذهب المادى » ١٩٢١ « الاسلام : دين عام خالد » ١٩٣٣ .

أما كتابه عن المذهب المادى فقد صدر فى أجزاء من بينها كتاب «الموت وغامضته» (لكاميل فلامريون) ، وقد واجه (فريد وجدى) فى هذا الكتـاب نظريات الفلسفة المادية مدحوضة بأقلام عدد كبير من كتاب الغرب أنفسهم ، أنصار الفلسفة الروحية ، وينم اسم الكتاب على مدى ثقة (وجدى) بما يدعو اليه ، حتى انه اعتبر هذا المذهب الذى استشرى من بعد وازداد قوة « أطلالا » وقد وضع على صدر كتابه كلمة الدكتور شبلى شميل التى كان قد ســجلها عنـــدما أصدر كتابه عن الفلسفة المادية المسمى « شرح بختر على دارون » وهى : « طالع هذا الكتاب بكل تمعن ، ولاتطالعه الا بعد أن تطلق نفسك من أسر الأغراض لئلا تغم عليك وأنت واقف تطل على العالم من مرشفة عقلك تلتمس الحقيقة من وراء ستارها » وقد جمع فيه خلاصة ماقيل فى نقض مذهب الماديين .

أما كتـاب « الموت وغامضته » الذى ترجمـه عن الفرنســية للفيلسوف (كاميل فلامريون) وعده جزءا من كتاب « على أطـلال المذهب المادى » فهو يبحث فى اثبات الروح بالأدلة العلمية ، ويبدى (فريد وجدى) حماسة كبيرة لظهور طائفة من العلماء — يبحثون فى أمر الروح ، ويثبتون وجود العالم الروحانى والروح الانسانية

وخلودها ، اثباتا علميا ، ويرى أن ذلك من شأنه أن يحدث تطورا أدبيا « ينقل الانسانية الى مكان من الرقى المعنوى لايتخيلها اليوم أكثر الناس تفاؤلا » وأن هذا الاتجاه من شأنه ان يقضى على نزعتى الالحاد والاباحة » ٠

***

أما كتابه (الاسلام دين عام خالد) فقد نشره فى جريدة الجهاد عام ١٩٣٢ منجما فى ظل ظهور كتاب فى الجامعة الأمريكية تحت اسم (مسائل فى العلم) يهاجم الاسلام والقرآن والنبى محمدا صلى الله عليه وسلم ، ويثير العديد من الشبهات ، وقد انتدب (فريد وجدى) للرد على هذه الشبهات ودحضها بعد تفنيدها ، فكانت فى مجموعها ثمرة لهذا الكتاب الذى يمثل فكر المترجم له ، وقد وصل قمة نضوجه ، وأرقى مدى لدعوته الى عالمية الاسلام ، وبلوغ أقصى درجات القوة فى الأداء والمضمون ، وقوة العارضة فى التصدى للالحاد والفلسفة المادية ، ولخصوم الفكر العربى الاسلامى ٠

ومع ذلك فقد لقى هذا الكتاب هجوما ونقدا من (الشيخ رشيد رضا) ، وفق مفهومه الذى ظل متمسكا به ، وهو معارضة كل من يتصدى للكتابة عن الاسلام من غير أصحاب الدراسات الاسلامية فى الأزهر أو المعاهد الدينية ، كما عارض بعض آرائه التى استهدف منها (فريد وجدى) دفع الاسلام الى المجال العالمى ٠ وحل المشكلات التى تواجهه ازاء نظريات العلم المادى ٠

ومن آثاره فى هذه الفترة كتابه : « شرح منهاج التعليم فى المدارس » وقد أصدره فى مجلدين ، واحتوى التفاصيل الكاملة التى رسمتها المناهج فى مجالات التعليم المختلفة مسهلا بذلك على الأساتذة فى المدارس الحصول على المعلومات اللازمة لموضوعات الدراسة ٠ وقد أشار فى بعض كتاباته الى انه أراد مساعدة هذه الطائفة الكريمة

على أداء مهمتها الاجتماعية الجليلة ، خاصة وأن كثيرا من المعلومات التى قررتها الوزارة لاتوجد الا فى اللغة الفرنسية أو الانجليزية وبعضها لم يدون بعد فى الكتب لحداثة عهده • وقد اثلج صدر فريد وجدى من بعد أن وجد تقديرا لاحـد له لهذا العمل من الاسـاتذة والمدرسين فى مصر والعالم العربى كله •

أما كتابه « دستور التغذى » فالمعتقد أن (فريد وجدى) قد حاول به رسم منهجه فى المذهب النباتى (١) ، ومواجهة أخطار أكل اللحوم ، وقد ضمنه مجموعة من المقالات لكبـار علماء الصـحة فى صنوف الأطعمة وقيمتها الغـذائية ، وما يصلح للأمزجة المختلفة ومقاديرها • ولاشك ان (فريد وجدى) كان منذ مطالع شبابه حفيا بهذه الدراسات ، مؤمنا بالاعتدال فى أمور الطعام والشراب على سنة العلم الذى يوافق الدين فى خطر الافراط ، واثقا من ان الانسـان يستطيع ان يطيل فى حياته اذا التزم طريقا وسطا ، وقد حقق هو ذلك فى حيـاته ، واستطاع أن يعيش الى حدود الثمانين سليم البنية ، سليم العقل ، وأثر مذهبه هذا فى العقاد الذى سـار على هذا النهج ، وجرى هذا المجرى كما كان (لفريد وجدى) تلاميذ كثيرون يؤمنون بالمذهب النباتى فى مقدمتهم (المهندس محمد توفيق أحمد) الذى أبطل اللحوم منذ سن الثانية عشرة ، ومازال يعيش فوق الستين حياة الشباب فى سن الثلاثين •

وقد أولى (فريد وجدى) فى كتابه هذا أمر طعام المشتغلين بالأمور العقلية ورسم لهم منهجا غذائيا خاصا بهم ، وقال ان علماء الصحة أجمعوا على عدم ترك الذين يشتغلون أشغالا عقلية ينفذون ما تمليه عليهم أهواؤهم •

---

(١) اعتنق فريد وجـدى المذهب النباتى عام ١٩١٤ واعتنقته زوجته أيضا ، وكان من الدعاة اليه وقد كان تلميذه (المهندس محمد توفيق أحمد) من أبرز هؤلاء النباتيين ومازال يحمـل لواء الدعوة الى هذا المذهب •

المرحلة الرابعة
الصحافة الإسلامية والأزهر

دخلت حياة (فريد وجدى) الفكرية فى مرحلة أشــد عمقا واتساعا حين ألقى اليه الاشراف على مجـلة الأزهر التى كان يطلق عليها اذ ذاك « نور الاســلام » ، وذلك فى ١١ من شهر سـبتمبر ١٩٣٣ . وقد تحول اسمها الى مجلة الأزهر عام ١٩٣٥ ، وظـل (فريد وجدى) يحررها ويشرف عليها حتى فبراير « ١٩٥٢ م - ١٣٧١ هـ » وبذلك عايش هذه المجلة حوالى عشرين عاما لم يتخلف عن الكتابة فيها الا شهرا واحدا « هو شهر ربيع الأول - ديسمبر ١٩٥١ » وقد أعفى نفسه من العمل بمحض حريته لاحساسه بحاجته الى الراحة (١) .

وقد كان (فريد وجدى) فى أوائل عمله بالمجلة يحرر بهـا عدة مقالات كل شهر ، وذلك فى خلال السنوات الخمس الأولى،

---

(١) توفى الكـاتب فى ١٩٥٤/٢/٥ وتاريخ مولده فى رأى كل من أرخوا له بين ١٨٧٥ و ١٨٧٨ م وفى خطـاب خاص (للمهندس محمـد توفيق أحمد) الـه سمع منه شخصيا انه ولد عام ١٨٦٩ .

ثم اقتصر على مقال واحد بعد ان اتســـع نطاق الكتاب الأزهريين العصريين الواسعى الأفق ٠

وكانت مقالاته منوعة عن الجوانب المختلفة ، فى مقدمتها الرد على الشبهات التى توجه الى الاسلام ، وتحرير الرأى بالنســـبة لمجابهة الفلسفة المادية والالحـــاد ، ومهاجمة البهائية والقاديانية ، وذلك بالاضافة الى دراساته عن أعلام الاسلام ، وعن المناســـبات الاسلامية المختلفة كالحج والهجرة ومولد النبى ورمضان ٠

وقد نشر (فريد وجدى) فى هذه الفترة ثلاثة بحوث ضخمة لم تجمع فى كتب بعد وهى :

أولا : « مهمة الدين الاسلامى فى العالم » وقد كتب ٢٦ حلقة ناقش فيها مختلف مفاهيم الاسلام فى الدعوة الى العلم وأغراضـــه الاجتماعية والعمرانية وعودته الى تأسيس مدنية عالمية فاضـــلة ، ووحدة العقيدة الدينية ٠

ثانيا : « السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة » وقد امتد هذا البحث سبع سنوات وبلغ ثمانين حلقة «١٩٣٩ ـ ١٩٤٦»٠
ثالثا : « عناصر المدنية فى الديانة الاسلامية »
وقد صور (فريد وجدى) تجربته فى هذه المرحلة فقال :

« كان مجال الكتابة فى مجلة الأزهر ، صدرت «١٩٣٠ـ١٣٤٩ هـ » باسم نور الاسلام ، مقصورا على التفسير والحـديث واحيـــاء السنة والدعوة الى الفضائل ، دون الخوض فيما تسرب الى القلوب من الشبهات العلمية من بين ثنايا المعـــارف الحديثة ، وما تحمله المجلات من الدراسات الفلسفية ، وما تصدره المطـابع من ترجمات المؤلفات الأجنبية ٠٠ فكان القراء يشعرون فى هذا الدور بالحـاجة الملحة الى معرفة رأى الدين فى تلك المقررات العـلمية والفلســفية

المزعزعة للعقـــائد على وجه يثلج الصـــدر ويحفظ كرامة العلم والفلسفة ٠٠ وقد رأيت ايثار الناس بطلبتهم من هذه الناحية ، وأن تناقش المجلة الآراء الحديثة ، وترد على ما يستدعى الرد ، لحمـاية القلوب من تسرب سموم الالحاد اليها ، محمولا بين أطواء مايدرسه الطلبة فى المدارس والجامعات المدنية » .

وقال (فريد وجدى) : « باشرت مهمتى فيها فأنست من الرأى العام والصحافة ارتياحا نشطنى على المضى قدما فيما عهد الى واطردت زيادة المجلة حتى بلغت ١٤ ألفا » ٠

وفى آخر أعوامه كتب فى الافتتاحية يقول : « أسـندت الينا « هذه المجلة » منذ نحو عشرين سنة ، فلا نتمدح بما قمنا لهـا فيها من الخدم ، ولا بما أحدثنا فى تحريرها من التطورات ، وكلنا نذكر أن دعوتنا لهذه المهمة كان أمرا يجب التفكير فيه اذ ذاك قبل الاقدام عليه ، لما كان عليه أصحاب الكلمة العليـا فى الأزهر من الورع المبالغ فيه فى الكتابة للدين ، ولكن ما كاد يظهر العدد الذى تولينا ادارته حتى تواترت التهنئة من كل صوب » ٠

وكان (فريد وجدى) قد اسـتهل عمله فى مجلة الأزهر بتوجيـه كلمة تعهـد فيها ببذل الوسع فى الاضطلاع بهذه المهمـة الخطيرة ، ووقف كل جهوده على أبلاغ هذه المجلة المكانة التى تليق بها ، من قيادة النهضة الدينية فى العالم الاسلامى ، ودفع شبهات خصـوم الدين التى توجه اليهـا ، واستخدام الأسلحة العلمية والفلسفية لاثبـات انه الدين الحق ، وأنه الدين العـالمى الخالد الكافل لسعادة البشر على اختلاف بيئاتهم وأجناسهم .

وبالجملة فان هدف مجلة الأزهر فى نظر (فريد وجـدى) هو « خدمة الاسـلام بالدلالة على أصالة أصـوله ، وسمو مبادئه ، وصلاحية تعاليمه لكل زمان ومكان » ٠

والواقع أن اختيار (فريد وجدى) لادارة وتحرير مجلة الأزهر، كان عملا موفقا كل التوفيق فى سبيل تطوير الفكر الدينى ونقله من طابعه التقليدى الى طابع عصرى مستحدث يجرى تناول الدراسات الاسلامية فيه وفق المنهج العلمى الحديث . وقد كان (لفريد وجدى) أبعد الأثر فى شق هذا الطريق وتعميقه ، وهو الرجل الذى لم يتعلم فى الأزهر أصلا ولكنه من أكبر الباحثين خبرة بالدراسات الحديثة ومناهج الباحثين الغربيين ، وله المام واسع بالشبهات والتحديات التى توجه الى الاسلام وقد شملت المجلة بحوثا باللغة الانجليزية وترجمات للقرآن ، والأحاديث النبوية ، كانت بعيدة الأثر فى المناطق الاسلامية المختلفة التى لا تعرف اللغة العربية ، وقد حفلت هذه الدراسات الأجنبية بالرد على الشبهات، وعرضها بلسان أصحابها .. وقد نشر (وجدى) عديدا من الابحاث باللغة الفرنسية فى صحف فرنسا ومجلاتها وهى لم تجمع بعد وكان هدفه منها ابلاغ كلمة الحق الى أهل الغرب بلغة من لغاتهم .

***

وفى هذه المرحلة توقف (فريد وجدى) تماما عن التأليف ، وتخلص من المطبعة وغيرها من وسائل النشر ، واكتفى بهذا العمل وحده ، وجعله طريقه الى قرائه والى الناس ، يبلغ به غايته فى بث الكلمة المؤمنة ، واذاعة الرأى متابعا كل ما يكتب عن الاسلام ، وقد أنشأ لفترة طويلة بابا أطلق عليه « معرض الآراء العالمية » كان يلخص فيه أقوال الصحف الفرنسية وغيرها عن الاسلام ، ويرد على ما يحتاج منه الى رد .

واذا كانت المرحلة السابقة يمكن أن يطلق عليها مرحلة الموسوعة والعمل المنوع الواسع الأفق فى كل المجالات ، فان هذه المرحلة تتميز بأنها مرحلة العمل للاسلام أولا ، وللأديان ثانيا ولكل أفكاره ونظراته التى بدأها منذ فجر الصبا ، التى ترمى كلها الى

مقاومة الالحاد ونظريات الفلسفة المادية وبث الايمان بعالم الروح بدلائل من العلم الحديث .

ولقد كان (فريد وجدى) منذ فجر حياته ينظر الى علمـــاء الدين التقليديين الذين لقيهم فى صباه على أنهم حجرة عثرة فى سبيل تجدد الاسلام وتطور أساليب الدعوة اليه وعرضه، وكانت له أبحاث متعددة عن تجديد الأزهر واصلاحه ، وقد عاش حتى ألقيت اليه رسالة توجيه فى هـــذا المجال ، وان كان قد لقى من بعض المتصدرين للفكر الدينى اعتراضا أو مناقضة فى الرأى بحجة انه لم يتعلم فى الأزهر ، فانه قد دحض هذا بأقوى حجة حين اســتطاع أن يبرز فى مختلف الدراسات الاسلامية واللغوية وتفسير القرآن وغيرها ، على نحو يؤكد أن الدراسات الاسلامية يسيرة على من تقوى همته على درس خارج الأزهر ، كما فتح الطـــريق أمام الباحثين من غير الأزهريين فى دراسات الاسلام .

الباب الثاني

مفاهيم (فريد وجدي) وفلسفته

يكشف (فريد وجدى) من خلال الاطار الذى رسمته حياته الفكرية بين الصحافة والتأليف والترجمة وبين الموسوعة والكتاب ، ومن خلال ألوف الصفحات التى حررها منذ بدأ يكتب عام ١٨٩٦ الى أن توقف قلمه قبيل وفاته بآخر كتاباته « فى مجلة الأزهر فى فبراير عام ١٩٥٢» والى أن توفى ١٩٥٤ — أنه «صاحب رسالة» حمل لواءها نيفا وخمسين عاما لم يتوقف ، وقد بدت هذه الرسالة واضحة أمام فكره منـــذ اليوم الأول ، وظلت تمضى كالنهر تعمق وتمتد حتى نهاية عمره ، فهو من أولئك المفكرين الانسانيين الذين تملكتهم فكرة واحدة كبرى يعيشون لها حياتهم ويدافعون عنها بكل ما يملكون من أسباب ووسائل وأسلحة ، ومن أجل هـــذه الرسالة التى آمن بها « فريد وجدى » عاش حياته وجرد نفسه لها فلم يخلط بها شيئا من مطالب الحياة أو لذات العيش ، وقد ملكت عليه وقته وماله فلم تصرفه لعمل آخر ، ولم تكن الا لذته الكبرى التى تملأ عليه حياته كلها ، ومن عجب أن رسالة « فريد وجدى » أنما كانت فى جذورها الأولى تمثل أزمته الشخصية ، أزمة عقله وروحه ، فلما اتيح له أن يقرأ ويبحث ويهتدى، جعل منها قضية كلية عامة للناس جميعا ، ذلك بأن نظريات الالحاد والتشـكيك فى العقائد والأديان كانت أزمة العصر فى مطالع شبابه ، وقد حاول أن يجد حلا لها عند المتصدرين للعلوم الدينية فعجزوا عن أن يحققوا رغبته أو يقدموا له الهداية واليقين ، فلما وصل الى ذلك عن طريق دراسة الأديان وعالم ماوراء المادية وأبحاث الروحية، دعاه ذلك كله الى ان ينتدب نفسه ليكاشف به بنى قومه، وأن يحمل لواء العمل لرد الشبهات ودحض الاتهامات المثارة ضد الاسلام والأديان وعالم ماوراء المادة .

ومن خلال مؤلفاته المتعددة ، وصحفه وأبحاثه ودراساته المتوالية فى حلقات حياته المختلفة ، كان مرن العبارة ، واسع الأفق ، قادرا على الاستيعاب من الموسوعات والمؤلفات الغربية ، وقد تطور أسلوبه وانصقل مع الزمن حتى غدا فى الأربعينات غاية فى المرونة والسلاسة ، ولكنه عاد فى كتاباته لمجلة الأزهر الى أسلوب أكثر فخامة وبلاغة ، مما كان يكتب به فى الصحف والمجلات، ولعله كان يحرص على بلوغ أكبر قدر فى نفوس قرائه فى مختلف أجزاء العالم الاسلامى ·

ونستطيع أن نقول ان (فريد وجدى) قد طوف بكل دراسات الفكر الاسلامى من وجهة نظر الباحث الذى يقف تحت لواء واحد طيلة حياته هو لواء الدفاع عن الدين عامة وعن الاسلام خاصة ·

ولذلك جاءت أبحاثه حول الفلسفة المادية والالحاد ، وعالمية الاسلام ، والمجتمعو الحضارة ، والمرأة والحضارة ، والاسلام والحضارة ، والاسلام والعلم ، والقرآن وتفسيره وترجمته ·

وقد حفلت مؤلفاته وكتاباته بآراء قيمة تسير كلها فى هذا الخط ، وتجرى فى هذا المجرى ، وتبدو فى المرحلة الأولى من حياته كغدران صغيرة ، فاذا نظرت اليها فى نهاية حياته وجدتها قد تعمقت واتسعت وأصبحت أشبه بالأنهار الكبرى ، غير انها لم تزد ولم تنقص ·

وقد كان (فريد وجدى) يستطيع أن يكون أديبا ، وهو أديب وشاعر وله نظم جميل ، ويستطيع أن يكون صحفيا عالميا ، وان يكون عالما اجتماعيا ، فقد بدأ حياته بدراسات العمران وعلم الاجتماع ، وأن يكون مؤرخا ، وأن يكون كاتب تراجم ، ولكنه آثر ذلك الخط الواحد الذى بدأ منه ومضى عليه طوال حياته ، ذلك بأنه لم يكن من المتطلعين أساسا للشهرة أو المنصب أو المال ،

وانما كان يستهدف أن يرضى نفسه ، وضميره ، بأن يحرر العقائد ويصحح المفاهيم ، ويدفع عن الدين والروحية والاسلام والانسانية كل أتهام .

ومن هنا كان ايمانه بالعلم ايمانا لاحد له .

وقد حدد هدفه على أن خدمة الاسلام على النحو الذى يتفق وثقافة العصر الحاضر ، وتقبله عقلية أهله ، وخدمة (القضية الدينية) على وجه عام ، ضد الفلسفة المادية » التى استبدت بالعقلية الغربية ثلاثة قرون متوالية ، فأفسدت المذاهب الفلسفية، واستندت الى الناحية المادية فى العلم فجعلت لنفسها سلطانا على الأذهان ، لم يكن لتعاليمها الالحادية فى أى عهد من عهود البشرية من قبل ، وأسقطت من سلطان العقل فى الاشادة بالحس ، فأضاعت على الناس مزية الاستهداء بنور الوجدان توهما أن الحس وحده هو الموصل الى الحقائق ، لولا أن تداركها الفيلسوف (برجسون) بما كشفه من خصائص الوجدان ، لضاقت حدود الفلسفة الحسية حتى فنيت فى العلم ، وفقدت وصفها كفلسفة ، نعم ؛ ان الدليل المحسوس هو الدليل الذى لا يمكن التمادى فيه ، ولكن فى الوجود حقائق أولية لا سلطان للحس عليها ، ولا يدركها الوجدان ، والنظر العقلى المحض ، وهى تهم الانسان وتؤلف عناصر كماله المعنوى ، وعليها يقوم سموه الأبدى ، ولا غنى له عنها بوجه من الوجوه «وعنده» أن الدفاع عن الأصول الدينية ضرورة ، لأنه لا معنى لأن نقيم صرح الايمان بينما تندس فى العقول مزاعم المادية تهدم ما نقيمه منه ، ان لم يكن علنا ففى ثنايا النفوس وأحناء القلوب .

ومن أهدافه « محاسبة المذهب المادى على ما يبث من أصوله ومبادئه ، مستندين فى ذلك على الاكتشافات الحديثة للعلم مبينة

بالأدلة ، القاطعة أن تلك الأصـول قد حطمتها المكتشفات تحطيما وذرتها فى الهـواء » .. وأشار الى ما وجه اليه من نقد ، بالنقل من الفلسفة الغربية فقال : « اننا باكثارنا من الفلسـفة الغربية للقرن العشرين انما نرمى الى دحض ما آوى الى الشرق من فلسـفة القرن التاسع عشر الالحادية بواسطة الذين نهلوا من حياضها من قومنا ، ونهضوا لترويجها هنا بعد أن لفظها أهلها هناك » .

ومن هنا يبدو أن التحدى الأول الذى يواجه الانسـانية والدين هو الالحاد والفلسفة المادية .

١ ـ الالحاد والفلسفة المادية

يرى وجدى أن المذهب المادى « فلسفة » لا « علم » ، وفرق كبير بينهما ، « فالعلم » يرود بوسائله مجاهيل هـذا الوجود الضـخم ويدون العلاقات الموجودة بين ظواهره منهـا ، ويضـم الأشياء الى نظائرها ثم يبذل وسعه ليجد النواميس العاملة فى كل طائفة منهـا ، وهو يحلل المواد ليعرف عنـاصرها الأولية · اما « الفلسفة » فهى جهاد من العقل وراء ادراك الحقيقة الكلية للوجود، وقد دخلت منذ عهد نشوئها الى اليوم فى أطوار كثيرة ، فبعـد أن كانت تعتمد على العقل وحده ، أصبحت اليوم تعتمد عليه وعلى العلم أيضا ، ومن هذا الطريق وصلت الفلسفة الى ما وصفت نفسها بالطبيعة ، وهى التى يعتمد عليها « المذهب المادى » الى الحكم بأن الوجود مادة محضة ، ومحكوم بنظام لا يتخلف ، وأن ما يسمى عقلا وروحا وعواطف « هى » حالات راقية من المادة ، وليس لها وجود خاص تستمده من ينبوع سواها ·

ثم يقرر (فريد وجدى) ان العلم فى الخمسين سنة الأخيرة دخل فى طور جديد من التشكك ، دفع أقطابه الى أن يضعوا يقينياته فى الميزان من جديد ، وتغيرت لهجة ممثليه فأصبحوا يكثرون من قولهم انالوجود مشحون بالمجاهيل، حتى فيما ندعى أننا قد فرغنا من بحثه · ويقول : وقد وصل من أقوال العلماء فى هذا الصدد الى أن المذهب العلمى قد آثيرت حوله الشبهات ، وأن فتوحات جديدة

وصل اليها العلم فى مجال المباحث النفسية ، وأن عهـدا جديدا بدأ ؛ يتمثل فى حاجة العقل ، وحاجة الروح على أسـلوب علمى محض ، وأنه اليوم يعلن أن الأصل الروحانى ضرورى لبناء مذهب يحل معضلات الكون ٠

هذا هو موجز النظرة التى يعتمد عليها (فريد وجدى) فى مقاومة « الفلسفة المادية » ومن هنا تأتى دراساته المتعددة والمطولة والمستمرة حول ما أسماه : « تغلب العلم على المذهب المادى » وهو فى هذا الصدد يعتمد على دراسات لعشرات من الباحثين أوردها فى كتابه (على أطلال المذهب المادى» فى ثلاثة أجزاء، وفى مقدمتهم (جوستاف لوبون) فى كتابه « تحول المادة » ، (وكميل فلامريون) فى كتابه «الموت وغامضته» وكلمات لأمثال (بوسـيان بونكاريه وشـارل ريشـيه واميل بيكار وهربرت سبنسر ووليم كروكس وجيو) (١) ٠

وبعد أن يناقش كل ماكتبه هؤلاء يصل الى قوله « لا مشـاحة بعد هذا أن العلم نفسه قد أتى على المذهب المادى من أساسه الذى يقوم عليه ، فاذا أضيف الى هـذا فتوحات علمية أخرى وفق اليها العلم نفسه فى مجال المباحث النفسية ، أدركت أن دولة هذا المذهب قد دالت ، وأن عهدا جديدا قد بدأ يظهر ، تتمثل فيه حاجة العقل وحاجة الروح على أسلوب علمى محض ، فيزول النزاع القـديم بينهما زوالا أبديا ، ويزول بزواله مذهب سـمم العقول والقلوب آمادا طويلة ، وكاد يدفع الناس الى اباحة حيوانية لا يعرف غـير الله ما كانت تجنيه عليهم ، وان اليوم الذى يعلن فيه العـلم أن الأصل الروحانى ضرورى لبناء مذهب يحل معضلات الكون لهـو

---

(١) اقرأ الفصل « تغلب العلم » الهلال (نوفمبر ١٩٣٣) ٠

أجل يوم في تاريخ العقل الانساني ، وأول عهد الانسانية بمدنية فاضلة تصل بها الى مالا يتخيله التصور من الجلال والكمال » .

ومن هنا يصل (فريد وجدى) الى ان العلم قد وصـــل الى اثبات وجود الروح « الاسبرتزم » وبطلان الشبه التي يدلى بهـــا الماديون في سبيل نفيها ، وأن الروح الانسانية حقيقة ثابتة لا يمكن المراء فيها .

ويعتمد (فريد وجدى) فى هذا على ما أثاره العلم من كشوف فى هذا المجال ، وتناولها الباحثون ، وفى مقـدمتهم (كاميـــل فلامريون) ، الذى يقول : « ليس من كمال العقل أن يقف الانسان مع المادة ، ويكذب كل مايروى عما وراءها ، وانه من كمال العقل أن يعرف الانسان أن كل مالديه من العلم انما هو نقطة فى بحر ، واذا كنا (ونحن فى أول عهدنا بالعلم) يخيل الينا أننا قد أحطنا علما بما كان ويكون ، وأنه ليس فى الوجود ماتهدينا اليه الحواس الخمس ، فنحن معذورون ، لأننا مبتدئون ، ولكن تلك الأقوام المتمدنة التى أمضت فى الحياة العلمية أجيالا قد عادت تســـتدرك خطأها الأول ، وتدرس ماكانت تعده بالأمس أوهاما ، حتى قال أوليفر لودج أن الحاجز بين العالمين المادى والروحانى قد رق بفضل ما بذل من الجهود فى ازالته » .

ويقول (فريد وجدى) الذى يعاود هذه المبـــاحث ويراليها على نحو متصل ، ويقدمها لقرائه فى مؤلفاته وكتبه وصحفه ، ان العلم الأوروبى سائر نحو اثبات عالم الآخرة بالحس ، حتى لا يكونن للملحد أن يرفع عقيرته بالالحاد .

❋ ❋ ❋

وعندما سئل عما اذا كان يؤمن باستحضار الأرواح ، اجاب بالايجاب ، وقال : « نحن ان كنا نكتب عن فن استحضـــار الأرواح

وندافع عنـــه فانما نكتب فيه لجملة أوجه منهـــا ، انه أكبر هادم لمقررات العلم المادى الحاضر الذى قرر عدم وجود شىء فى الوجود غير المادية وقوتها الذاتية ، وأن كل هذا الابداع فى عالم الشـــهادة ناشىء من فعل نواميس الطبيعة القديمة كقدم المادة ، وانه لا روح ولا خلود ولا روحانيات ، وأن الانسان حيوان مرتق فى سلسلة الوجود ليس غير ، فننقل من مذهب ما وراء المادة التجريبى العملى ما يكسر من شرة القـائلين بهذه المقالات ، ولا سيما وهم يتبجحون بطلب الأدلة الحســية لا العقلية ، فلم نر ســلاحا يطأطىء من هــذه الرءوس الشامخة ، ويطامن من هذه الكبرياء المفرطة ، الا مقابلتهم بأبحاث أركان علماء أوروبا فى فن استحضار الأرواح .. والتنويم المغناطيسى ، فانها اقوى سلاح اتخذه حمـاة العقائد ضد هؤلاء ، نقول ونحن لعين هذا الأسباب نكد فى البحث فى عالم ما وراء المادة العصرى ، ونقول بأعلى أصـــواتنا : أنه أكبر نصير للاسلام وبواسطته ستسلم أوربا اسلاما تدريجيا » .

***

وفى خلال حياة (فريد وجدى) الفكرية الممتدة ، دخــل فى عشرات المساجلات من أجل هذه الدراسات وجدواها ، ولطالما أثيرت مسألة مناجاة الأرواح ، وكتبت عشرات المقالات عنها .

ولقد تناول (فريد وجدى) هذه الأبحاث فى مجلة «المقتطف» وكتب ثلاثة وعشرين مقالا ، ثم عقب عليه (الدكتـــور صروف) معارضا قال (الدكتور صروف) : « ان ما ذكره (فريد) يرجع أنه لم ير شيئا منذ بعيد ، ولم يقع شىء منه فى اعتباره بل قراه فى كتب القوم ومجلاتهم ، أما كونه موجودا فى كتب القوم فلا شبهة فيه ، ولا شبهة ان كان الذين يصدقونه يعدون بالمئات فان الذين لا يصدقونه لا كبرا ولا عنادا ولا جهلا أكثر عددا اما لأنهم

لم يعلموا به ، أو لأنهم علموا به وراوا انه غير صحيح ، وأن الذين يصدقونه مغشوشون .. »

وكان هذا الحوار مؤكدا عمق الخلاف بين الماديين والروحيين فى هذا المجال ، فطالما أشار (فريد وجـــدى) الى أن الذين لا يؤمنون بوجود عالم ما وراء المادة ماديون ، وأن اعتقادهم المادى هو الذى يحملهم من التسليم بوجود الأرواح .

ولقد تناول عدد من الباحثين وجهة نظر (وجدى) بالنقد ، فقال (عبد الواحد يحيى) ردا عليه (مجلة المعرفة م١ — ١٩٣١) ان فكرة محاربة المادية المنتشرة فى الغرب بواسطة العـلم المادى نفسه هى فكرة خاطئة لا تؤدى الى نجاح ما ، وان هذه الفكرة نشأت من توهم أن مثل هذه الوسائل هى الوحيدة التى يمـكن الاعتماد عليها فى محاربة المادية ، وفى الحق ان لدينا علوما أخرى لا تقل فى أهميتها وحقيقتها عن سابقها ، تستخدم وسائل مخالفة تمام المخالفة غير معروفة للغربيين الحديثين ، ولم يقل لنا هـــذا الباحث ما هى هـذه الوسائل ، ولكنه عرض للفيلسوف (كاميل فلامريون) الذى لم يتوقف (فريد وجـــدى) عن الترجمة عنه ، والاشارة اليه حتى آخر مقالاته فوصفه هذا الباحث بأنه « متجر بالعلوم » .

كما عرض (وجدى) للحوار مع نصيف المنقبادى فى أمـر الغرائز الحيوانية وتعليلها وفق مذهب الآليين ، فقال : « ان المذاهب التى تفسر كيفية ظهور الأنواع تبدو متخالفة كلها ، فيما بينها على الأصول الأولية تخالفا يضيع كل ثقة فيها ، وتثبت للقـارىء أن حقيقة العوامل التى أوجدت هذا التنوع فى الأحيـاء وغرائزها لا تزال سرا غامضا » .

وقد عرض (الدكتور هيكل) للخلاف بين نظريتى (فريد

وجدى والدكتور صروف) فقال : « ان النظرية العلمية المـادية التى يؤيدها (الدكتور صروف) بكل ما أوتى من قوة والتى يرى معها ان كل التجارب التى ارادت الاعتماد على الطرائق العلمية فى البحث لاثبـــات أن الحياة الروحية قد ظهر منها الكثير من خداع الوسطاء ، وأن الحياة الروحية لذلك لا يمكن اثباتها مســتقلة عن الحياة المادية . بينما النظــرية الروحية التى يؤمن بها (فريد وجدى) ويرى معها أن الجسم ليس الا غلافا للروح ، وأن الروح هى الحياة كلها ، وأنها باقية مســتقلة عن الجسم ، وأن العناية بالجسم على حساب الروح ليس الا بعض نزغ الشــيطان مما يجب على الحكيم أن يسمو عنه وان لايخضع له بحال » .

كما تناول هذه الأبحاث (اميل زيدان) فى الهلال « مجلد ١٩٣٢ » وكتب عن اختباراته وآرائه بعـد أن كتب (حنا خباز) وغيره ، ودخل (فريد وجدى) مجال البحث فقد كان يرجع اليه فى كل ما يثار نحو ما وراء المادة : ويرى (وجدى) أن هذا المجال هو اكبر فتح علمى أفاضه الله على الناس فى العهد الأخير ، وقال ان الاتصال بأرواح الموتى ومناجاتهم قديم ، فقد علم ان المصريين القدماء والهنود والصينيين وغيرهم كانوا يمارسونه ، على وجوه شتى ، والجديد أن العلم الغربى اليوم يتولاه بالبحث والتنقيب . واشار الى انه فى عام ١٨٤٦ ودولة المذهب المادى فى أوج عظمتها اتصل ببوليس مدينة هيدسيفيل بالولايات المتحدة أن أرواحا تظهر فى دار (مدام نوكس) فتكلم اهلها بواسطة القرع على الجـدران أو الأخونة ، وقد كاشفتهم بأنها روح قتيل كان ساكنا فى هـذه الدار مع رجل آخر فاغتاله ذلك الجار لسلب ماله ثم دفنه ، وقد تألفت على اثر ذلك لجنة من اكثر من ثلاثين عالما ، واتفق رأيهم على صحة هـــذه الخوارق ، ورفعوا تقريرا فى ٥١٤ صـفحة ترجم الى أكثر لغات العالم ، وما زالت هذه المباحث تنمو وتتطور حتى

تخصصت لها مجامع علمية وفئات من المجلات ، واشهر مؤسساتها الآن « جمعية المباحث النفسية » التى ألفت فى انجلترا سنة ١٨٨٢ ولا تزال باقية ، وجمعيتا المباحث النفسية فى الولايات المتحدة بأمريكا والمانيا ، والمجمع العلمى الروحانى فى باريس ١٩١٩ المؤسس تحت رئاسة العلامة (شارل ريشيه) و (كالمت) و (سونفال) من جامعة السربون (١) .

---

(١) راجع البحث المطول فى مجلة الهلال مارس ١٩٣٢ .

٢ ـ العلم والدين

* ويتطرق البحث فى فلسفة (فريد وجدى) الى العلم والدين وهلا يتناقضان ..

يقول : ان شقة الخلاف بين العلم والأديان ـ على ما هى عليه الآن ـ بعيدة المدى ، وقائمة على أسباب غاية فى الخطورة ، وما دامت هى محافظة على تقاليدها فلا يوجد فى العالم ما يقرب بينها وبين العلم مهما تكمل مع تطوره ، فان كل ما ينتظر من تكملة أن يصل الى اثبات وجود الروح وخلودها عن طريق أسلوبه العلمى المعروف ، واذا وصل الى هذه الغاية عمل على متابعة طريقه ليبلغ الى أقصى ما يعرفه من علامات الروح بالوجود ، وعن خير الطرق لترقيها واتصالها بالملأ الأعلى .. والناس كما لا يخفى تعودوا ألا ينقادوا الا اليه ، فيصبح العلم زعيما للحركة الروحية كما هو زعيم للحركة المادية .

ولكن اذا انتهزت الأديان فرصة هذه الفترة الانتقالية ، والقت من فوق أكتافها كل ما حملته من آثار الأساطير وبقايا القوميات ، اذا انتهزت الأديان هذه الفرصة وتجردت من أعيانها البشرية اتفقت والنزعة العلمية ، بل اندمجت فيها وتوحدتها .. ولزيادة البيان نقول : ان الأديان قد خرجت من بساطتها الفطرية وأصبحت ممثلة لآراء أهلها وحالاتهم خلال القرون ، ولها وجهات نظر خاصة بها فى العلم والفنون ، ومنطق مطبوع بطابعها للنظر

والقيـــاس والمعرفة ، فلا يعقل بحال من الأحوال أن يتفق الدين والعلم بل المنتظر أن تزداد شقة الخلاف اتساعا .

ويرى (فريد وجدى) أنه لما كانت أصول الدين وتعـــاليمه ثابتة لا تتغير فان الضرورات تدفع العقل البشرى لادمان البحث عن وجوه التوفيق بين المعــلومات الحديثة التى تطرأ وتوسع فى مجال النظر، وبين الأصول الثابتة التىتدين بها باعتبار أنها منزلة، من هنا نشأ الى جانب الدين فرع عملى خاص بالدفاع عنه سماه المسلمون علم الكلام ، وسماه الأوروبيون « أبولو جيتيك » يولى اهتمامه بأصل الوجود، وحدوث الكائنات، وتولد الحياة، ونشوء الروح الانسانية ، وظهور الأنواع .

وهو يرد علىالشبهة القائلة بأنالدين مناف للمدنية ، فيقول: ان بعض الناس يتوهمـــون أن الحيـــاة الدينية تقتضى الزهد والتقشف والعزوف عن كل متعـــة ، وحبس قوى النفس عـــلى الأمور الأخروية ، وأن الأمم التى تأخذ بالدين تجمد ، ولا تكتشف مجهولا ، ولا ترقى صناعة ولا فنا .. وذلك لاضعاف ســـلطان الدين عليهم ، والاسلام لم يحرم على الانسان متعة من متع الحياة الصالحة ، بل أباحها بشرط الا تدفع الى عالم الحيوان ، وتدس به فى حمأة الافراطات الشهوانية ، فهو يبيح له التمتع بالمـــذات الى الحدود التى قرر العلم ان ما وراءها يؤدى الى شرور وأخطار . وأن العلم قرر ضرر الخمر والمقامرة والبغاء والافراط ، وان اضعاف العقل السليم والاستهانة بالمال مضاد لكمال الانسان .

وعنـــده أن المدنية القائمة أصبحت مهددة بالزوال من ناحية العلم اذا لم تشغف بالعقائد الصحيحة ، وقد أكرم الله هـــذا النوع فكشف له فى هذا الزمان الأخير من البينات المحسوسة على شرطه فى دراسة العلوم الكونية ، ما يوجد له ايمانا راسخا بمـــا فوق الطبيعة ، وببقاء الأرواح بعد تركها للأجساد .

ان الانسان لا يمكنه أن يبلغ درجة الكمال النفسى الا بالدين مقترنا بالعلم ، وليس بأحدهما دون الآخر ، وقد جعل الاسلام الدين والعلم توأمين متلازمين ، ان العلم الطبيعى لا أثر له فى تهذيب النفسية الانسانية ورفع كابوس الوحشة عنها ، اللهم الا ظاهرا من التقاليد الأوروبية يستخدمها الناس فى مقابلاتهم ومعاملاتهم ، وقلوبهم من الانسانية الفاضلة والكمالات الخلقية هواء .

وعنده : ان العلم الطبيعى والفلسفة المادية ـ وان أوصلا الانسانية الى أرقى ما يصوره العقل من الرقى المادى والابداع الصورى ـ ، فلا يوصلانه الى كماله الأدبى ، ولا الى سموه المعنوى ، فهو بحاجة الى شكيمة تصده عن الاسترسال فى سوء استعمال سلطانه على العالم الأرضى ، فاذا بقيت الحال على ما هى عليه من ترقى العلم فى استكشاف الأسلحة الفتاكة ، وبقيت النفوس مجردة من العقائد الروحية المطلقة للوحشية البشرية فان الحياة الانسانية تصبح مهددة بالفناء على أشنع حال .

***

وهو يرى أن الانسانية فى حاجة ماسة الى « الدين » ، ولا يستطيع أن تستبدل به « الفلسفة » لأن الأمر يتعلق بتربية شعور نفسانى وتنمية حس وجدانى ، يكون من القوة بحيث يتغلب على الطبيعة الحيوانية فى الجبلة الانسانية ، وقد عجز « العلم » عن اداء هذه المهمة الى ذلك العهد ، رغما عن وصوله الى مدى بعيد من الألمعية ، بل يشاهد انه كلما ازداد سريانا فى سرائر الطبيعة واكتشف أسرارا جديدة زاد قسوة وامتلأ صلفا وجبرية .

ويتحدث عن الروح العصرية ويحللها الى جانبين (١) جهود جبارة بذلت فى سبيل العلم والحكمة والفنون والصنائع(٢)تفريطات

خلقية وأدبية لها أصول قديمة فى كيان هذه الأمم ، وقال ان الخلط بين هذين العنصرين للروح العصرية هو الذى أوقع الكثيرين من المجددين السطحيين فى الشرق فى ضلال بعيد ، بل فيهم من خيل اليه أن هذه الانحرافات من لوازم النهوض المدنى ، وتوهم كثير من الناس أن الروح العصرية يتألف من كل ماتشـــاهدونه مطبوعا بطابع أوروبى ، حتى ما كان من الاباحيات والالحاديات والمذاهب المتطرفة. والواقع أن هـذا الخلط ليس هو الذى أقام صرح المدنية الغربية ، ورفع من أعلام علومها وفنونهـــا وصناعتها ، فمن أوجب واجبات المشتغلين بالدعوة والارشاد فى الشرق ، أن يفرقوا بين الخـــلال القويمة وبين الصـــفات .. وتساءل فريد وجـدى : هل الحـرية الشخصية معناها الاباحة ؟ .. وهل هى تتنافى مع الآداب النفسية والفضائل الاجتماعية .

ويقول ان الحرية انما تكون من قيود الجهل ومن قيود الجمود ، هناك فرق بين القيود وبين النظم . والحرية أصل كريم رفعت به عن كواهل الأحاد ما كانت تضـعه عليها الطبقات المستفيدة من قيود ، فانطلقوا أحرارا يعملون ما ينفعهم وينفع أسرهم وأممهم فى حدود القوانين العادلة ، ويصل الى القول بأن الحرية الشخصية مشروطة بشرط عدم الاضرار بالناس والغير . والشرع الالهى يجرى فى هذا النمط .

ويتحدث (فريد وجدى) عن (الأخلاق) وعما يرميها به خصوم الأديان ، ويعترضون على كونها الشرط الأول للارتقاء والنهوض ، ويرى أن الفضائل قسمان : قسم ذاتى لا تتعدى ثمرات الذات الا من جهة عامة ، وقسم اجتماعى ثمرته عائدة على الهيئة الاجتماعية مباشرة فالفضائل الذاتية كالسخاء والصدق والرحمة انما ترفع الشخص فى عين مواطنيه ، أما الفضائل الاجتماعية فحب الوطن وحب العشيرة والتعصب للجنس واللغة وفيها تظهر الأمة متماسكة .. ومتناظرة ..

ويرى (فريد وجدى) أننا نحن أفضل أخلاقا فى الجملة من الأوروبيين ، لكننا دونهم تعصبا اجتماعيا ، وتماسكا وطنيا ، وهذا هو السر فى تعليل قيامهم مع رذائلهم الخلقية وسقوطنا مع أخذنا من تلك الفضائل بقسط اكبر ، على أن فضائلهم الاجتماعية تدعوهم الى التكمل فى الأخلاق الذاتية بما تريهم الحوادث من آثار المنكرات ، بينما فضائلنا الذاتية تقل يوما بعد يوم تلاشيا من أثر ما يستتبعه ذهاب الاستقلال وفقدان الحرية الشخصية ٠

وعنده أن أفضل الفضائل هى الفضائل الاجتماعية فهى التى تعود على الهيئة الاجتماعية بالخير ، وهى أصل لما سواها من الفضائل الذاتية ٠

ويعرض للعلاقة بين الدين والدنيا فيرى أن مما يأخذه علماء الاجتماع على أكثر المتدينين أنهم يقصرون فى التبسيط فى الماديات ولا يتبادلون منها ما به استصلاح معيشتهم ، بل من الأديان ماصرف الناس عن الماديات صرفا ، ولقد كان لتغالى بعض الأمم فى هذه النزعة أثر كبير فى تأخر النهضات الاجتماعية ، وخاصة بعد أن تخلصت أوروبا من القضايا الكنسية ، واندفعت فى طريق استكمال الوسائل العلمية والاقتصادية ، فزاحمت الأمم المقفرة فيها على ما بيدها ٠

فاذا كانت امة يقيها دينها مثل هذا الجمود المادى، فهى الأمة الاسلامية لأن دينها يدعوها للاهتمام بحاجاتها المادية ، ويحثها على العمل لدنياها استكمالا لوجودها العلمى ، الذى يستدعى أن يكون منها مثلا أعلى للأمم فى الأرض ٠

وقد حثت السنة على استغلال الأرض واحياء مواتها، والسعى على المعاش من جميع الوجوه المشروعة ، وصرح الرسول بأن ادخار المال ليس فيه بأس ، والدليل العملى لذلك هو مابلغته الأمة الاسلامية من تأسيس مدنية حاصلة على جميع المقومات المادية والروحية ٠

٣ ـ عالمية الاسلام

* « دراسات الاسلام » هى القضية الكبرى (لفريد وجدى) التى عالجها من خلال مختلف قضايا الفلسفة المادية ، والعلم والدين ، ومن خلال كتاباته السياسية والاجتماعية جميعا ، ثم أتيح له فى السنوات العشرين الأخيرة أن يشرف على تحرير مجلة الأزهر فيتخصص فيها ويوسعها بحثا • ومجمل رأى (فريد وجدى) فى الاسلام من عصارة عشرات المقالات التى كتبها عنه يتلخص فى اثنتى عشرة نقطة :

١ ـ الاسلام دين اجتماعى عمرانى يؤاخى بين مطالب الروح والجسد ، لم يأمر بنبذ الدنيا ، ويحض على الأخذ منها بأكبر نصيب•

٢ ـ لم يحجر على العقل اطلاقه ، بل جعل له الحكم الفصل فى المعتقدات والمعاملات •

٣ ـ لم يبطل حرية البحث بل أطلقها ، وجعل السلطان للحجة والبرهان •

٤ ـ حث على النظر فى الكون وتسخير مواده ونواميسه ، والسير فى الأرض للأعتبار بأحوال الأمم ، وأخذ ما يصلح منها •

٥ ـ لم يأت من العبادات الا ما يفيد الشخص فى روحه وجسده •

٦ ـ لم يغمط حق الجسد ولم ينكر مقتضيات المادة ٠

٧ ـ قرر دستور العلم ، فدعا الى عدم الانخداع بالأوهام وألا يفتروا بالظن ، وأن يسـألوا أهل الذكر ، وألا يقولوا بغير دليل ، وأن يعملوا عقولهم ، فلا يقلدوا أحدا ، وأن يكونوا أحرارا فى النظر ، لايصدهم عن ذلك شيء ٠

٨ ـ أمرهم بتعمير الأرض والتنافس فى الصنائع والفنـون النافعة ٠

٩ ـ جعل للمبتكرين الثواب فى قوله : من سن سنة حسنة فله أجرها واجر من عمل بها ٠

١٠ ـ فتح للناس باب الاجتهاد فى فهم الحياة فلم يقصرها على طائفة خاصة من الناس ٠

١١ ـ ناط بكل انسان تبعة أعماله واعتقاداته ٠

١٢ ـ لم يخـول طائفة من الأمة حق السـيطرة على الأفراد فى الاعتقادات والمعاملات بل قرر أن كل امرىء بما كسب رهين ٠

١٣ ـ وسع للناس باب المعـاملات وأوصاهم بحسن معاملة الأجانب عن ملتهم وبرهم ٠

***

والحق أن هذه الصـورة للاسلام هى من أدق ما كتب عنه وضوحا وعمقا ، وبساطة وشمولا ، وعنده أن الاسلام حاصل على جميع المقومات الأدبية التى تجعله دين الكافة فى كل زمان ومكان ، وبأنه فى غير حاجة لاصلاح جديد ، وأن أسلافنا قد قاموا منه على طريقه ، فنحن ندعو اليها ونشيد بذكرها ٠

١ – واذا كان (فريد وجدى) قد بلغ هذا الحد من النضوج الفكرى فى قمة العمر ، فان عمق فهمه يبدو واضحا منذ فجر شبابه ، حيث تنبه الى التجديد والتطور ، واكد ان هذه الأمة لا تستطيع أن تتخلى عن الدين « لامشاحة فى أننا أمة تكونت بالدين ، وقامت به بين العالمين، فكان من أوجب مايجب على كل باحث فى الشئون الاجتماعية لهذه الأمة، أن يجعل أول مسألة يطرحها أمام نظره هى درس مركز هذه الأمة من حيث الدين قوة وضعفا ، ان هناك أفرادا فى هذه الأمة بدأوا يهمسون فى الآذان بضرورة السير بالأمة عن طريق الرقى بمعزل عن دينها ، وهو حادث جلل فى تاريخ حياة هذه الأمة لا من حيث أنها غلطة اجتماعية عامة ، ولكن من حيث انها أمر يمس حياة هذه الأمة فى أرقى جهاتها ، فانه ما دامت الروح الأولى التى حلت بهذه الأمة دينية محضة فمن المستحيل اغفال أمر هذه الروح، واكساب الأمة روحا جديدة ، فان هبة الروح ليست من الممكنات البشرية ، وهى فى أى الحالات أمر جلل يستلزم أن تتحلل الأمة أولا ليزول عنها ما بها من نزوع الى القديم ، ثم تركب ثانيا على مقتضى قالب جديد ، وعنده ان أوروبا لم تقم بالدين فى أى دور من أدوارها ، بل كانت أمة اليونان قائمة فى أوروبا ذات تاريخ باهر ، ومدنية محتمة فى القرن الذى ظهرت فيه الديانة النصرانية فحلت محل الديانة السابقة ، فلم تقم أوروبا بالدين اذن فى عصر من عصورها .

وان أمم أوروبا تركت أديانهـــا أخيرا لما استدلت على أنها ضارة بها ، مفسدة لكيانها ، ولكن هيهات أن يقوم دليل أو خيال دليل على أن الاسلام دين ضار . وقد كتب (فريد وجدى) هذا الكلام عام ١٩٠٦ .

٢ – ويؤمن (فريد وجدى) بأن « الاسلام » يدعو الى تأسيس مدنية فاضلة ويتحدث عن هذا فى كثير من أبحاثه .

فهو يتساءل : هل يمكن أن تتفق المدنية والدين ، وهل تطبيق

المدنية ينافي الدين ؟ ويجيب على ذلك بقوله : ان الاسلام فتح باب الارتقاء الروحي ووسع مداه ، كما فتح باب الارتقاء المادى ، فلم يحرم علما نافعا ، ولم يضع للعلوم حدودا ، أنا لا أكتفى بالقول بأن المدنية والدين يجب أن يتفقا ، بل أعلن على رءوس الاشهاد ان الدين هو ذروة المدنية ، وليس معنى هذا أن كل مدنية قائمة دين وأن كل دين قائم مدنية ، ولكن معناه أن المدنية التى تستحق هذا الاسم بنزاهة أصولها ، هى عرض دين الحق الخالص .

ان المثل الأعلى لمدنية فاضلة ان لم تصل اليها الانسانية الى اليوم فتصل اليها لا محالة تحت تأثير التطورات الأدبية التى لاتفتأ تطرأ عليها .

قد يقول قائل أنى هذا والعالم يزداد كل يوم ايغالا فى حمأة المقاذر والاسفاف ، نقول هذا صحيح ، ولكن تدهوره هذا يصحبه شعور قوى بالتقزز مما هو فيه ، يدل على ذلك القلق الذى يساوره فى كل حركة من حركاته ، وروح السخط المستولية عليه حتى وهو فى معمعان لذاته ، وهذا أمر طبيعى كائن ، كل ما فيه تدعوه للتكمل ، وتهيئه لخلافة الله فى أرضه ، وهو دور من أدوار الحياة ينتهى أمده ، ثم يحل محله دور جديد فيلبث حتى ينقضى عهده ، ثم يخلفه غيره ، وهلم جرا ، حتى تطهر الفطرة البشرية من أقذائها ، واذ ذاك تسير الى الكمال قدما ، وفى أثناء هذه الانقلابات لايزال الاسلام مثلا أعلى للمدنية تتقرب الانسانية منه يسيرا يسيرا حتى تبلغه .

وهكذا عاش (فريد وجدى) يؤمن بأن « الاسلام » هو نهاية الفكر الانسانى وأن الانسانية بعد طول حيرتها حول المذاهب والدعوات والأفكار لن تجد حلا لمشاكلها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الا فى الاسلام ، وعنده « أن المدنية الصحيحة ، لا تنافى

الدين الحق ، اللهم الا فيما يثمره من مذهب فلسفى يرى غير مايقرره الدين فى مسائل الاعتقادات ، هذا الخلاف مرده العلم ، والعلم الصحيح لايخالف الدين الحق فى شىء » . ثم يتساءل : « ما الذى أوجد هذه الهوة السحيقة بين الدين والمدنية فى نظر بعض الآخذين بمبادىء الحياة العصرية اليوم » ويجيب بقوله « أوجدها خطأ جلل تسرب الى العقول ، وهو أنهم خلطوا بين المدنية بمعناها الصـــحيح ، وبين ما أوجده أهل الاباحة من التعـديات الممنوعة على العلم والفلسفة والاخلاق الفاضلة ، تحت ظل الحرية الشخصية وألصقوه بالمدنية ، ومصدر هــذا الخطأ مايراه الناس بأعينهم اليوم من جـــرى الأمم المتمدنة قاطبة وراء المتع النفسية ، غير مقيدين بغير ماتوجبه عليهم التقاليد من العرف ، هــذه الانحرافات الخلقية مخالفة لروح العلم الصحيح ومحكوم عليها بالتلاشى أو على القليل ببقائهـــا موصومة بأنها خروج على العلم » .

ويصل (فريد وجدى) من هـــذا الى أن النزاع القائم بين المدنية والعلم أكثر مما هو قائم بين المدنيـــة والدين ، وأنه لوقام الناس على مايوصى به العلم من كبح جمـــاح الأهواء النفســـية والاباحية والاعتدال فى توفية المطالب الجسدية ، فان ذلك لايؤثر فى اضعاف العوامل المنشطة للمدنية .

٣ – ويصل فريد وجدى فى الدفاع عن الدين الى قمة الرأى المدعم بالدليل والبرهان فيقول : « ان العقل اذا ساغ له أن يعتقد بأن هذه الشخصية الانسانية فانية انحلت فى نظره جميع الروابط الخلقية ، والقيود المعنوية ، وزال الوازع له عن الاسفاف فى المطالب المادية ، وانتشار المذهب المادى يؤدى الى توقف الترقى المادى والروحى «وعنده» ان كل ما فى صميم الانسان من قوى وما يحيط به من عوامل خارجية ، وما هو مدفوع اليه من الغايات البعيدة ، يدل

على أنه خلق ليكون « متدينا » ذا عقيدة يعتصم بها حيال الكوارث التى تصيبه فى حياته الدنيوية القصيرة الأمد ، لذلك لا يوجد الانسان حيث يكون الا متدينا ، ولايزال فى عصر الشكوك متدينا » .

٤ ـ ثم هو حفى بأن يصور عالمية الاسلام من حيث مناعته فى جميع أدوار حياته فى مواجهة كل أزمات الالحاد والتشكيك :

« لقد دل الاسلام على مناعة لاترام فى جميع أدوار حياته ، فاحتك بالأديان التى سبقته ، وقد كان يتولاها رجال بلغوا من الثقافة العلمية ما لم يكن له ظل فى البيئة التى ظهر فيها الاسلام ، ومرنوا على الدجل مرانا طويل الأمد فى مجادلة الخصوم ، ولا شك أن مناعة الاسلام التى ضربت بها الأمثال بعد أن خرج فائزا من جميع ما صادفه من الخصومات فى تاريخه الطويل ستكلل بانتصار جديد على المذهب المادى » .

٥ ـ وهو حين يصور موقف الاسلام من العلم ، يرى أنه لايوجد دين من الأديان ولا نظام اجتماعى من النظم المعروفة قديما وحديثا يبلغ شأو الاسلام فى رفع شأن العلم والتنويه بقيمته ، وفى الدعوة اليه والتعويل عليه .

ولا شك أنه يريد به كل ما يحتمله لفظ « العلم » من المعارف التى أتيح للبشر الالمام بها ، والانسانية كما تحتاج لعلم صحيح يتعلق بعقائدها ، تحتاج كذلك الى علم بما تستصلح به معيشتها وتبنى عليه اجتماعها وتستكمل به وسائلها .

٦ ـ وهو يرى ان للاسلام فلسفة ذات طابع خاص يختلف عن الفلسفة اليونانية يقول : هل جاء القرآن للمسلمين بفلسفة ؟

نعم ، نعم جاءهم بفلسفة تبز فى سموها أرقى فلسفة وأطلق عليها ما يقابل هذه الكلمة فى اللغة العربية وهى « الحكمة » وقد

نوه بها القرآن فى آيات كثـــيرة ، كما ورد ذكرها فى أكثر من موضع فى احاديث الرسول .

وقد تناولت « الحكمة القرآنية » جميع ما يتصـــل بحياة الانســـان المادية والأدبية ، من الآداب العامة الى الحالات العالية للنفس الانســـانية وبواعثها من العوامل الروحية ، ومن أوليات الأصـــول الاجتماعية الى نهايات الوحـدة الانسانية بل العـالمية ، الاشتراع ، الادارة ، الدستورية ، الثقافة ..

٧ ـ وعنده أن أصول الحكمة القرآنية تتلخص فيما يأتى :

١ ـ الانسان لم يحصل من العلم الا قليلا .

٢ ـ يجب على الانسان أن يتعلم لمصلحته المادية ومصـلحته الروحية .

٣ ـ لا يحصـــل العلم الا بالنظر فى الوجود والموجودات ، والتأمل فى أحوال الكائنات ، لا بالظنون والأوهام .

٤ ـ اقامة سلطان العقل واللجوء الى حكمة فى كل خلاف .

٥ ـ الاعتماد فى تحقيق المسائل على تقرير العلم المحص لا على الأوهام أو المقررات الموروثة .

٦ ـ عدم متابعة الخيالات فيما ليس وراءه علم يسنده .

٧ ـ وجوب التثبت فى العلم وعدم الأخذ بدون دليل .

٨ ـ تحريم التقليد للآباء فى العلم والتعصب لآرائهم .

٩ ـ عـدم الجمود على المعلومات المختزنة ، وضرورة سـماع كل رأى والأخذ به اذا كان حقا .

١٠ ـ وجوب الحذر من الظنون والأوهام .

٨ ــ ويرى (فريد وجدى) أن الاسلام ــ يستطيع أن يقاوم كل حملة يمكن أن تحملها عليه أى فلسفة فى العالم ، وأن ما يوجهه الفلاسفة الماديون انما يوجهونه الى اديان ليس اســاسها العقــل والدليل ، وليس يتجه الينا منها شىء .

وهو خصب غاية الخصوبة فى مجال البحث العلمى ، مرن غاية المرونة ، فالمدنية الاسلامية هى الشكل الوحيد من الكمال البشرى الذى يتقرب منهالبشر يوما بعديوم، وعنده ان العالمكله يقترب من عقائدنا وأن الاسلام جاء ليقول « ما دليلك العقلى . » بعد أن كان يقال « ما هى معجزتك ؟ » العالم كله يلتمس دين الفطرة اليوم ، المستقبل للاسلام ، لقد كشفت الدراسات الدينية التى توالت على العالم المتمدن أن التدين صفة عامة لجميع بنى البشر قديمهم وحديثهم فلم يعثر على أمة لا دين لها ، وأن علماء الافرنج قد شهدوا بأن ديننا دين مدنى عجيب التأثير آخذ فى الانتشار بطريقة مدهشة رغما عما يقام دونه من العوائر .

وقد حرص (فريد وجدى) انيردد دائما هذهالشهادات ليقربها الى نفوس الشباب ، الايمان بأن أوروبا على ما وصلت اليــه من الابداع الفنى والصناعى يشهد أكابر ممثلى العلوم والفنون فيها بأن المسلمين وصلوا الى الكمال العملى فى كثير من الصنائع الى أبعد مما وصلت هى اليه ، وان ذلك لايمكن أن يكون ثمرة تعاليم دينية جامدة ، بل ثمرة تعاليم من نوع أرفع يسندها فى جميع نواحيها بواعث تحض على التكمل وبلوغ غايات السمو فى كل ضروب النشــاط الروحى والعقلى ، قد مزجت مزجا مقيسا على القابليات البشرية فى كل دور من أدوارها .

٩ ــ ويرى (فريد وجدى) أن « عالمية الاسلام » ترجع الى أنه آخر الأديان الالهية ، الدين العام لمجموع البشرية ، وأنه سيصبح

دين الكافة غير منازع ، أعلن الاسلام انه فى أصوله الاعتقادية ليس بدين جديد ، ولكنه الدين الأول الذى أوحاه الله الى نوح ، ثم تابع وحيه الى جميع المرسلين من بعده ، والذى ضمن للاســلام الخلود أمران :

١ ــ الفطرة الانسانية ..

٢ ــ سلطان العقل الكامل : ، وقد اعتمد الاسلام على هذين الأمرين الطبيعيين اعتماد البناء على ركنيه .

١٠ ــ ويرى (فريد وجدى) ان الاسلام قادر على مواجهة كل تطور . وانه باعتباره « دين الله العام » لايضيق عن مرمى ، ولا يخرج دون حال .. وأولى بنا أن نجمع الينا اخواننا الذين صبغتهم الروح الأوروبية بصبغتها ، بدلا من أن ندعهم تطوح بهم الطوائح المدنية الى حيث ينقلبون علينا ، ان هذه العقول الجديدة لا تقبل «الدين» الا على شكل يسع مراميها العقلية ويواتيها بحاجاتها الروحية فان كان هذا الشكل يخالف ما عليه الجمهور ، فليس من الحكمة أن نأباه عليهم لمحض تلك المخالفة ، فان الاسلام دين الله العام جاء لكل عصر بما يناسبه ، وفيه لكل عقل مسرح، ولكل فؤاد مرتع ، وكل الذى يطلب منا هو أن ننظر هل الاسلام فى مبناه ومعناه يقبل هاته الأرواح الجديدة أو يرفضها ، وان قبلها فهماخواننا بأخص معانى الكلمة ، وان خالف بعضنا بعضا فى المذهب .

وعنده أنالوقوف بالاسلام فى شكل خاص، ودعوة أهلالأرض اليه مع تخالفهم فى العقول والمدارك والمدنية، فيه صد عن سبيل الله ، وحصر لدين الله العام فى دائرة محــــدودة ، مع أنه الدين المطلق الذى لا يقيد بقيد ، ولو قيد لصار جامدا، فيضطر الانسان لتركه حيث هو ، ويمضى مع تيار الترقى ، وما سبب تناثر الناس عن الأديان الا جمودها وتحركهم ، ووقوفها وترقيهم .

هكذا يصل (فريد وجدى) الى قمة التجديد ، وافساح الاسلام لسماحته وعالميته ، ومن هنا تظهر آراؤه التوسعية فى الدعوة للاسلام العالمى ، وذلك بترجمة القرآن وتغليب العقل على النقل ٠

وعنده ان الاسلام ليس بدين عبادى ، ولو كان كذلك لسكن أصحابه الأولون الكهوف ، ولكنه دين علم ومدنية ، وليس الاسلام بدين تقليدى أى أن صبغة الاسلام السياسية والاجتماعية أوضح من صبغته الاعتقادية ، وأن أهل التاريخ يعرفون من حركات الجيوش الاسلامية وميادين النفوذ والفلاسفة المسلمين مالا يعرفونه عن أصول عقائده وفروع عباداته ٠

١١ ـ وعنده أنه لا يقف فى سبيل عالمية الاسلام الا بعض الجامدين، وان حرية البحث كانت طابع الاسلام، وقد اعتاد المسلمون بحرية الرأى ، حتى فى المذهب الواحد ، فاختلف أتباعه الى ما لا يحصى ، حتى يحار الذى يود الأخذ منها على أيها يعتمد ، والى حد أن أحدنا يستطيع ان يستخرج منها فى مجال التشريع كل ما قال به أهل القرن الحاضر ٠

وان الاسلام فى حاجة الى صنف من العلماء ممن سلمت أنظارهم من الطمس ، وطهرت جواهرهم من حيث العماية الجبلية ، أريد العالم السليم الفطرة المتلألىء الواجدان ٠

١٢ ـ وهو يرى من أسرار عظمة الاسلام وقدرته على العالمية أنه قانون عام للأفراد والأمم ، على مثال القوانين الخلقية المعروفة ، مع الفارق الكبير ، وهو أن الاسلام قانون شامل لجميع مطالب الروح والجسد ، وقابل للانطباق على كافة الأمم بتوحيد مراميها ومقاصدها .

ويقول: ليس فى كتابنا «آى القرآن» أن تكون لنا هيئة رياسة دينية بازاء هيئة رياسة دنيوية، بل ان الاسلام رمى الى هدم ماكان

يسمى بالسلطة الدينية ، وقوض كل أساس يمكن ان تبنى عليه تلك السلطة . ويهاجم (فريد وجدى) التقليد ، ويراه أكبر موجب « لهذا الجمود المستحكم » حتى صار الناس يدينون لكل ماقيل على شرط ألا يكون قائله معاصرا لهم ، فان كان معاصرا نبذوا كلامه ، وقد خرجنا بأن الأمة فى تقليدها هذا لا تقلد القرآن ، ولا سلف هذه الأمة ، ولا الأئمة الأربعة ، فانهم كلهم نهوا عن التقاليد وعدوه هادما لأصول الدين ، وعنده أن عدم أخذ الأمة بالأحسن منه مما يوافق الزمان والمكان والمقتضيات لايمكن تعليله الا بأنها خرجت على صراط الاسلام الخالص الى دين مصطنع جمدت عليه هو ضد الاسلام على خط مستقيم ، وعنده أن النظر والتأمل فى الكون هو أصل، وأن الانحراف عنه الى الفلسفة والكلام، والاعتماد على الأمور الجديدة هو فى الحقيقة انحراف عن الاسلام الخالص الى غيره، وأن الاسلام الخالص فى مضمونه بسيط المبانى ، واضح المعانى ، عنوانه : « الايمان بالله واحسان العمل » وجملة رأيه « ان الانسان فى ضوء النظر العقلى والعلمى سيسقط آثار الوراثيات القديمة والتعصب المذموم ، ثم تتاح الفرصة للنظر الصريح ، ومن هنا تستطيع العقيدة الاسلامية أن تجد مجالها الى دعوة الانسانية كلها ، وبذلك يصبح الاسلام دين الانسانية فى المستقبل » .

وهو يؤكد قول (برنارد شو) بأن أوربا قد لا يمضى عليها قرنان حتى تكون قد اتخذت من الاسلام دينا .

١٣ – ومما يتصل بموقفه من عالمية الاسلام يجىء رأيه فى القضية التى جرى بحثها منذ مطالع القرن وتعرض كثير من الباحثين فى أمور الدين والاجتماع للرد عليها :

« هل يمكن توحيد الاسلام والمسيحية ؟ » .

وقد أجاب (فريد وجدى) على هذا النحو :

« نعم » لأن الاسلام جاء للتوفيق بين جميع الأديان ، ورفع أسباب الخلاف بينها وقد نص على انه هو صلة التوفيق بينهـــا بانيا ذلك على أصول تنحصر فى :

١ ـ دين الله واحد لجميع الأمم ولا يعقل أن يتعدد ٠

٢ ـ كافة الناس أمة واحدة يدينون بدين واحد ، وانمـــا أوجد الشقاق بينهم قادتهم ، بغيا بينهم ٠

٣ ـ التقليد غير جائز الا بعد التحقق بالدليـــل أن ما يراد تقليده أحق مما هو عليه ٠

٤ ـ كل انسان عليه تبعة أعماله ولا يتحملها غيره ٠

٥ ـ لا يكلف الانسان اعتقاد ما لا يعقله وما لا يمكن اقامة الدليل على صحته ٠

٦ ـ دين البشرية كل لا يتجزأ ، فيجب الايمان بجميع الرسل وبجميع الكتب الالهية اجمالا ٠

٧ ـ يرجع فى فهم الدين الى منطوق الوحى ، لا الى الشروح الملحقة به ، ولا التأويلات المبنية عليه ، ولا الأقاويل التى أتى بها الذين انتحلوا لأنفسهم التكلم باسم الدين دون غيرهم ٠

٨ ـ حذف الطوائف المنتحلة للوساطة بين الله وخلقه ، قطعا لآراء استغلال الأديان للتسلط على الجماعات ٠

هذه هى الأصول التى تذرع بها الاســـلام لتوحيد الأديان وازاح الخلافات التى بينها ٠

واذا جرى أهل العصر على هذا الدستور العظيم الذى وضعه

الاسلام ، اتضحت وحــدة الأديان جلية ناصعة ، فكلها تدعو الى الأخذ بالعقائد الصحيحة ، وكلها تنصح بعمل الخير ومحاســبة النفس ، والعمل بالحق والعــدل ، والتعاون على البر والتقوى .. فاذا بقيت بعــد ذلك أشياء فهى آراء الرؤساء وشروح القــادة وتأويلات الزعمــاء . ولا يلزم الأمم منهــا شيء ما داموا يعلمون أنهم من البشر وغير معصومين من الخطأ والغلو وسوء القصد .

وبعد : فالاسلام يتقدم الى الناس لا باعتبار أنه دين جديد ، ولكن باعتبار أنه دين البشرية الأقدم ، خالصا من كل الشوائب التى الحقتها به الأجيال المتعاقبة ، فهو لذلك لا يعترف بتعــدد الأديان ، وقرر أن للانسانية دينا واحدا يجب الايمان به جملة .. ولا يعتــد بايمان يأتى على غير هذه الســـنة من التعميم والوحدة ، فالاسلام لا يعتد بايمان مؤمن الا اذا أعم به جميع الرسل وجميع الكتب الســـماوية ، حتى لا تبقى جماعة بشرية خارجة عن نطــاق هذه الوحدة التى تعتبرها غير قابلة للتجزىء .

أما طريقة عرض الأصـــول المتخالفة وتبادل التنـــازل عن بعضــها للتقريب بين وجهات النظر المتباينة لغير ضرورة ســـوى تقديس الآراء البشرية والجمود على التقاليد المتحجرة ، فلا يعتبره الاسلام عملا نافعا .

٤ ـ محمد والقرآن

وقد حفلت كتابات (فريد وجـــدى) بدراسات واسـعة عن « محمد » صـــلى الله عليه وسلم وعن القرآن الكريم ٠٠ فقد بدأ منذ انشأ مجلة «الحياة» ١٨٩٩ يتناول سيرة الرسول على نحو علمى ، فى فصول متعددة جمعها فى كتاب « الاســلام فى عصر العـــلم » ثم عاود البحث فى سنواته الأخيرة فى مجلة الأزهر ، فأمضى أعواما فى دراســـة سيرة النبى فى ضوء العلم والفلسفة ، وفى مختلف المناسبات ، الهجرة والمولد النبوى وغيرهما ، وكان يلم بالسيرة النبوية على أســـلوبه ومنهجه فى التحليل ، وعنده أن النبى محمدا أعظم شخصية انســـانية ظهرت فى العالم ، دلت آثارها الخالدة عليها ، ويتساءل : أى صنف من الناس كان محمد ابن عبد الله : حـكيما ، مصـــلحا ، موحدا لأمة ، بانيا لدولة ، مؤسسا لدين ، واضعا لدستور ، أو كل هؤلاء كان فى شـخص واحد ٠

ويحاول أن يعلل عظمته فيقول : « رجـــل يدعى أنه نبى ويعجز العقل والعلم عن تعليل بعض ما قام به من عظائم بز بهـا الحكماء والمصلحين ، وفاق القادة والمشـــترعين ، وصغر شـأن الفلاسفة الأولين والآخرين ، رجل يأتى بكل هـــذا لا يمكن أن يتصوره العقل مصلحا كبقية المصلحين ، لأن ما قام به من الأعمال

لا يأتيه انســان موكول الى قواه الذاتية ، والعلم يرى أن الحــكيم مهما حلق فى سماء الحكمة لا يستطيع أن يخرق نظام الكون فى سنوات معدودة » .

وعنده أن ما جاء به (محمد) حق مطلق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن تعــاليمه هى الروح المدبر الذى يجب أن يقود حركات الجماعات البشرية ، ويكيف كيانها على النحو الذى كان يدعو اليه ويقرره ، ومن خصوصيات (محمد) أن يعتقد الناس أن الخير كل الخير فى أن تؤخذ تعاليمه بغير تعــديل ولا تنقيح ، ويرون أنها بالغة أقصى درجات الكمال الى حد أن كل اصــلاح فيها يحط من قيمتها ، ويطمس من دلالاتها ، وهذه مكانة لم تسم اليها أية تعاليم فى الأرض ، فكل فيلسوف أو مصلح تحفظ عليــه سقطات قضت بها الأحوال المحيطة به .

أما « القرآن » فقد أولاه من دراساته كثــيرا من البحوث ، وفى مقدمتها دراسته الضخمة فى مقدمة «صفوة العرفان» وجملة رأيه أن القرآن أثبت أن للاجتماع نواميس ثابتة قبــل أن يتخيلها أعلم علماء الأرض ، « سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » ، « فهل ينظرون الا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبــديلا ولن تجد لســـنة الله تحويلا » ، « ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» .

ويرى أن القرآن هو موجد علم الاجتماع بأخص معــانيه ، وليس موجــده ابن خلدون ، ولا أوجست كومت .. وقد قرر علم الاجتماع أن شئون الأمم تجرى على سنن طبيعية ثابتة لا تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة ، هــذا ما قرره العلم فى القرن التاسع عشر ، قد سبقه الوحى الالهى فى القرآن الذى قرر ذلك بأفصح عبــارة ، وعندما شرع المسلمون فى احياء موات العلم ، ونقل كتبه ، وانشاء

تلك النهضـــة العلمية الضخمة ، كانوا مستهدين بالأصول الأولية للقرآن ٠

وعنده أن القرآن خلاصة ســائر الكتب السماوية المتقدمة ، وأنه جاء بالناموس الأعظم لكمال الحيــاتين الدنيوية والأخروية ، وأنه آخى بين طبيعتى الانســان الجسدية والروحية ، وأنه نزل للعالمين أجمعين ، وروعيت فيه مصالحهم على قسطاس مستقيم، وقد ربيت على أسلوب هذا الكتاب أمة قبل بضــعة عشر قرنا ، فنالت به فى مدى سنين قليلة ما لم يصــل اليه غيرها فى القرون العديدة ، وبلغت من بسطتى العلم والملك ما لم يتهيأ لغيرها فى مثل ذلك الزمن القصير الأمد .

وقد نهج « القرآن » فى تربية الانســـان مناهج ، فقد خاطب العقل ، وناجى العــواطف ، وحاسب السرائر ، وأخذ الضمائر ، وأدب الحواس ، وهذب الملكات ، وعــدل القوى ، وقرر العقائد ، ودعمها بما يناسب كلا منها من براهين ، وسن الشرائع الكامنة ، ووضع دستور الحكومة ، وصب الامة فى قالبه المحــكم ، ووضع للمعاملات ناموسها ، وخاطب كل نفس على قدر وسعها ، ومقصد القرآن أساسا هو تربية الانســـان تربية صحيحة وابرازه أمام الوجود بشرا سويا ٠

وقد عايش (فريد وجدى) الدعوة الى فهم القرآن فهما علميا خالصا من التفسيرات التقليدية ، ثم كانت معركته من أجل ترجمة القرآن هــذه المعركة ، التى جهد فيها جهدا ضخما من أجل اقناع المخالفين للترجمة ، وكان جملة رأيه ، أنه لابد من ترجمة القرآن الى مختلف اللغات لاطلاع الناس على رأيه دون خوف من أن تحسب هذه الترجمة هى القرآن نفسه ، فان الغربيين ترجموا القرآن منذ

وقت طويل ، وأن التـــوراة والانجيل ترجمـا بكل لغة ليصلا الى الناس ، ولا أقل من ذلك القرآن .

وأن الناس قبل قرنين كانوا لا يســـتطيعون أن يبحثوا فى أديان سواهم ، وأن الرقى العقلى قد حفزهم اليوم للاطلاع على كل شيء ، والشـــهادة له أو عليه ، فهل نترك كتابنا للمترجمين من متعصبى الأمم يحرفونه كله ويشوهون معـانيه ؟ أم نتولى نحن ترجمته ترجمة صحيحة لنجعله بنجوة عن تحريف المحرضين .

٥ ـ المرأة المسلمة

ولقد أولى (فريد وجدى) اهتماما ضخما لأمر المرأة وحقوقها وحريتها منذ أوائل كتاباته عندما أصدر كتابه «المرأة المسلمة» ثم عاود هذا البحث الذى صدر سنة ١٩٠١ مرات ومرات ، وتناوله فى مناسبات كثيرة، ووصل فيه الى اعطاء المرأة حق تعلم العلوم العالية وولاية القضاء والفتيا ، وعنده أن(١) الاسلام لم يضع للنشاط العقلى للمرأة حدا ، فأباح لها أن تتوسع فى العلوم ما أمكنتها الفرصة من ذلك ، وما ساعدها عليه استعدادها ، ولم يمنعها من أن تبث علمها فى الناس ، ولم يحظر على الرجال الأخذ منها ، واشتهر فى التابعين نساء أخذن العلم وبرعن فيه ، فالمسلمون فى الصدر الاول لم يروا بأسا من أن تتلقى المرأة العلوم العالية ، فلما استبحر العلم فيهم ونبغ فيهم الأئمة أصحاب المذاهب ، لم ير واحد منهم بأسا فى تلقى المرأة «العلوم العالية» بل سمحوا لهـا بأن تجتهد ان بلغت درجة الاجتهاد ، وجوز بعضهم أن تلى القضاء وأن تفتى المسلمين .

***

وهــو فى مساجلات مع بعض الكاتبات يعــلن أنه ليس من أصحاب الرأى القائل بوجوب الحجر على المــرأة والتحــكم فيها ، يقول : « ولكنى من أنصار حريتها المعقولة ، وحقوقها الطبيعية ، وأذهب الى وجوب تعليمها تعلما لا حد له ، وانى أول من قال بأن

(١) منبر الاسلام ص ٤٨٥ سنة ١٩٣٦ .

الديانة الاسلامية فرضت التعلم على المرأة ، كما فرضته على الرجل، وانها سمحت لها بما لم تسمح به الامم الراقية لهـــا الا فى القرن العشرين ، وهى أن تكون مفتية وقاضـــية ، وأن تحضر الصـــلوات بالمساجد ، وأن تشـــهد الأمور العـــامة ، وتبدى رأيها فيها ، وقد استنتجت من ذلك أن دينها يسمح لها بأن تكون ناخبة ونائبة ٠٠ وأن تفرض آراءها بكل صراحة ، وقد استشهدت على هذا بالنصوص الشرعية ٠٠ فيكبر على من يكون هـــذا مذهبه أن يتهم بأنه كتب كتابا ينصح فيه بعدم تعليم المرأة وبحبسها فى الدار كالسجينة »٠

ثم يقول « نهضت لأمنع سقوطها من الحمأة التى سقطت فيها المرأة الرومانية وغيرها ، فكانت سببا فى حل دول كانت تعـد نفسها خالدة والتى آلت اليها المرأة الغربية فأصبحت مسألتها أعقد المسائل » ٠

وقال ان أوروبا وأمريكا قد اندفعتا منذ قرن الى زج المرأة فى الأعمال ، وانبنى على ذلك ما انبنى من الأدوات كانتشار العزوبة وفساد الآداب ، وأصبح الأمر لا يرجى لصـــلاح الا بالحصر فيه الى أقصى حدوده ٠

وأشـــار الى ما أوردته دائرة معـــارف لاروس ، وما قاله الفيلسوفان جول سيمون وبرودون عن آثار اشـــتراك المرأة فى الحياة العامة فى أوروبا وأثره على مستقبل الأسرة والمجتمع ٠

وعنده أن المثل الأعلى للمرأة الشرقية أن تكون أما كاملة تعرف واجبات الأمومة ، وتقدرها تقديرا صحيحا ، بحيث تؤديها على الوجه الأكمل ، الذى ترقى به الأمة ، وتنتفع به فى حياتها الاجتماعية والأدبية ، وهذه « وظيفة خطيرة لم تقدرها المرأة الى الآن ، ولم تؤدها حق الأداء ، ولو انها قامت بها حسب ماتقتضيه من دراية بواجباتها، وعناية بأساليبها الخاصة ، لاستطاع النوع البشرى أن يتخلص من

مفاسده وشروره ، ولهذا يرى أن يقدم فى تعليم المرأة جميع مايتعلق بادارة المنزل وتربية الاطفال كالسيكولوجيا ، وعلم طبائع الطفولة ، وعلم التربية الصحيحة وعلم الاجتماع » ٠ وقال : وعندى ان للمرأة أن تغشى الأندية والمجتمعات العلمية ، كما يغشاها الرجال ٠٠ وعنده «أن الذى تبين من تاريخ الانسان أنه ما فتىء يزيد من حقوق المرأة عليه كلما ارتقت حالته الادبية ، وازداد شعورا بواجباته الاجتماعية ، فنزل عن كثير من مزاعمه حيالها ، دون أن تطالبه هى بذلك ، محفوزا بمحض العوامل الطبيعية مما يشعر بأن العلاقة بين الجنسين لابد منتهية الى درجة من الكمال»، ولكنه من ناحية أخرى يحذر من عوامل مهددة لحرية المرأة الحقيقية ، وعنده أن من غرائز المرأة التصون ، ولكن الرجل لا يفتأ يخدعها بالمسولات والمغريات ليميت هذه الغريزة ، ويطوح بها الى ميدان الاباحة ، وقد نجح فى اغوائها الى حد بعيد ٠

ولا ينى يشير (فريد وجدى) الى أخطار حرية المرأة ويشير الى هؤلاء الذين ينتهزون فرصة تقدمها ، ولا يطلبون هذه « الحرية » لأنها مما يعين على المدنية الفاضلة ولكنهم يريدونها لاشاعة الاباحة واذاعة مبدأ الخروج عن الحدود المقررة للآداب الاسلامية ٠

***

ومن الوجهة التاريخية فان (فريد وجدى) قد دعا الى الحجاب ، ثم تحول عن هذا الرأى مشترطا اكتمال التربية الدينية، ولكنه كان حريصا على أن يعلن دائما أنه ليس فى الاسلام حجاب ، وأن ذلك كان من رأيه الخاص ، مستوعبا عشرات من أقوال الاجتماعيين والاقتصاديين فيما أصاب أوروبا وأمريكا ٠٠ وأن المرأة تستطيع أن تصل الى الكمال المقدر للرجال ان لم يفقه ويزيد عليه وان هذا الكمال لا يمكن أن يكون الا فى دائرة معروفة الحدود من التصون والآداب الراقية والمثل الأعلى ٠

وجملة رأيه أن المرأة انما خلقت لتكون زوجة محبوبة ، وأن تربى رجالا ونساء ، وتعمل على ترقية المجتمع بتربيتهم على المثل العليا .. وجملة رأيه فى المرأة انهـــا أضعف من الرجل جسما ، وأقل منه قبولا للعلم .. لأن وظيفتها الطبيعية تقتضى ذلك ، وأن كمال المرأة فى موهبة روحانية متعت بهـا أكثر من الرجل ، وهى الشعور الدقيق ، والعواطف الرقيقة ، واستعدادها لتضحية نفسها فى سبيل الخير ، وهذه المواهب اذا نمت فيها يكون لها مكانة تحنى لها الرءوس اجلالا ، ولكنها لا تنمو الا تحت قيـادة الرجل ، وأن هذا الكمال لا تناله المرأة الا اذا كانت زوجا لرجل ، أو أما لأطفال تربيهم تربية صحيحة . وأن اشـــتغال المرأة بأشغال الرجال قتل لمواهبها واذهاب لبهجتها ، ومدعاة الى هبوطها ومفسدة لتركيبها.. وأن المرأة فى المدنية المادية ليست كاملة ولا سائرة نحو الكمال ، وان طرق التعليم فى كل ممالك أوربا وأمريكا غير صالحة للنساء بشهادة أصحابها أنفسهم ، وأن تعاليم الاســـلام بالنسبة للمرأة موافقة لفطرتها تمام الموافقة ، فهى كالقـالب التام التركيب لجميع خصائصها وملكاتها ، ولا ينقص المرأة المسلمة لكى تبلغ أكمل نقطة يمكن أن ينالها جنسها الا تعلم مبادىء العلوم الضرورية .

***

هــذا ؛ وعلى طريقة (فريد وجدى) فى تطور فكره ازاء موقف الاسلام من الأحداث دعا الى منح المرأة الحقوق الدستورية(١) وأباح لها الاشتراك فى المجالس النيابية . وقد واجهه هجوم ضـخم من معارضيه مرددين رأيه الاول فى التحفــظ بالنســـبة لعمل المرأة وسفورها ، فقال : « ما أنا بسبيله من تخويلها حقوقها الدستورية لا ينـــافى ما كنت أقرره من مهمتها البيتية ، ما بالهم اذا قلنا ان الاسلام يسمح للمرأة بحقوق دستورية يرون فى ذلك أمرا نكرا ؟».

(١) الأهرام ١٩٤٩/٣/١٤ ، ١٩٤٩/٤/٦ .

ان المرأة ستنال هذه الحقوق لا محالة ، فلأن يثبت أن هذه الحقوق مما سمحت لها به شريعتها خير من أن يثبت أنها مما لا يسمح به ٠ وفى ثبوت الوجه الأول سمعة للاسلام بعيدة الأثر ٠٠ تدحض كثيرا من التهم التى ألحقها به خصومه ، مخدوعين بما عليه بعض أهله من مخالفتهم للترقى واستعصائهم على الأخذ بأسبابه ، أن منح النساء الحقوق الدستورية يعتبر بحق أرفع ما تبلغه الجماعات من الأوضاع الحكومية فان أثبتنا للعالم بأن الشريعة الاسلامية قد وضعت أساس هذه الأوضاع قبل أن يتخيلها المشترعون الأولون تخيلا ، رفعنا لها بذلك علما خفاقا يستوجب اعجاب العالم واكباره ٠

وقال (فريد وجدى) : « ان المجتمع المصرى أصبح يسيغ اشتراك المرأة فى أعمال الرجال متأسيا بالأمم الغربية ، بل أصبح يدفعها فى هذا التطور ، ولسنا بصـدد البـحث فى مطابقة هذا التطور لكرامة النسـاء ومصلحتهن ، و عدم مطابقته ، فقد أصبح البحث فيه ليس ثقيلا على الاسماع فحسب ، بل لا يقرأ اذا كتب، ويرمى المجترىء على كتابته بالجهل والغباوة والرجعية ، وأن الامة التى تسمح بكل هذا الانتقال وتؤيده ، لا يصح لها أن تضمه على نسائها بحق مدنى خولتها اياه جميع الأمم المتمدينة ، ان الشرع الاسلامى ، وهو شرع شديد المحافظة على شرف الانوثة وكرامتها ، وقد مضى عليه نحو ألف وأربعمائة سـنة ، أباح للنساء أن يزاولن العلم ، وأن يعلمنه ، وأن يتولين الافتاء فى الأحكام ، والقضاء بين المتخاصمين ، ما عدا أحكام الدماء ٠٠ وان وصول النساء الى مجالس التشريع أو منصات الحكم سيكون ذا أثر بعيد فى انهاض جنسهن ، وفى العمل على تحسين حال الطبقات الدنيا منهن ، ان النساء اللائى يحكم عليهن أن يعشن فى تقاليد وعادات زوجية واجتماعية منحطة كالتى عليها نساء العامة فى مصر ، لا ينجبن نسلا صالحا ، يتحمل أعباء الاجتماع وتكاليفه » ٠

ولم يقف (فريد وجدى) فى تطور فكره الى هذا الحد ، بل انه حين أشير الى رأيه فى الحجاب الذى أورده سنة ١٩٠١ فى كتابه «المرأة المسلمة» قال : «ليس فى الاسلام حجاب ، فلا عجب ان جالست مثل (السيدة سكينة) العلماء والشعراء ، ولكنهم فى الاسلام كما فى كل نظام اجتماعى محكم سترا أدبية ، وشكائم خلقية ، وجماعات تراقب الانحرافات ، ومرادى تبرئة الاسلام من مثل الحجاب المعروف الآن ، ويعتبر من ضروب التبرج ، فقد نفى الأئمة أن الوجه والكفين ليست بعورات يجب على المرأة اخفاؤها ، وليس فى الاسلام حجاب بمعنى تغطية الوجه والكفين » ٠

٦ نظرات عامة

ظل (فريد وجدى)(١) طوال حياته مرجعا فى القضايا الكبرى والمسائل الحاسمة فى مجال الدين والاجتماع والحيـاة ٠ لم تكن تثار مسألة أو قضية منها دون أن يرجع اليه ، أو يبدى فيها رأيه ٠

ولم يكن تحاميه غشيان الاجتماعات أو الأندية أو المشاركة فى مضطرب الناس بحائل دون فهمه ومتابعته لتيارات الفكر والاجتماع والحياة ، ولا يعطى مطلقا فكرة العزلة الفكرية المنفصلة ٠٠ فقد بدأ (فريد وجدى) حياته باحثا اجتماعيا ، يتحدث عن العمران كثيرا ، ويشرح لقرائه على صفحات «الدستور» بسائط علم الاجتماع ، وهو فى كل نظراته وآرائه فاهم عميق الفهم لتطور المجتمـع ونواميسه وقدرته على تقبل الرأى الجديد ، ولم يكن (فريد وجدى) فى يوم من الأيام الا سابقا فى مجال التجـديد والعصر ، حتى انه وصف الروح العصرية بأنها نفحة الهية ، ولقى فى سبيل ذلك من أقرانه المشغولين بالدراسات الدينية والاسلامية أشد العنت ، ولقد صور اتجـاهه فى هذا الصدد فقال : «أما التجديد فأنا أدعو اليه منذ النشأة ، أما الروح العصرية فأنا أشايع منها العناصر الطيبة فقط، وأدعو الى البعد عن مفاسدها وشرورها ، ويجب أن نكون كلنا

---

(١) من آثار فريد وجدى المنثورة التى لم نجمع ، عشرات الكلمات التى أجاب فيها عن أسئلة وجهت اليه ، وأغلب هذه منشورة فى صحف دار الهلال وقد أجراها معه المرحوم الأستاذ (طاهر الطناحى)٠

كذلك ، ناخذ من كل شيء أحسنه فلا نعادى الجـديد ، كله ، ولا القديم كله ، ففى كل ، حسن وردىء » وعنـده أن التجـديد روح عصرية مرماها اقتباس الصالح من حضارة أوروبا وصبغه بالصبغة الشرقية والرقى بالشرق فى علومه وصناعته ومسـتواه الخلقى، واظهار الاسلام فى ثوبه الزاهى القشـيب ، ولم تكن عزلته عن الاضطراب فى المجتمـع ، حائلة دون تعمـق مشاكله ، بل لعلها أكسبته كثيرا من القدرة على تعمق النظر وصدق الرؤيا ، وقد ظل مجددا جريئا فى تحديده مع ارتفاع السن ، بل لعله كان فى سن السبعين وما بعدها أشد جرأة وتجديدا منه فى أول الشباب ، وكان الى ذلك قادرا على التطور ، والتـحول من الرأى الى الرأى الانضج متى وثق بصحبه ، وما توافرت له الدلائل والاسانيد ، ولطالما كتب هذه العبارة « كنت قد رجحت هذه الرواية فى كتابة سلفت لى منذ سنين ، ولكنى أراها الآن لا تفسر جميـع الغوامض المحيطة بهذه المسألة ، وأرانى أميل الى سبب آخر » أو ما يشبه ذلك ، ولم يكن فى اتجاهه الى العلم والفلسـفة والدين معزولا عن تطور المجتمع ، وأثر الحضارة الغربية ، بل لعله كان أكثر مواءمة بين الفكر والحياة ، منزلا الفلسـفة من برجها العاجى ، لتكون فى بساطتها ويسرها ثقافة عامة ، عاملا أولا وأساسا على حماية الفـكر العربى الاسلامى « فى مقوماته الأساسية القـادرة على الحياة ، والتفـاعل مع كل الحضارات والثقافات » من الانهيار أمام تيارات الالحـاد والفلسفة المـادية .

١ – وآراء (فريد وجدى) فى مختلف القضايا العامة تكشف عن اتصال بالحياة دقيق وفهم للمجتمع وتياراته عميق ، واحاطة لقضايا الانسانية والعالمية موفق .

٢ – فهو يعارض رأى (سـلامه موسى) فى أن كل الانقلابات الكبرى فىالتاريخ سواء أكانت دينية أم اجتماعية أم سياسية ترجع

الى بواعث اقتصادية فيقول : « ان الانسان بجانب حاجته الى الغذاء والكساء له حاجات لا يقر له قرار الا اذا وفاها لنفسه (فعيسى) لم تدفعه الى الدعوة المسيحية حاجة اقتصـــادية ولم تدفـع الذين اتبعوه الى اتباعه حاجة اقتصادية ، بل هم ذاقوا بسبب صبوئهم الى دينه من الحرمان والعذاب ما لم يسمع بمثله ، والذى حدا (محمدا) الى دعوة أمته الى الاسلام ليست حاجة اقتصادية ولم تحفز الذين اتبعوه لاتباعه بواعث اقتصادية ، لأنهم أصيبوا بسبب جنوحهم الى دعوته فى أموالهم وأنفسهم ، واضطروا الى الهرب الى بلاد الحبشة تفاديا من الاضطهاد ، فاذا حدث بعد تأسيس هذه الأديان أن قام أفراد أو قامت أمة باحـــداث انقـــلابات اجتمـــاعية بتأثير بواعث اقتصادية تحت ستار من الدين أو السياسة ، فذلك مما لا ينازع فيه ، ولكن حدوثه لا يؤثر فى النظرية السابقة على اطلاقها ، كما هو ظاهر بالبداهة » .

* * *

٣ ـ فاذا سئل عن مشروع القرش تحـدث حديث العـالم الاجتماعى صاحب النظرية الكلية الشاملة : « ان الأمم فى تركيبها لا تفترق عن الجثمان الحى ، وان هذا الجثمان لا يقوم الا اذا تكاملت أجزاؤه فى تأليف وحدة محكمة البناء تصلح لأن تقوم بذاتها ككائن اجتماعى ممتع بما لأمثاله من خصائص الحياة » .

٤ ـ فاذا سئل : هل نقتـــدى بتركيا والى أى حد قال « ان النهوض لا يكون الا بحافز قوى من دوافع ذاتية ، تنشأ تحت تأثير حاجات قاهرة، وهذه الحاجات القاهرةتتفاوت فى الطبيعةوالشدة بتفاوت الشعوب فى حالاتها النفسية ، وان المعول فى انهاض الأمم هو الدأب على تربية نفوس آحادها تربية توقـــظ جميع غرائزها الكامنة . فاذا نجح المصلحون فى ذلك اتجهت النفوس من ذاتها الى طلب الحياة الكاملة ، والحصول على جميع مقوماتها الأدبية والمادية

وفى رأيى أن الخطة المثلى فى أمر هذه التربية هى أن توضع مؤلفات خاصـــة بها يجعل لها المكان الأول من الدراسة ، تكون مناسبة لعقليته الثابتة ، تعنى ببيان حقيقة الانسانية ومميزاتها الأدبية ، وحقوق الانسان الطبيعية وواجباته نحو نفسه ومجتمعه والانسانية برمتها ٠٠ هذه التعاليم لو صيغت فى قالب حكيم لكان منهـا علم يشوق النفوس ويؤثر فيهـا أبلغ تأثير ، ويصبح بجملته وتفصيله بعـد جيلين أو ثلاثة حالة طبيعية للمجموع يصـدر عنها فى جميع أعماله ٠٠ أما مجرد الاقتداء فلا ينتج أثرا محمـــودا لأن كل مافى الأمم هو ثمرات نفسياتها » ٠

٥ ـ فاذا برزت فكرة «الوحدة العربية» أيدها وقال انها حقيقة اجتماعية موجودة بين جميع الشـــعوب التى تتكلم العربية ، وهى بالخطوة المزمع اتخاذها تتطور الى شـــكل دولى لابد منه فى دور الانقلابات الاجتماعية ، وأشار الى ما تحدثه هـذه الوحدة من بعث روح النهوض فى تلك الشعوب من الشـعور بالنصراء والمؤيدين ، فضلا عما تحدثه من روح التغاير المحمود بين أعضائها ٠

٦ ـ فاذا عرض للحرب قال ان بطلانها لا يزال بعيدا ٠٠ وان الاجتماع القائم على المصالح المادية يتصدع فى رأى بعض القائمين به اذا كانت مصلحتهم المادية تتطلب الخروج عليه ٠٠ ولـكن هذا الاجتماع لو قام على التطور الروحى ، رسخ فى النفوس رسوخ الغرائز التى تصدر عنها الأعمـال الارادية وما تجاسرت على خرمه أمة لأى سبب .

وأشار الى أن الاسلام لم ينفرد بين الأديان السابقة والفلسفات المعاصرة بأنه دين يقر الحرب ، ولكنه انفرد كعـادته بتلطيف هذه المجازر الانسانية الى آخر حد يمكن الوصول اليه ، بدون الاخلال بسلامة الحوزة ، فوضع للحرب حدودا وشرط على الغزاة شروطا ٠

٧ ــ فاذا سئل عن مصر : هل هى فرعونية أم عربية ؟ قال : ان القول بالعودة الى الفرعونية الاولى يشــبه القـــول بالعودة الى الآدمية القديمة ، وقال ان دخول الاسلام مصر قد أحدث فيها انقلابا قطعها عن ماضيها الا فيما لابد منه للاتصـــال التاريخى ، وظهرت نتائج هذا التطور فى كل صغيرة وكبيرة ٠

٨ ــ فاذا سئل عن «البطولة» كانت اجابته على ذلك النحو من الشمول والعمق : لكل مجال من مجالات الحيــاة بطولة : فللأخلاق العليا بطولة ، وللفلسفة والعلم بطولة ، وللوطنية بطولة ، وأقصر تحديد يحصرها فى جميع المجالات هو تبريز الانســـــان فى مجاله بالاخلاص له ، والتفانى فى الدفاع عن موقفه منه ، وشهادة الناس بانه على حق فيه ٠

٩ ــ وفى عشرات المسائل يبــدو (فريد وجدى) بعمقه وفهمه الحياة وتطور المجتمع، فهو يدعو الى انشاء المجلس الاسلامى الأعلى فى مصر ، ليكون قادرا على حل المعضلات الاجتماعية ، ومن أهم ذلك عنده التعلم فى المدارس الاسلامية ، وهو موكول للحكومات وأكثرها أجنبية استعمارية ، تجرى على خطة لاتحيد عنها ، ومن هنا يستطيع هذا المجلس أن يعلم الشباب حقيقة الاسلام على الوجه الصحيح ، فان فى الاسلام أصولا أولية لو أخذ بها الشخص لتطورت نفسيته تطورا يدفعه للترقى السريع ، فقد أمر الاسلام بالفكر والنظر وعدم التقليد ، كما أمر المسلم أن يأخذ الحكمة التى وجدها ، وهــذا ما يرفع الشباب الى مستوى الاستقلال العقلى .

١٠ ــ فاذا سئل : لماذا تؤمن بالله ؟ قال : لأن بداهة العقل تقضى بأن لكل شىء سببا أوجده ، أفلا يكون لأكبر شىء وهو الكون سبب أوجده كذلك ، ان الكون فى قيــــامه على نظام محكم ، وفى تنوع كائناته ، وأخذها من الابداع بنصيب لا حد له ، وفى تمشيها نحو الكمال على نظـــام مضطرد ، يحتاج لعقل ، كما كان السبب

الاول فى ايجاده ، فهو السبب المباشر فى تدبيره ، وامداده بالقوى العاملة فيه ، الحافظة لكيانه ، المهيمنة عليه فى تكمله ·

١١ ـ فاذا ســئل عن أزمة الزواج قال ان مصدرها الرجل نفسه متابعا الانحراف الذى طرأ على عقائده وميوله الاباحية ، فقد وقر فى نفسه متأثرا بالمبادىء الالحادية ان الحياة لاتساوى تكاليفها الشاقة ، وأنه خير للانســان أن يعيش فيهــا حرا بعيدا عن جميع التبعات ليحصل على أكبر قدر من المتــاع المــادى بأيسر الوسائل وأهونها عليه ·· وعنده ان الأزمة ليس مصدرها المغالاة فى المهور بقدر مايرجع الى انتشار الاباحة وتنشيط عواملها تنشيطا متواصلا، والى اعتداد الناس بالظواهر دون الحقائق ·

١٢ ـ فاذا سئل عن مصر كما يريدها، لم يتردد أن يدعو بنى وطنه للتجمع على « مثل أعلى فى الحياة » يتوجهون اليه ، وتتمركز جهودهم عليه ، كما لغيرنا من الأمم ، وعنده أن مجموعا من الناس لا يعرف آحاده «مثلا أعلى» يتوجهون اليه ، فان ذلك يؤدى الى تفكك العرى ولا ينقصنا لتحقيق ذلك شىء فان « فينا كل ما فى الأمم من عناصر البقاء ووسائل الارتقاء » ويرجع هذا الى أن التربية البيتية معدومة ، بل مفسدة للفطر السليمة ، والتربية الوطنية فى المدارس ضعيفة ، فلا يجد المرء « رأيا عاما » يردعه عن زيغ ، ولا اجماعا من الناس يرشده الى فضيلة ، فيعيش متروكا لأهوائه ·

٧ ــ خطابان عن السعادة

١٣ ــ ولقد كان (فريد وجدى) مقصد الباحثين عن أى فلسفة من فلسفات الحياة ، وخاصة فلسفة السعادة ، ولعل أروع مايتصل بهذا الجانب من حيـــاة (فريد وجــدى) الفكرية تلك الرسالتان المفتوحتان المتبادلتان بين الكاتبة « مى زيادة » وبينه عام ١٩٢٩ على صفحات جريدة الأهرام ، فقد فاجأت الكاتبة (مى) القراء بخطاب مفتوح الى الأستاذ (وجدى) يوم عيد الأضحى « ١٠ من ذى الحجة ١٣٤٧ » نشر فى مكان الافتتاحية جاء فيه :

قد يدهشك يا أستاذ أن ترانى موجهة اليك خطابا ، أنا التى ليس لى الشرف أن أعرفك شخصيا ، اليوم يوم عيد وراحة وحبور ، اذن فعلام أوجه اليك خطابا .. انى مسرورة وأود أن أفضى بسرورى الى شخص ما ، ولست أدرى لماذا ذكرتك ، فكنت أنت هذا الشخص، وسرورى بسيط رائق هنىء ، هو سرور الأعياد ، وليس فيه من العوامل الخطرة التى تحملك على أن تنيلها التفاتا خاصا ، منذ حين سمعت جارى المؤذن ، وقد كان للنداء الشجى نغماته ، يهتف حى على الفلاح ، والصلاة هى وسيلة الاتصـــال بالبارىء ، وقد رأيت الشمس بازغة من وراء المقطم ، تطل على مدينة الخلفاء المفعمة بأوشحة السحر ، ومضت الأشعة تلون معالم الوجود ، وتنعكس على جدران المنازل والصروح ، ومن خلال باب الجامع المفتوح شهدت صلاة المصلين وهم ينهضــون ويسجدون بحركة واحدة لغـاية واحدة .. وأبهج

ما يزين الشارع مشهد الأطفال بملابسهم الزاهية الألوان ، وكل منهم يحسب لفرط سروره أن العيد انما وجد له وحده ، نظرا لما يرغد به من الطعام والحلوى ٠

ولكن رغم هذا السرور الذى يخيل شاملا ، ورغم استعدادى للسرور فى نشوة هـــذا الصـــباح ، فانى كذلك أصغى الى همس الاكتئاب ، وأفكر فى الذين لا يحل العيـــد مشاكلهم ، وان هم فيه رغدوا ولا يدفع الموسم عنهم ويلات الغد ٠

وبعد : فهل أنت يا أستاذ تعيد على طريقة سائر الناس ، أم أنت اليوم ككل يوم عاكف على دروسك وأبحاثك لتخرج تلك الكتب التى هى مجتمع ، يغنيك عن كل مجتمع ، وتصدر دائرة معـــارف القرن العشرين التى يزيد قيمتها أنهـــا عمل رجل فرد ؟ أما زلت منصرفا لحديث الأرواح وحديث ما وراء الموت ؟ أما زلت ترى المذهب المادى متهدما فتقف على اطلاله لتخاطبنا عما وراء المادة ؟ أم أنت وصلت الى حيث تصبح المادة والمعنى متمازجين؟ ويصبح الروح والجسد متصلين لا ضدين فلا يعمل الواحد منهما دون الآخر ، فلا ينفصل أحدهما عن صاحبه فى فكر أو حس أو اندفاع ، أنت تصمت طويلا لتأتى بشىء كبير جليل ، ربما صرفتك أعمالك عن مطالعة الصحف فتجهل أنى وجهت اليك هذا الخطاب ،وعلى كل فلست فى هـــذا الجهل بخاسر ٠

ولكن حبذا لو قرأت فسمعت منى هذا السؤال : علام جعل الناس غاية الحيـــاة الأرضية « السعادة » ومن أين تجىء حاجتنا الشديدة الى السعادة ؟ وهل العلم والثقافة والرقى ان هى سهلت وسائل الحياة الخارجية ، تجعل سعادة المرء الداخلية ميسورة ؟ أم هذه السعادة أقرب الى النفوس من حالة الجهل والمعيشة على الفطرة ،

لأن المطالب فيها محدودة ، والأخطاء معدودة ، والاهتمام قاصر على حاجات أولية فى متناول اليد ٠

ان جو الأعياد وأثواب الأطفـال وحفيف الألوية ، كل ذلك يحدث اليوم حديث السعادة ، فكيف لاأذكرها فى هذا الصباح ؟ وهل أنت بعملك وأبحاثك وابتعادك عن النـــاس أعرف منا بسر السعادة ، وأقدر على معالجتها ؟ .

❊ ❊ ❊

وقد أجاب (فريد وجدى) بعد أيام قليلة فى خطاب مطول مفتوح أيضا فكان موجز ما قاله :

« الى الآنسة (مى) : لم أدهش أن توجهى الى كتابا مفتوحـا انت التى لك فى كل منحى من مناحى النشاط العقلى جولة تنثرين فيها من يراعتك الساحرة دررا يتحلى بها جيد الأدب أو العلم ، وأنا وان كنت قد انتبذت ناحية متجردا كما أنا بصدده من الأعمال ، فلم أخرج عن أن أكون فى زاوية من هذا المجال ، فكيف يخطئنى نظرك الثاقب ٠ أكثر ما سرنى أنك ذكرتنى يوم سرورك ، فمن الذى أدراك أنى أدين بمذهب التفاؤل فى الحياة ، وأحب ألا أذكر الا حيث يذكر الأمل والثبات والوصول الى أبعد الغايات ٠ ألممت أيتهـــا الآنسة الفاضلة بالمؤذن حى على الفلاح ، والصلاة ، وبطبقات الأحياء وبجمال الطبيعة ، وذكرت القادرين والعاجزين ، ألممت بكل هذه الالمامات وهى من أبدع وأجمل مايجب أن يقرأه الأقوياء والضعفاء يوم العيد ، والعجيب أن ذلك هو أكبر ما يشغلنى فى جميع أوقاتى ٠

سألتنى هل أعيد على طريقة الناس ، أم أنا على ما أنا عليه كل يوم من ٠٠ ومن الخ فما رأيت سؤالا تضمن جوابا مثل هذا الجواب، ولا غرو ، فانك ترينا كل يوم وجها جديدا من وجوه الابداع ٠

أما سؤالك علام جعل الناس غاية الحياة الأرضية «السعادة» ، ومن أين تجيء حاجتنا الشديدة اليها فجوابي عليه : ان السعادة هي في الواقع غاية الحياة ، فلئن أخطأها الناس فلأنهم يخطئون حقيقتها ، ويخطئون طريق الوصول اليها ، فهم لا يزالون يتحسسون من معنى هذه السعادة حتى يجدوه ، واذ ذاك يلوح لهم طريق الوصول اليها فيسلكونه ٠

تسألينني : هل العلم والثقافة والرقي ان هي سهلت وسائل الحياة الخارجية تجعل سعادة المرء الداخلية ميسورة ، أم هذه السعادة أقرب الى النفوس في حالة الجهل والمعيشة على الفطرة لأن المطالب فيها محدودة ٠

ومذهبي أن السعادة الانسانية هي في العلم والثقافة والترقي، لا في الأخلاد الى الجهل ولا في السكون الى الفطرة ٠ فالانسان محفوز بما سلط عليه من القوى الباطنة فيه والخارجة عنه الى العلم والثقافة والرقي ، وله الويل ان وقف منها عند حد ٠

بقي سؤال كنت أحب الهرب من الجواب عليه في هذا اليوم : هل أنت بعلمك وأبحاثك وابتعادك عن النـــاس أعرف منا بسر السـعادة ؟ ٠٠ وأقدر على معالجتها ؟ عفوا يا سيدتي ، لقد جرحت (كما يقول الفرنسيون) تواضعي ، ولكن لا أظن يؤيده ماعندي ٠ ما رأيت في مفردات اللغات كلها كلمة اختلف الناس في تحـديد معناها ، مثل اختلافهم في تحديد معنى السعادة ، واني لأشعر بأني في مزدحم من صور ذهنية عنها ، لا يحصى لها عدد ، يجمعها روح واحد ، هو المتاع بالوجود بنجوة من جميع المنغصات والخلود في ذلك المتاع أملا غير محدود ، ولكن هل هذا الخلود من الممكنات ؟

هنا مجال الصراع بين المذاهب الفلسفية ، ومشتجر العقول

من المفكرين، فأمر السعادة قد آل بعد هذا الكفاح الى مسألة علمية تشغل الانسان ، وهى : هل فى الانسان روح ذات وجود مستقل مستمدة من عالم أرفع من عالم الكون والفساد ، ولها بقاء بعد تحلل هذا الجسد الفانى ، أم ليس لها روح غير هذا النفس الذى يتردد ، ان ثبت الرأى الأول فللانسان سعادة من نوع لا يقف جمالها وجلالها عند حد ، وان استقر الرأى الثانى فليس للانسان سعادة ، يمكن أن يقال سيتوصل العلم الى حذف كل أسباب المنغصات بما يكتشفه من وسائل وآلات ، ولكن هل يرد العلم عن الانسان أسباب الموت ، يقولون الا هذه : ونحن نقول : اذن فلا سعادة ٠ لقد حل العلم المعضلة وتكشفت المعركة الهائلة بين الماديين والروحيين منذ أكثر من ألفى سنة عن انتصار حاسم للآخرين ، ولن تبقى البشرية أمدا لا نهاية له على هذا المقصود الحيوانى ، فلابد أن تثوب الى رشدها فيتلمس هداتها الطريق وعندئذ يتحدد لها معنى « السعادة » ٠

***

واذا كان (فريد وجدى) قد برز فى مجال الدراسات الاجتماعية والفلسفية ، فانه كان الى ذلك أديبا بأكمل ما تصور كلمة « الأدب » ويتمثل ذلك فى « وجدياته » ويتمثل فى شعره ، فان (لفريد وجدى) شعرا حكميا ضمنه هذه الوجديات ونرى من الضرورى أن نسجل نموذجا له (١)

صاح حى الجمال بالأفراح   واغنم الأنس من ثغور الأقاح

واهدى هذى الزهور منك سلاما   ذا أريج كعرفها الفياح

---

(١) م٣ الحياة سنة ١٩٠٦ ٠

وأدر خمرة التأمل حتى تفقد الحس بين روح وراح

واستجش من كنوز معنـاك نورا

واجعل القشر حصـة الأشباح

عالم مدهش وكون كبـير أنت فيه كذرة فى البراح

أين ترمى بناظريك تلاقى عالما معجزا بعيد النواحى

رائد الفكر دونه فى كلال وقوى الذهن دونه فى طلاح

أيهذا الفضـاء أين مكانى منك فى هذه الفيافى الفساح

ما يمين وما يسار وما فوق وما تحت بين هذى المناحى

ثم ما هذه المرائى وما تلك المجالى بحسـنها الوضاح

ثم ما هذه الزهور وما تلك القصـور العاليات الجناح

عالم الحس دون هذا بلا شك ولكن لدى القلوب الصحاح

عالم الحس من لوازمه القيد وذا عالم طليق السراح

لذة كله وروح وراح وسرور يـكال بالأقداح

الباب الثالث

مساجلاته ومعاركه

اذا عرضنا لمساجلات (فريد وجدى) ومعاركه كجانب هام لابد من مراجعته ، فاننا نستطيع أن نقول أولا ان حياة (فريد وجدى) الفكرية كانت معركة كبرى فى مواجهة سجال واحد : هو سجال النظرية المادية للفكر الانسانى ومحاولة مقاومتها للدين والعلم جميعا . تلك هى القضية الكبرى ، أو المساجلة الكبرى التى تصدى لها (فريد وجدى) ، والتى دفعته الى أن يحمل القلم ويقرأ ويهبها حياته كلها ، ويحرص على أن يمد هذه الحياة بالحماية لها والحفاظ عليها حتى تتسع للعمل على مواجهة الفلسفة المادية . ورأى (فريد وجدى) فى اجمال : أن المذهب المادى ليس هو العلم ، وانما هو فرع من فروع الفلسفة التى تعتمد على العقل ، والتى قد تصدق أو تخطىء ، أما العلم فهو غير ذلك ، انما هو الحقائق التى يمكن الوصول اليها بالتجربة والعقل ، وأن هذا العلم قد أثبت أن العالم ليس مادة فقط ، وأن الوجود مشحون بالقوى المختلفة ، وأن وجود عالم ماوراء المادة أمر لابد أن يكون له تقديره ووزنه فى حل معضلات الكون .

تلك هى معركة (فريد وجدى) الكبرى التى يقف بها فى مواجهة كل خصوم الدين والروحية وما وراء المادة ، وقد كانت كتاباته فى أول أمرها ردا ومساجلة لدارون وبختر ومن ترجم لهما من أمثال شبلى شميل والدكتور صروف وغيرهما ، كما واجه (فريد وجدى) طابعا آخر من المعارك ، هو معارك الانتقاص للفكر العربى والحضارة الاسلامية ودور العرب والمسلمين فى الحضارة الحديثة وما وجه الى « الاسلام » من اتهامات وشبهات ، وفى هذا كانت معركته الباكرة فى الرد على (هانوتو ، ورينان ، وكرومر) ،

وهى معركة لها طابعها الواضح فى الدفاع عن الاسلام ، وفى التفرقة بين الاسلام نفسه كدين ونظام اجتماعى وبين ما عليه المسلمون فى العصر الحاضر ٠

ثم كانت معركته مع (قاسم أمين) فى شأن اطلاق الرأى فى حرية المرأة ، وضرورة الاستفادة من الأخطـــاء التى وقعت فيهـا التجربة فى الغرب ، مع ايمان كامل بحق المرأة فى التعلم والحرية وولاية القضاء فى ضوء ما أتاح لها الاسلام فى هذا المجال ٠

ونذكر فى هذا المجال معاركه السياسية مع (لطفى السيد وعلى يوسف) وغيرهما فى ميدان الحركة الوطنية ٠

ثم لا يلبث (فريد وجدى) بعد الحرب الأولى أن يواجه معارك أخرى من نوع جديد مع (طه حسين) بعد اصداره « الشعر الجاهلى » ومع (التفتازانى ومحب الدين الخطيب وشكيب أرسلان ومصطفى صبرى ورشيد رضا) فى مواجهـــة الحركة التركية التى قام بهـا (مصطفى كمال) ، وقد ارتبطت هذه المعركة بالتحول التركى فى مجال الفكر والاجتماع ، وبترجمة القرآن والحروف اللاتينية ٠

وكانت له مع كل من (هيـكل وزكى مبارك) آراء حـول ما عرضناه فى كتابيهما : ثورة الأدب ، والنثر الفنى ٠

وعندما أثير أمر كتاب « مسائل فى العلم » الذى كان يدرس فى الجامعة الأمريكية ويحوى هجوما على الاسلام تقدم (فريد وجدى) بالرد على هذه الشبهات فى فصول نشرت فى جريدة الجهاد وجمعت فى كتابه : « الاسلام دين عام خالد » ٠

ثم كانت معركته الطريفة الفـذة حول العبقرية مع الدكتور (أمير بقطر) على صفحات الهلال ٠٠ أما فى المرحلة الأخيرة من حياته حين ولى تحرير مجلة الأزهر ، فقد ظل (فريد وجدى) عشرين عاما

كاملة يواجه كل ما يكتب عن الاسلام فى المؤلفات والصحف الغربية تحت باب معروف لم يتوقف هو « دحض شبهات عن الاســـلام » عرض فيه لآراء كثيرة ، مفندا فى افاضة وعمق ٠

وتتميز مساجلات (فريد وجدى) ومعاركه بأنه يبدأ فى أول بحثه بتلخيص واف كامل لآراء خصمه على نحو أمين ٠

ثم يعرض لكل جزئية فيدحضها ، ثم يصل فى النهاية الى الفكرة العامة فيقضى عليها، وهو فى كل هذه المساجلات لايخرج عن حدود الذوق والعــلم ، فهو لا يعطى للأهواء الذاتية أى مكان فى بحثه ، بل ربما كان موقفه من خصمه فى الرأى موقف الرفيق الذى يبدو كأنه لا يعارضه أو يصادمه ، وكذلك كان موقفه مع الدكتور طه حسين فى معركة « الشعر الجاهلى » التى تناولها الكثير أمثال : (مصطفى صادق الرافعى ولطفى جمعه والخضر حسين ومحمد أحمد الغمراوى ، وفريد وجدى) وقد تميز فريد وجدى فى هذه المعركة بالارتفاع فوق الاتهامات التى رددها الكثير ، ولم يتصل بشخصية (طه حسين) أو بواعثه من قرب أو بعد ، ولكنه عالج الموضوع فى مناقشة علمية خالصة ٠

فاذا ساجله أحد أغضى فى رده عن الأمور الخاصة ما لم تتصل بجوهر فكره ، ولقد كان زكى مبارك عنيفا فى اصطدامه مع ناقديه ، مندفعا ، فلما أثيرت معركة كتابه النثر الفنى ، وأدلى فيها (فريد وجدى) بدلوه على هذا السمت من العلم والذوق ، اضطر زكى مبارك أن يعترف بأن هذا الكاتب وحده قد حمله على احترامه ، وأبعده عن عنف الخصومة ولددها ٠

مع (هانوتو وكرومر)

١ ــ أما معركته مع (هانوتو) فقد بدات على أثر ما نشر فى جريدة « المؤيد » ابريل ١٩٠١ من ترجمــــة عن جـريدة الجورنال الباريسية لحديث لوزير خارجية فرنسا السابق من طعن على الاســـــلام والمسلمين ، والمصريين والعرب ، مما هز يراعــة (الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده) فى الرد عليه فى المؤيد بتوقيع «امام من ائمة الاسلام» ثم واجه (فريد وجدى) المعركة فأشار الى ان ما كتبه ذلك العظيم والعلامة الفيلسوف « يقصد محمد عبده » قد وفى المقام حقه قال : « لم يبق أمامنا الا نقطة واحدة هى « ما ذكره هانوتو » من أن الاسلام يجب احترامه كقنطرة تمر عليها الشعوب من الوثنية الى المسيحية ، أما نحن فنريد أن نبرهن له ولأمثاله الواهمين فى الاسلام بأنه ليس بدين تمهيدى بل هو غاية ماسيصل اليه النبوغ الانسانى فى مستقبل القرون ، ونهاية ما ترمى اليه الانسانية ‥ ثم تناول الدين من خلال القرون ثم عرض لصراع العلم والدين ، وكشف عن اتجاه العلم الحديث الى الروحية ثم وصـــل الى أن الاسلام هو دين الفطرة المنشود » ·

ووفق مذهبــه الذى شـق طريقه دافع عن الدين كدين ، وكشف عن حاجة الانسانية اليه ، وأن الطبيعة البشرية تندفع وراء تلمس العقيدة المبرأة النقية من الشوائب والفروض ‥

وقال ان العلم لم يستطع أن يعدو على الغريزة الدينية ، وشهد باستمرارها وشيوعها فى كل أدوار التاريخ ، وأن الانسان مفطور أساسا على الاعتقاد بالله ٠٠ وقدم فى مجال تأكيد رأيه عشرات من آراء علماء أوروبا أنفسهم ٠ ثم بلغ غايته فأشار الى أن الاسلام هو دين الفطرة المنشود ، ووصف تنزيه الاسلام للخالق عن مشاكلة المخلوقين ، ثم قال : « ان النوع البشرى يتقرب من عقائدنا يوما بعد يوم ، ثم رأينا من شهادة علماء الفرنجة أنفسهم أن ديننا دين مدنى عجيب التأثير ٠٠ ثم انا نرى أنه آخذ فى الانتشار بطريقة مدهشة رغما عن كل ما يقام دونه من العوائر » ٠

٢ — أما معركته مع اللورد كرومر فقد مرت بمرحلتين « الأولى » عندما نشر تقريره ١٩٠٦ « والثانية » عند صدور كتابه مصر الحديثة ١٩٠٨ وقد نشر رده الأول فى صحيفتى « اجبشيان ستندرد ولتندار اجبسيان » باللغة الانجليزية حتى يتمكن (اللورد كرومر) وغيره ممن قرأوا تقريره بلغته أن يقرأوا الرد بنفس اللغة ، وقد استهله بقوله ان : « وظيفتى فى الهيئة الاجتماعية تحتم على ألا أهمل أمثال هذه الأحكام على المبادىء الاسلامية التى دفعت قلمى للدفاع عنها ، لا سيما اذا صدرت من رجل كبير يتخذ قومه رأيه منهاجا » ٠

وفى كلتا المعركتين هاجم كرومر «الاسلام» فى عدة نقاط ، منها : اباحة الاسترقاق ، ومسألة المراة واجتماع الأصول المدنية والقانونية فيه ، ثم أشار الى أن التأخر الذى يعيش فيه المسلمون « اليوم » انما مصدره الاسلام نفسه ٠

وقد أشار (فريد وجدى) فى رده الى انه مما لا خلاف فيه ان الاسلام وحده كان سبب يقظة الأمة العربية ، وباسم الاسلام وبتأثير

تعاليمه ، استطاع العرب منزعة الرومان والعجم حق السيادة الأرضية . وباسمه امتد ملك الاسلام الى حدود الصين شرقا والى فرنسا غربا ، وحفظت كنوز العلم اليونانى من الدثور ، وتأسست باسمه مملكة الأندلس الباهرة ، التى كانت سببا فى ايصال نور المدنية الى أوربا فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر. وتساءل: هل يمكن وصف المبادىء ـ التى كونت هذه الدول ، وكانت باعثة لكل هذه المدنيات القاهرة فى مدى قرون متتابعة ـ بأنها مبادىء تميت الشعوب التى تسود عليها » .

ثم استدرك (فريد وجدى) فقال : « نعم طرأ على المسلمين فساد اجتماعى بعد قرون من ظهور الاسلام ، فهل يليق بباحث أن يلقى تبعة ذلك الفساد الطارىء على الاسلام نفسه ؟ أم الأولى أن يقال ان ذلك الفساد سببه حلول مبادىء مناقضة لمبادىء الاسلام الحقة ، وأنها ساقت الأمة الى لوازمها ومقتضياتها » .

وعرض لاتهام كرومر فى مسألة (اباحة الاسترقاق) فقال: « ان الشريعة الاسلامية لم تبتكر الاسترقاق الذى كان موجودا قبل ظهورها بألوف السنين ، وهى لم تحتمه ، وانما أجازته مراعاة للحكمة التاريخية . وان الاسلام علق أمر الاسترقاق فى الحرب بارادة الحكومة تمهيدا لابطاله حينما تدرك الجمعية البشرية بواسطة الحوادث المهذبة ضرورة ذلك ، لذلك لما توصلت المدنية لابطال هذه العادة كان المسلمون أول من لباها ، ولم يسمع أن عالما من علماء الاسلام ، قام فى بلد من البلاد وطعن على مبطلى الاسترقاق ، زاعما أن ابطاله مما ينافى الدين » . ثم عرض لاتهام كرومر فى أمر « المرأة » فقال : « انه ليس فى الاسلام عنها ما ينقض المبادىء المدنية ، بل هو قد سبقها الى تقرير حقوق للمرأة لم تصل اليها مدنية أوروبا الى الآن .. فالاسلام قد اعترف للمرأة بأن لها روحا كروح الرجل ، وهو الحق

الذى أبته أوربا عليها زمنا طويلا ، وأقرت بأنها شريكة الرجل فى الحياة، وأنها كائن متمتع بكل الخصائص الانسانية التى تؤهلها لأرقى مراقى الكمال البشرى ، وقد أباحت لها الشريعة الاسلامية أن تتولى القضاء بين الرجال ، وأن تلى الافتاء فى شئون المسلمين ، وهذا من الحقوق التى لم تنلها المرأة فى العالم الغربى الى الآن ، وأجازت لها أن تتصرف فى أموالها استغلالا وايجارا ، ورهنا وبيعا ، وهذه أيضا من الحقوق التى لا تتمتع بها المرأة الأوروبية تمتعا تاما ، وحث الشارع على أن تحضر المجامع الدينية ، والنوادى الشورية العامة عند طروء حادث على المسلمين ٠ وجوز لها أن تبدى رأيها فى وسط الجموع ، وعلى الحكومة أن تحله محل الاعتبار ان كان حقا ٠ والمرأة بنص الكتاب شريكة الرجل فى الحيـــاة شركة رباطها المودة والرحمـــة ، ولا توجد شريعة فى الدنيا لا توجب على المرأة خدمة زوجها ايجابا قهريا غير الشريعة الاسلامية ٠ فالمرأة فى نظر الاسلام شريك محترم له حق الرعاية والاكرام لا زميل ممتهن ٠ ومما يعـد مدهشـا فى احترام الاسلام لحرية المرأة انه لا يوجب عليها ارضاع ولدها ، ولها أن تجبر زوجها على استرضاعه بواسطة مرضع مأجورة، فهل كل هذه الحقوق الممنوحة للمرأة التى لم تصل الى بعضها المرأة الغربية مما يمكن أن يحتقر فى نظر الباحث الأوربى ويعلن على رءوس الأشهاد انه مما ينافى الفكر العصرى ؟

ولعل جناب اللورد يرى ما عليه العامة من المسلمين الآن من الخشونة فى معاملة النساء ، فيظن ان ذلك عملا بشريعتهم ، واذا كان كذلك فلا يصح أن تتخذ حالة العـامة فى أمة صـــورة صحيحة لشريعتها ، والا لرأينا فى عامة أهل أوروبا ما يجعلنا نحكم على أصول من بيئتهم بأنها من أحط الأصول وأبعدها عن العواطف الكريمة»

ثم عرض (فريد وجدى) لرأى كرومر فى جمع الاســلام بين

الأصـول المدنية والقانونية فقال : « يعيب اللورد كتاب الاسـلام « القرآن » بأنه جمع فى دفتيه بين القوانين المدنية والجنائية والدينية، وأكد بأن هذا الجمع هو السبب الفعال فى انحطاط كل الأمم التى تدين بهذا الدين ، فلم نفهم وجه ارتباط الانحطاط بذلك الجمع ، ولم نقف فى تاريخ البشر على ما يقوى شبهة اللورد ويؤيدها ، بل رأينا أن كتب كل المدنيات القديمة التى كانت ولم تزل احدى مفاخر النوع البشرى كانت جامعة بين القوانين المدنية والدينية ، وهذه بين أيدينا كتب قدماء المصريين والبابليين والآشوريين ، والهنـديين والعبرانيين واليونانيين والرومانيين تشهد بما نقول ، وما من أمة من هذه الأمم الا ولها صرح قائم فى عالم المدنية الانسانية، ومما يصح اتخاذه برهانا عمليا على أن اجتماع تلك القوانين فى كتاب واحد لا يعطل سير النهضة المدنية ، ولم تبعد بالنفوس عن بلوغ أرقى شأو من الترقيات .

ثم يقول : « ولعل اللورد كرومر يريد مبدأ جمع الاسلام بين « الدين والسياسة » وهو المبدأ الذى حاربته أوربا من لدن القرن الثامن عشر ولم تزل تحارب بقاياه الى اليوم لتبرز سياستها متحدة بلا دين من كل وجه ، وهو على رأى السـياسيين مطلوب الروح العصرية الحاضرة» وقال ان تشبيه اختلاط الديانة والسياسة فى كتابنا لقيام أمر حكومتنا على هذا المبدأ المشترك بما كان حاصلا فى الأمم الأوروبية قبل قرن من الزمان ، هو تشبيه مع الفارق الجسيم ، ذلك لأن كتب الديانة النصرانية اعتبرت الأمة مكونة من طائفتين متميزتين : رجال الكهنـوت وطائفة الشعب ، ووهبت للأولين من الامتيازات ما علا بهم عن مستوى العامة والخاصة معا ، ومدت فى سلطتهم على الأشـباح والأرواح حتى جعلتهم فوق الملوك نفوذا ، فحدث من ذلك من التغاير بينهم وبين الملوك ماجر الى أقسى الحروب وأفظعها قرونا مسـتطيلة ، كانت أوروبا فى أثنائها كجذوة نار

ملتهبة ، واستمر النزاع حتى توصلت فرنسا لوضع حد لتلك السلطة الدينية الخطرة ، أما الاسلام فالأمر على خلاف ذلك ، لأن الاسلام بحكم مبادئه الحرة لم يعترف بوجود طائفة ممتازة تدعى طائفة رجال الدين، فلم توجد فيهم الامتيازات الكهنوتية، ولم تقم فيه طائفة قوية تنازع الحكومة سلطتها الزمنية ، أما علماء الاسلام فى نظر الكتاب فليسوا الا أفرادا انقطعوا لدراسة الدين بمحض اختيارهم وليس لهم أمام القانون الاسلامى أدنى امتياز مدنى أو دينى ، وليس بشكل الألبسة أو أوامر دينية تجبرهم عليه، وليس لدى المسلمين مسألة يقال انها مسألة فصل الديانة عن السياسة ، بل لا يتصور حدوث ذلك فى يوم من الأيام ، وذلك لعدم اعتراف « كتابنا » بأى امتياز لأى طائفة من الطوائف ، وانما اجتمعت هذه الأصول عندنا فى كتابنا لتكون سياستنا ذات دين لا يفارقها العطف ولا الرحمة ، لا يزايلها اللين ولا المروءة . فعلاقة الدين بالسياسة عندنا علاقة خلقية روحانية لا علاقة ضغط ولا جبرية ، وليس لأحد أن يعيرنا بامتزاج سياستنا بالدين ما دام التاريخ يشهد لهذا النوع السامى من المدنية بالسبق الى باحات الكمال البشرى » .

هذا موجز قصير جدا لما أورده فريد فى رده على كرومر ، فلما عاد كرومر بعد عامين ينشر كتابه (مصر الحديثة) وأعاد ذكر هذه الشبهات بأسلوب جديد واضافة أخرى ، عرض فريد وجدى بتوسع لهذه المسائل فى جريدة الدستور ، ثم جمع كلمته فى كتاب مطبوع تحت اسم (اللورد كرومر والاسلام) أشار فيه الى مناقشته الأولى لآراء كرومر ، وقال ان كرومر صغر فى عينى جدا من حيث معارفه التاريخية والاجتماعية والدينية ، وكنت أظن أنه بعد أن قرأ ردى عليه فى « ذى اجبشيان ستندارد » الانجليزية قد تنازل عما اختزنه ذهنه عن الاسلام من طريق الوراثة والتقليد فاذا هو يزداد تعسفا وجناية على الحقيقة ، وقال يظهر ان السياسة قد قطعته عن العلم

فلم يدرس فى فلسفة الأديان كتابا واحدا ، وقال : يسوءنا أن نجاريه فى تعديه على الاسلام فنكيل له الصاع بالصاع، ونريه من أقوال قادة الفلسفة الأوروبية مبلغ ما أتت به المسيحية للعلم والمدنية ، ولكن يردنا عن ذلك أدب اسلامى أفاضه علينا القرآن فنمتنع عن تناول النصرانية بالقول تفاديا من استياء الآخذين بذلك الدين ، ولكن ذلك لا يمنعنا من أن نذكره بقول العلامة « درابر » : «ان المسيحية لبثت فى أوروبا ألف سنة فلم تنجب عالما واحدا ولم يلبث الاسلام غير سنين معدودة حتى نبغ فيه ألوف من أراكين العلم وأساطين الفلسفة » • وقال : ان ذنب الاسلام فى نظر أهل السياسة من أوروبا ، أنه دين يحمل الآخذ به على الاباء والشمم ويحميه من أن يكون مضغة للمستعمرين من الأمم ، ومعه دين لا يجافى العقل ولا يحجر عليه ، ويفتح باب الحرية المعقولة فى وجه كل ميل من أميال جسده ، ويدعو للعزة الدنيوية كما يدعو للمنزلة الأخروية •

ثم نهض (فريد وجدى) فى نقد آراء كرومر مفندا أخطاءه على النحو الذى عرضنا له •

٢ – « قضية النهضة »

(١)

اذا استعرضنا حياة (فريد وجدى) الفكرية نجدها أشبه بنهر بدأ فى أول منابعه هادئا ، ثم ما زال يتسع ويعمق على أوفى « عند مصبه » على غاية من القوة والحيوية ٠٠ فقد كان (فريد وجدى) يعرف منذ أول ما أمسك القلم غايته وهدفه ، كانت أزمته النفسية فى فهم الكون والحياة والانسان قضية حياته ، ثم أصبحت بالتالى قضية فكرية ؛ وقد عاش عمره كله مشغولا بدراساته عن الروح والمادة ، والايمان والالحاد ، وضرورة الدين ، للحضارة ؛ وايمان العلم بالدين ، وعالمية الاسلام ٠

ولم يمنع هذا كاتبنا من أن يعرج هنا أو هناك حول قضايا الوطنية والاجتماع وفلسفات الأمم ونهضات الشعوب ، وقد أتاح له اسمه اللامع ، وسمته الواضح ، أن يكون مصدرا للباحثين ، ومرجعا للسائلين فى هذا الأمر أو ذاك من امور الحياة والحضارة ، فى مجال المرأة والدين ، والقومية واللغة ، وكان الى هذا يشارك بالرأى فى كثير مما يظهر من مؤلفات وأبحاث ، موضحا وجهة نظره طبقا لفلسفته ومفاهيمه الانسانية ٠

غير أن أمرا هاما قد وقع ، وهو « الثورة التركية » بعد الحرب الأولى ، وتحول تركيا نحو الغرب فى ظل ثورتها ، ولما كانت تركيا

هى مقر الخلافة الاسلامية ذات الرابطة الوثيقة بين أجزاء العـالم الاسلامى كله ، ولما كان بين العرب والترك ـ وهما أهم عنصرين تضمهما الدولة العثمانية ـ من خلاف بدأ فى ظل ظهور دعوة القومية فى الغـرب وانتقالها الى المشرق ، وبروز طائفة من دعاة القوميـة التركية ، وما أثير فى هذه الفترة من جدل ومعارك فكرية حـول الجامعة الاسلامية بمفهوم (السلطان عبد الحميد) خليفة المسلمين اذ ذاك لها ، ومفهوم (جمال الدين الأفغانى) داعية الحرية والشورى، وبين ظهور الدستور العثمانى ١٩٠٨ ، وسقوط (عبد الحميد) سنة ١٩٠٩ ، وما كان من بروز حزب الاتحاد والترقى ، وسيطرته على الحكم بعد (عبد الحميد) ، وما وقع بين العرب والأتراك من خلاف بدأ قبل ذلك حين عقـد العرب مؤتمرهم الأول فى باريس ١٩٠٤ مطالبين باللامركزية فى الدول العثمانية ، وما تطور اليه الموقف من اتجاه الاتحاديين فى ظل دعوة القومية الى الجامعة الطورانية وتتريك جميع العنـاصر فى الدولة ، ومنهم العرب ، وما كان بين العرب والترك بعد ذلك من صراع ، وما وقع فى سوريا من نصب المشانق لدعاة الفكرة العربية، ثم ما كان من موقف مصر ازاء هذا كله ، وهى الدولة المحتلة بالاستعمار البريطانى ، التى كان دعاة الحرية فيها أمثال مصطفى كامل والحزب الوطنى يستظهرون بالـدولة العثمانية لمقاومة نفوذ بريطانيا ، وكيف كان الصراع بالغا بين زعماء العرب والمصريين فى هذا وبين دعاة الفكرة العربية ، وما دخل الى هذه المعركة من دسائس لاحد لها ، كانت تهدف أساسا «بالقضاء على الدولة العثمانية » القضاء على الاسلام والخلافة ، وما كان من رأى أنصـار ابقاء الصلة بين العرب والترك من أن بقـاء الدولة العثمانية انما هو ابقاء على وحدة قائمة فى وجه النفوذ الغربى الذى يحـرك بعض التيارات لتمزيق الدولة وتقسيمها ، وهو ما حدث فى نهاية الحرب العالمية الأولى .

فى ظل هذا الموقف كله ، وقعت الحرب العالمية الأولى ، وانضمت الدولة العثمانية الى محور ألمانيا وانضم العرب الى محور بريطانيا وحلفائها ، وانتهت الحرب بهزيمة ألمانيا وحلفائها « ومنهم تركيا» وانتصار بريطانيا.. وبينما تركيا فىهذا الموقف منالهزيمة والسقوط ، ظهر (مصطفى كامل) يقود معركة الاستقلال ويحرر تركيا ، ويعلن قيام دولة تركيا خالصة ، لا صلة لها بالأجزاء العربية التى سيطرت عليها فرنسا وبريطانيا ، ويعلن نظاما جديدا ، غاية فى الجرأة على المقومات القديمة للدولة العثمانية ، فيلغى الخلافة ، ويغير الحروف ويكتب باللاتينية ، ويصادر الصور الدينية المختلفة ويغير القوانين ، ويفرض القبعة ، ويخرج المرأة الى المجتمع ، ويفعل كل هذا على نحو مثير عاصف ، كان له صداه البعيد فى مصر والعالم العربى كله ، ومن ثم كان الموقف بالغ الأثر فى نفوس رجال الفكر والاسلام الذين شنوا حملة ضخمة على مصطفى كامل .. واتجاهاته .

وقد كان خليقا بأن يفعل مثل ذلك رجل كانت دعوته منذ مطالع صباه مهاجمة الالحاد والاباحية ؛ والدفاع عن الدين . وهاهى ذى تركيا المتحررة من النفوذ الاستعمارى ، تفصل بينها وبين العرب ، وبين الاسلام ، وترسم نفسها دولة علمانية ، وتترجم القرآن الى اللغة التركية ، وتلغى الخلافة ، فما هو موقف (فريد وجدى) من ذلك كله ؟

تلك هى أزمته الكبرى ، فان (فريد وجدى) لم يتردد فى أن يناصر الثورة التركية ويدافع عنها ، ويواجه عشرات من الأقلام فى مقدمتها أقلام (الشيخ التفتازانى) شيخ الطريقة و (مصطفى صبرى) شيخ الاسلام السابق فى تركيا ، و (محب الدين الخطيب) صاحب مجلة « الفتح » و (رشيد رضا) صاحب « المنار » ؛ و (شكيب

أرسلان) الكاتب العربى المهاجر فى لوزان ، وقد دارت هذه المعارك طويلا على صفحات « الأهرام ، والفتح ، والمنار » وشمر لها (فريد وجدى) مدافعا عن رأيه ومدافعا عن مفاهيمه الأساسية لنهضة الاسلام والمسلمين .

وقد كشفت هذه المعركة عن صورة (فريد وجدى) داعية الدين والاسلام ، والتوفيق بين الدين والعلم ، ومفسر القرآن ، والكاتب الذى وهب حياته للفكر الاسلامى العربى ، وهو يرمى بالكفر والالحاد والجحود ، من علماء الدين ، لأنه يرى أن الثورة التركية نهضة للعالم الاسلامى ، وأنها خير من الجمود الذى عرفته فى ظل الخلافة العثمانية فى المرحلة الأخيرة .

ولم يكن (فريد وجدى) فى دفاعه عن نهضة تركيا يصدر عن ولاء من أى نوع للأتراك ، ولا هو مذعن أو مقر بكل ما وقع فى تركيا مما يخالف الاسلام ، أو ما يوصف بالخروج عليه .. وانما هو مؤمن كل الايمان بأى نهضة أو ثورة فى العالم الاسلامى، تتجه الى العلوم الحديثة ، وتدفع المسلمين الى القوة والحياة ، أما ما يحدث من مخالفات ، فانها عنده ليست الا أخطاء فترة الانتقال ، وأن الأمور عندما تعود من بعد الى الاستقرار يمكن أن تصحح هذه الأخطاء .

و (فريد وجدى) يؤمن بالتجدد والتجديد .. وعنده أن التجدد فى الكائنات الحية ناموس طبيعى عام ، بواسطة تتدارك القوة الحيوية الكامنة فيها أجسادها من الدثور والتحلل ، أما التجديد . فهو أمر يدخل فى دائرة الاختبار ، وهو العمل على « التجدد الأدبى بالدعوة اليه متى شعرت أمة بأن الدعامات التى يقوم عليها وجودها الاجتماعى قد أصابها الوهن » ولكنه يتحفظ فى هذا الاتجاه فيقول : « غير أن الدعوة الى التجديد فى كل دور

من أدوار الانتقال مدعاة لخطر عظيم على كيان الأمة التى تنشأ فيها هذه الدعوة ، فان الطبيعة متى أشعرتها بضرورة التجدد تندفع فيه طلبا للنماء ، أو هربا من الفناء ، فتندس فى زمرة الدعاة الى التجديد حثالة من الذين لا بصر لهم فى الأمور ؛ ولا بصر نافذ فى ماهية العوامل النفسية والعقلية التى تعمل فى الأمم ، فينتحلون لقب المجددين ، ويعملون على التشكيك فى الأصول الأدبية الخالدة ، والتوهين من الوطائد الاجتماعية التالدة ، وينطوعون لهدم كل قديم بحماسة هوجاء وغيرة عمياء ، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث عما ينتجه وهن تلك الأصول ، وتزعزع تلك الوطائد من انحلال الأخلاق ، وتغلب الأهواء ، وذيوع الفحشاء ، وانفتاح الطريق الى الاباحة الشنعاء ، وهى جماع الشر كله . ولا شك أن قانون بقاء الأصلح سيسرى على هذه الخلافات ، فتضمحل النظريات الباطلة ، وتسقط وتبقى النظريات الحقة ، وتعلو وسط نضال شديد بين الحق والباطل ، يتسع فيه مجال القول والكتابة لكل حاطب وخابط ، ويرقى الى مكانات الزعامات فيه كل اباحى وفاجر ، فاذا تحملت قوة الأمة الحيوية هذه الأزمة الصماء ، انفرجت عن عهد كريم يعرف فيه الحق حقا ، ويعرف الباطل باطلا ، ويكون العلم هو النبراس العام المشرق الذى ينير طريق السالكين » .

وهو يؤمن بضرورة التجدد فى الشرق « الذى يلوح لكل ذى بصيرة بالأمور الاجتماعية ان الأمم الشرقية ، وبخاصة الاسلامية منها ، فى حاجة الى التجدد فى كل شأن من شئون حياتها ، فهى فى حاجة اليه فى دينها ، ولغتها ؛ وآدابها ، وعلومها ؛ وصنائعها ؛ وطريقة تفكيرها ، وأسلوبها فى محاولاتها ، وفى كل شىء ، حتى فى عاداتها وملابسها .. فان هذه الأمم فى طليعة جميع الطوائف البشرية الى مناهل ، والصناعات قد جمدت حيث كانت مئات من السنين ، حتى تحجرت وتحجر كل شىء فيها ، فأصبحت لا تصلح

ولا لحماية نفسها من العوادى الطبيعية والاجماعية » ولا شك أن هذا الفهم العميق ، يدل على أسلوب مفكر متحرر ملتزم ، غيور على أمته ، دافع لها الى النهضة ، وهو من خلال المعارك التى دارت بعد الحرب العالمية الأولى فى العالم الاسلامى من أجل التجدد والتجديد فى تركيا ، وفى ايران ، وفى أفغانستان ، وفى مصر : يكشف عن رأيه واضحا ، ويكتب عديدا من المقالات فى موضوع « المنازعة بين الحديث والقديم » ، وفيها يكشف عن عمق مفهومه للتطور والنهضة فيقول : « ليس أمام الأمم المهددة بالفناء من مثال تحتذيه لاستبقاء وجودها الا الأمم الغربية » وعنده «ان الروح العصرية نفحة الهية لا نزغة شيطانية ؛ وعلى أنهـا وان التاثت بما لا تتنزه عنه حالة بشرية أكرم روح تولت الأمم من عهد وجودها الى اليوم » ·

وتساءل عما اذا كان الاسلام يقر هذه النزعة : نزعة الروح العصرية وأجاب : « بل نقول ، هل يعنى الاسلام هذه النزعة فانه يوجد فرق عظيم بين أن يقرها وبين أن يكون هو هى ، فان كان يقرها فحسب كان لا حاجة للنـاس اليه ، وان كان هو هى كان المتأثرون بهذه الروح مسلمين وان لم يعترفوا بذلك » وقال : ان الاسلام مثل أعلى لا يمكن أن يزاد عليه فى زمن من الأزمان ، وان الاسلام قد احتاط لأن يبقى ذلك المثل الأعلى أبد الدهر ، تحقيقا لما ورد من انه خاتم الأديان ، وصالح لكل زمان ومكان ·

وهاجم (فريد وجدى) ما عرض للاسلام ، من قيود مخـالفة لصريح كتابه ، ومدابرة لقانون الاجتماع ونواميسه ·

وخلص الى القول بأنه لاخلاص للمسـلمين من داء الجمود الذى أصيبوا به الا برجوعهم الى تقمص هذه الروح العالمية ، بعد أن يطلقوها من القيود التى قيدوها بها ، والاسراع الى بناء وجودهم

الاجتماعى والسياسى على الأصول الحديثة التى أقامها الله على الناس فى القرون الأخيرة .

وقد هاجم بعض الكتاب هذه الآراء معترضين على قوله بأن « الروح العصرية نفحة الهية » فعاود البحث محاولا توضيح رأيه فقال : « ان الباحث الشرقى كثيرا ما تحول بينه وبين ادراك جمال الروح العصرية أعراض ملازمة للحياة البشرية فيرى أهواء متبعة ، وشهوات متغلبة ، وتسلطا استعماريا ، وتحكما استبداديا ، فيسىء ظنه بالروح العصرية ؛ ولكن الفيلسوف الذى اعتاد التجربة ؛ وليس همه الا ادراك الواقع ، لا تصده هذه الحوائل عن النفوذ الى حقائق الأمور ، فيدرك أنه رغما من هذه الأعراض ، فان العناصر الأدبية التى تتألف منها الروح العصرية أرقى بما لا يقدر من كل ما سبقها فى العصور الخالية ، وأن الذى يتدبر فى العناصر الأدبية التى تتألف منها الروح العصرية يراها موافقة للروح الاسلامية » .

وأشار الى ما كانت عليه الشعوب الضعيفة فى الماضى من سخرة ، وتحكم الشعوب القوية ، وكون الناس عبيدا لحكوماتهم، وانقسام الناس الى طوائف، وأخذ الأبناء والبنات كرها ليباعوا فى الأسواق ، ولم يكن للمرأة أى حق ولا ميراث ، واستحلال الناس دماء بعضهم للاختلاف فى العقائد ، وكيف أن الروح العصرية قد غيرت كل هذا . وأن هذه الروح العصرية مستمدة من الروح الاسلامية التى أقامت كل معانى الحرية والكرامة ، وأن هذا التطور نحو الحرية والديمقراطية والمدنية انما هو منبثق من مفاهيم الاسلام ، وأن الحضارة القائمة انما هى « فى جذورها وأصولها الأولى » اسلامية .. وأن المسلمين هم الذين قاموا على علومها وفنونها ، وكان لهم دور كبير فى بناء صرحها .

وأن فهم الاسلام فهما صحيحا سيمكن المسلمين من اللحاق بهذه النهضة ، وأنه ليس فى دينهم ما يحول بينهم وبين ذلك ،

وان حرية الاعتقاد التى قام عليها الاسلام هى بعينها التى شيد عليها أقطاب الثورة الفرنسية هذا الأصل عام ١٧٨٩ (١) .

- ٢ -

الى هنا وقف (فريد وجدى) فى قضية « النهضة » عام ١٩٢٣ ، ثم مضت الأيام حتى عام ١٩٣٢ حيث بدأت معركة جديدة فى هذا المجال امتدت ثلاث سنوات كاملة وشغلت الصحف، وكان مسرحها « الأهرام والفتح والمنار » واشتبك فيها مع (التفتازانى) حول ترجمة القرآن ، ومع (مصطفى صبرى) حول الآيات المتشابهات ، ومع (محب الدين الخطيب) و (شكيب أرسلان) حول الانقلاب التركى ، ومع (رشيد رضا) حول هذه الأمور كلها.

وقد واجه (فريد وجدى) هذه المعارك فى لباقة ومرونة ، وسماحة صدر ، ولم تفلت منه الاكلمات قليلة حين ظن ان فى المعركة جانبا يتصل .. بالتشهير به أو محاولة انتقاص تاريخه ومكانته .

من أهم القضايا التى أثارها مساجلو (فريد وجدى) فى هذه المرحلة رأيه فى التوفيق بين الدين والعلم ؛ وهى المعركة التى أثارها حول آرائه : (رشيد رضا) « المنار » (مصطفى صبرى) « الأهرام » (محب الدين الخطيب) « الفتح » وخلاصة رأيه فيها أن مدار الفهم فى القرآن عند المسلمين على الدلائل العقلية لا على التسليم المجرد عن التعقل والاقتناع ، ومؤدى كلام الامام الرازى فى هذا ما نص عليه القرآن وكان موافقا لحكم العقل وظاهر اللفظ

---

(١) المنازعة بين الحديث والقديم «الأخبار» أغسطس ١٩٢٣ .

فهو « المحكم » وما كان منه مجملا أو مؤولا فهو « المتشابه » وكل لفظ لا يصح عقلا اخذه على ظاهره فلا يجوز البحث عن مراد الله فيه ، اذ لو فعل لكان مرجحا مجـــازا أو تأويلا على تأويل ؛ وهذا خبط ينافى مذهب القرآن فى وجوب التثبت وادراك حقيقة الواقع لا الوقوف مع الخيالات ·

وقد اعتبر هؤلاء الباحثون أن (فريد وجدى) يتبنى مذهبـا قوامه استحالة المعجزات والبعث بعد الموت ويبنيه على العلم الحديث الذى يقوم أساسه على الحس والتجربة ·

وقد أشار (فريد وجدى) الى أن فهمه هذا انما يصدر عن ايمان بضرورة قدرة الاسلام على مواجهة مختلف الشـــبهات التى يفرضها العلم الحديث فلا يقف أمامها أو يجمد .. وعنده ان مهمة الاسلام الكبرى فى الأرض هى أن يضع للناس كافة دستورا قوامه العقل ، وركنه العـــلم ، يوفقون به بين حاجات قلوبهم وعقولهم ، بحيث لا يصدمون فى تمشـــيهم نحو الحقيقة بعقبة تقف بهم دون مواصلة السير الى الغاية القصوى ، فلا يجد العلم فى تدريجهم اليها من الاسلام مانعا يعمل على دكه كمـا دك كل المـوانع التى حالت دونها من الأديان السابقة ·

ويرى أنه اذا كانت الانســـانية مدفوعة الى غاية بعيدة من الارتقاء بكل ما أودع فيها من قوى ظاهرة وخفية ، فان الاســلام قد جاء بدستور لايدع هذه النزعة الجبارة من الفهم أن تنـال من قدسيته منالا ، راميا بذلك الى غاية نص عليها فى كتابه غير مرة ، وهى أن يكون دين البشرية فى عهدها الأخير ، عهـــد الشـــبهات والشكوك والبحوث الجريئة والانقـلابات الأدبية والفكرية ؛ وان الاسلام بطبيعته قد شرع ليكون دينا يسع جميع التطورات البشرية الممكنة ·· فهو لذلك قد أتى بدســـتور جميع هذه الأمور ، حتى لا تصطدم به فى دور ·· من أدوارها ، وحتى يصلح لقيادتهـــا

ألفاظه حكمه الى ما يوافق دلائله ويلائم مداركه ، ليتم بالاسلام الحجة على البشر، ولا يجد أهل النظر الحروالتفكير المستقل سبيلا الى الافلات منه · ولما كان ينبوع العقائد الاسلامية هو « القرآن » فقد نظر فيه الأئمة الأولون تحت هـذا النور الساطع فوضعوا له دستورا عميقا يرضى أعصى العقول عنادا وأبعدها انقيادا ·

ويصـور (فريد وجدى) تجـربته الشـخصية ازاء عـلم الميثولوجيا « الأساطير والخرافات » الذى ظهر فى الفكر الغـربى وتنـاول الأديان وكيف كان له أثره فى نفوس كثير من المثقفين ، وكيف أن كثيرا من المفكرين فى البلاد الاسلامية من شعراء وكتاب وقفوا على هذه البحوث فسحرتهم فأخذوا يهيئون الأذهان لقبولها دسا فى مقالاتهم وقصائدهم · ثم يروى موقفه ازاءها ·

« وقد عثرنا نحن فى جولاتنا العلمية على ما عثروا عليه ؛ فكانت صدمة كادت تقذف بنا الى مكان سحيق ؛ لولا أن من الله علينا بوجدان المخلص منها ؛ وهو قوله تعالى : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات » الآية — فسجدنا لله شكرا ، وقلنا هذه مانعة الصواعق ؛ بل مانعة الغرق ، فتشبثنا بهـا وادخرناها الى وقتها · ثم أفضـينا بها الى الناس ؛ وأثبتناها فى بعض مؤلفاتنا» وعنده « أن هذا موقف منطقى لدين يعلن السلطان المطلق للعقل ؛ والدولة الخالدة للعلم · ويجرد الانسان من كل أوهامه وأهوائه ووراثياته ، ليصـل به الى باحة النظر الحر والتفكير المستقل» .ومن هنا كان اعتماد (فريد وجدى) على رأى (الامام فخر الدين الرازى) فى تفسير آية المحكم والمتشابه. ثم يقول : « نحن أمام دين لا تنال منه المحللات العلمية فيصدق فيما يقول من أنه الدين الأخير للبشرية» ومن رأيه : «اننا لا نستكين الى حكم القدر فنترك العلم يعبث به أى بالاسلام ثم يقذفه الىعالم

وتعديل عوجها . وعنده أن العلم وقد بلغ فى العهد الأخـــير من السلطان ما أكسبه قيادة العقول والأرواح معا ، فقد غفلنا عن أكبر عاصـــفة أدبية تواجه العقـائد وكنا عاملين على وضع ديننا خارج المعاقل التى أعدها لنفسه ، وعلى تعريفه مجردا من كل ســـلاح ادخره لساعة الخطر .

وهو يرى فى ظل ما بلغ بالأديان التى كانت لها قيادة العقول والقلوب فى بلاد الغرب وقد استحالت الى معابدها ، أن هذا يكفى لأن يجعلنا ندرك خطر موقفنا وأن يدفعنا الى تلمس قوانا المذخورة للدفاع عن حقيقتنا اذا كنا نعتقد انها حقيقة . أما الإســـتخفاف بهذا السيل العرم من الآراء الحديثة والمقررات العلمية التى لاتبقى ولا تذر ، فليس له الا نتيجة واحدة ، هى ان نصـــبح وقد احيط بنـــا .

ويصور (فريد وجدى) كيف واجه هذا الخطر فقال :

« لقد تنبهنا نحن لهذا الأمــر الجلل بحكمة ؛ اننا وقفنا فى نقطة تصادم العلم والدين ، وأدركنا الخطر المحدق بالحقيقة التى انتدبنا للدفاع عنهـا ، فدفعنا الشـــعور بالضـــعف الى النظر فى مذخورنا نبحث فيه ، هل بقى لنا من وسائل الدفاع عنها شىء ، فهدانا الله ونحن تحت تأثير هذا الفزع الأكبر الى ذلك المعقل المنيع الذى تتحطم أكبر القوى دونه ، ولا ينال المستعصم به خيال من أذى ؛ ألا وهو آية المحكمات والمتشابهات » .

ثم مضى يفسر منهجه فى هذا المفهوم فقال : « لقد أوحى الله القرآن فى عهد بلغ العقل البشرى فيه رشده ، وأصبح قادرا على التفرقة بين ما هو حق وما هو باطل ؛ وعلم الله أن هذا العهد سيؤدى الى تولد الشبهات ونجوم الشكوك ، فجعل مناط الاعتقاد فى دينه الأخير « العقل » ، وسمح بتأويل كل نص فى الكتاب يخالف ظاهر

الميثولوجيا « الخـــرافات » كمـا قذف بمـا سـبقه من الأديان البشرية » .

وهنا تبدو رحابة أفق (فريد وجدى) ازاء موقف الباحثين المناهضين له فى التمسك بالنصوص ·· وتبدو نظرتـه الواسعـة الانســانية التى تريد أن تبقى الاســلام قادرا على مواجهـة العلم الحديث ، دون أن يصطدم به ، أو يتخلف عن الحياة ·

٢ ــ ومن القضايا التى أثارت المعارك والمساجلات بينه وبين أقرانه ، (رشــيد رضا) و (التفتازانى) و (محــب الدين الخطيب و (مصطفى صبرى) موقفه من ترجمة القرآن ·

وقد جاء ذلك على أثر ترجمة الأتراك له ، وما اتصل بهذا من موقف الازهر ، فدعوة (الأستاذ المراغى) الى ترجمته ؛ وطرح هذه القضية على بساط البحث على أوسع مدى ·

وقد انقسم الراى بين ترجمة القرآن ترجمة كاملة ، وترجمة معانى القرآن ؛ وكان (فريد وجدى) من الذين أيدوا الرأى الأول على اطلاقه ، وله كتاب مطبوع فى هذا « الأدلة العلمية على ترجمة القرآن الكريم » ·

وقد استند (فريد وجدى) فى وجهة نظره هذه الى بعــض المصادر الاسلامية وفى مقدمتها رأى الامام أبى حنيفة النعمان الذى أقر ترجمة القرآن والصلاة بأى لغة كانت ، وقد خطأ خصومه رأيه فى أن الصــلاة تصح باللغة الأجنبية وقالوا ان أبا حنيفة انمــا أجازها لحديثى العهد بالاسلام من غير العرب أو للعاجزين عن قراءة الفاتحة بالعربية ·

وقد كشف (فريد وجدى) عن وجهة نظره فى عمق ونصاعة على نحو مستمد من سعة آفاقه ورحابة فهمه لعالمية الاسلام ، وعنده

« أن تمسك المسلمين بمنع ترجمة القرآن من أكبر العوامل فى منع الاسلام من الانتشار ، وأن جميع الكتب السماوية قد ترجمت الى كل لغة ويصلى بها الناس ، فى كل مكان ؛ ولا يمكن أن يقتنع عاقل بأن الله لا يصح أن يصلى له الا باللغة العربية دون سائر اللغات . وأن الذهاب فى تصعيب ترجمة القرآن الى هذا الحد لم يظهر الا فى القرون الأخيرة التى اشتد فيهـا جمود المسـلمين وانفصالهم عن العالم ؛ وأن دعوته الى ترجمة القرآن تهدف الى أن يقدمه للناس كافة ؛ وخاصة فلاسفة وساسة الغرب ، وأن هؤلاء ليسوا مطالبين بأن يتعلموا العربية ، وأنه ليس هناك من سـلطان يحـول دون ترجمته ، وهـل من الاسـلام أن يختص بقراءة القرآن العـرب والمتعربون وحدهم ، وهم لا يتجاوزون « خمسين مليونا » ويحرم مئات الملايين من أجناس المسلمين ؟ » .

وقد كان رأى معارضيه أن القرآن كلام بليغ الى درجة انه لا يصل فى أى ترجمة مهما دقت الى مستواه فى اللغة العربية : وأنه اذا كانت الترجمـة ممكنة على أتم الوجـوه فى كتب الطب والطبيعة والفلك والعلوم والتاريخ ، وما هو فى حكم التاريخ فانه عسير فى ترجمـة الكتب الدينية وان الترجمة قد شـوهت نقطا أساسية عظيمة فى « التوراة والانجيل » .

وكان من رأى مسـاجلى (فريد وجدى) أيضـا أن الدعوة الاسلامية لا تنتفع كثيرا بترجمة القرآن ؛ وانما تنتفع بكتابة السيرة النبوية بلغات الشـعوب ، وباعلان مبادىء الاسـلام وبيان حكمة التشريع .

ولكن (فريد وجدى) بقى على رأيه فى ترجمة القرآن كضرورة لاقبال الأمم المتمدنة على الاسلام باعتباره الدين العالمى العام وأن أصوله تتفق مع أرقى المبادىء العلمية والآراء الفلسفية .

ويتصل بهذا موقف (فريد وجدى) بالنسبة للحروف العربية ؛ وقد تعددت كتاباته فى هذا الصدد وأبدى موافقته للدولة التركية فى أخذها بالحروف اللاتينية ، مما نسب اليه أنه دعا الى الأخذ بالحروف اللاتينية ، وقد أكد (١) انه انما دعا الى اصلاح الحروف العربية لتؤدى للغةالعربية مثل الخدمة التى تؤدى بها تلك الحروف اللاتينية للغاتها « ولم أزد على ذلك شيئا » وجملة رأيه فى هذا الصدد أن علينا أن نضاعف الجهود لحفظ هذه اللغة وتسهيل الوصول اليها حتى لا يتسع المدى بين العامية وبينها فيصعب التقريب بينهما .

---

(١) مجلة الهلال (أغسطس سنة ١٩٣٢) .

٣ ـ ثورة الأتراك

أما ثورة الأتراك فقد أحسن (فريد وجدى) الظن بها باعتبارها اتجاها تقدميا لدولة من دول العالم الاسلامى ، تحاول أن تنشىء لنفسها وجودا جديدا ؛ ولكنه اعترف بأنها تخطىء المرمى . فى بعض الأمور .

يقول : « اعترف بأن الاتراك فى دورهم الانقلابى لوحظ عليهم شيء من الشطط . فتلك طبيعة الأشياء ، ولكن الويل كل الويل للشعوب الجامدة » وقوله : « ان الأتراك فى حالة ثورة لم تنته بعد ، والثورة تدفع الى كثير من الافراطات » . وكشف عن أنه لا يرضى باتجاه تركيا الى القانون الأجنبى وقال : « ان الاسلام يسع كل اصلاح يمكن تحقيقه يراد فى الشئون الانسانية، بل هو فى جوهره أرقى مثل للنظم الاجتماعية والأحوال الشخصية » .

وقد واجه (فريد وجدى) فى مجال هذه القضية مخاصمة ضخمة ، وهوجم هجوما عنيفا من (رشيد رضا) و (محب الدين الخطيب) ، و (مصطفى صبرى) و (التفتازانى) وجرى بينه وبين (شكيب أرسلان) نقاش واسع متعدد النواحى ؛ وطالت المناقشة ثلاث سنوات كاملة ، زلزل الرجل فيها زلزالا شديدا ، وأثيرت حوله الأعاصير والزوابع ؛ ولكنه كان صادقا فيما أخذ نفسه به من حق ؛ فهو غيور على نهضة العالم الاسلامى ، وقد كان من قبل داعيا « للجامعة الاسلامية » فلما تحول الموقف لم يتجمد ، ولكنه

نظر الى كل تطور وتجدد فى العالم الاسلامى على أنه طريق للنهضة ولخروج المسلمين من قيود الضعف والجمود والتأخر ، للاتصال بالحضارة الغربية ؛ معتقدا بنظرة الفيلسوف الاجتماعى أن مرحلة الاضطراب لابد أن تنتهى وتنجلى عن وضع خير من الوضع الذى كانت تعيشه فى العهد الماضى ٠

وعندنا ان الخلاف بينه وبين أقرانه هؤلاء قد صدر عن بواعث قديمة ، فان (مصطفى صبرى) كان شيخ الاسلام ، فى عهد الخلافة العثمانية المنتهية ؛ وقد جاء مصر مهاجرا ، فلا بد أن يكون خصما للحركة التركية خصومة كاملة ؛ ولا بد أن يعارض كل رأى فى أنه علامة على خير ٠

أما (رشيد رضا) فقد كان يرى (فريد وجدى) منذ قديم من حزب الوطنيين خصوم حزب (الشيخ المفتى) ٠ فلا بد أن يستمر الخلاف بينهما ، ويتجدد ، وقد كان (رشيد رضا وشكيب أرسلان) من أنصار الجامعة الاسلامية ؛ ثم تحول (رشيد رضا) الى الدعوة العربية ، وكان (محب الدين الخطيب) يسير فى نفس الاتجاه ، وكان من شأن هؤلاء على مفاهيمهم العربية الاسلامية وخلافهم (لمصطفى كمال) بعد اسقاطه الخلافة ؛ أن يقاوموا كل رأى فى تركيا الحديثة ، فضلا على رأيهم فى دعوة (فريد وجدى) الى تجديد الاسلام وهم يرونه ليس من خير علماء الدين أصلا وقد أشير الى هذا ، ولطالما تردد ان (فريد وجدى) لم يدرس علوم الاسلام من تفسير وسنة وأصول وعقائد وفقه وأن « معلوماته الدينية امشاج علقت بذهنه من مطالعات متفرقة » وان اعترف له بأنه « كاتب سيال القلم فى المباحث الاجتماعية والمدنية الاسلامية ، شديد التأثر والاعجاب بالفلسفة العصرية ومذهب استحضار الأرواح » ويهدف (رشيد رضا) بما قصد به الى الغض

من شأن (فريد وجدى) لأنه لم يتعلم على نهج الأزهر أو المعاهد الدينية ، بينما يعتقد كثيرون أن مزية (فريد وجدى) هى هذه ؛ وأنه قد استوعب كل ما يتصل بالتفسير والسنة والأصول والعقائد والفقه على النحو الذى برز فى كتابه عن تفسير القرآن ومقدمته الرائعة وفى موسوعته « دائرة المعارف » ومن خلال أبحاثه المتعددة، وأنه فى نفس الوقت استطاع أن يخلص من أسر النصوص ؛ مما فتح له الطريق الى التجديد · والاجتهاد ودفع الاسلام الى مجال الفكر الانسانى العالمى ، بتخليصه من كل ما يثار حوله من شبهات يريد بها خصوم الاسلام والدين بوجه عام ايقافه وتجميده · فضلا على أنه فتح الطريق أمام الباحثين من غير بيئات الأزهر والمعاهد الدينية ، وكسر أمامهم القيد الذى وقف فترة أمام الدراسات الاسلامية وبين قدرات أصحاب الثقافة العصرية والغربية ؛ هذه القدرات التى استطاعت أن تواجه ما يكتب المستشرقون وخصوم الاسلام والباحثون وأن ترد عليها وتدحض شبهاتها ، ولو وقف دوره عند هذا الحد لكفاه ذلك مكانا «فى مجال الدراسات الاسلامية العصرية » وهو التوفيق بين الدين والعلم ·

أما خصومة (الشيخ التفتازانى) شيخ الطريقة الصوفية فلعل مرجعها ذلك الهجوم الذى ظل يردده (فريد وجدى) الى أمثاله ممن كانوا عونا للاستعمار والنفوذ الأجنبى أمثال (عبد الرحيم الدمرداش والشيخ البكرى) وكان (فريد وجدى) قد اعتبر تعاليم « كذبة الدراويش والمرتزقة ممن يتصيدون المغانم عن طريق الدين باستغلال جهالة الشعوب » هى أحد العوامل التى أخرت العالم الاسلامى فى العصر الحديث ؛ بما حملت معها من « موجبات الإغراق فى التواكل والاستخذاء للحوادث والرضا بالدون » وقد استغل الاستعمار فى العالم الإسلامى نفوذ بعض هؤلاء من « كذبة المتصوفة والدراويش » فى سبيل دعم كيانه ونفوذه ، و (فريد وجدى) فى هذا لا يقصد الصادقين من

الصوفية ، هؤلاء الذين أشرقت نفوسهم بالايمان ؛ وكانوا هداة الى الله ، وقد حملوا لواء الدعوة الاسلامية ونشرها فى قلب افريقية ، وأسلم على أيديهم ما يزيد على ٥٠ مليونا ، و (فريد وجدى) نفسه بتفكيره وحياته ، انما كان واحدا من المتصوفة المستنيرين الذين يؤمنون بأن التصوف تربية للنفس ، وأنه يمثل فكرة التضحية للوطن والأمة والارتفاع عن طلب الأجر أو الشهرة على أرفع صور الفهم ؛ للزهد الايجابى فى الاسلام ٠

وفى هذه الفترة أيضا « ١٩٣٢ ـ ١٩٣٥ » وفى معارك هذه القضايا أثيرت مسألة اللغة العربية وحروفها ، وكان لفريد وجدى رأى جرىء فى الحروف العربية ، لعل مصدره ما اندفع اليه من ايمان بترجمة القرآن ورضا عما اتجه اليه الأتراك من تحرر من الحروف العربية ، باعتبار أن اللغةالتركية قريبة الى اللغات اللاتينية أكثر من قربها من اللغة العربية؛ وأنها بتحولها الى الحروف اللاتينية قد أصبحت سهلة فى التعلم سهولة لا حد لها ، غير أن هذا الرأى لم يدفع « فريد وجدى » الى تيار الدعوة التى جرت فى مصر زمنا بتحويل حروفها الى اللاتينية وانما قصر دعوته الى المطالبة باصلاحها على النحو الذى يمكنها من أداء المعانى على نحو أكثر يسرا ٠

ـ ٣ ـ

أما المرحلة الثالثة فى هذه القضية فقد جاءت فى خلال الحرب العالمية الثانية ، ولم يكن (فريد وجدى) اذ ذاك فى تحديات معركة ما ؛ ولكنه كان يجيب على سؤال للهلال من بين تساؤلات كثيرة كانت تبحث عن مستقبل الشرق والعالم الاسلامى والعربى بعد الحرب ٠ وكان السؤال هو :

« هل يصلح الشرق لخلافة الغرب على الحضارة العالمية ؟ »
وكان رأى (فريد وجدى) صريحا غاية الصراحة ، هو فى كلمة :
ان الشرق لا يصلح لخلافة الغرب ما دام متورطا فى تقاليده .

ويبدو أن (فريد وجدى) كان قد أحس بشىء كبير من القلق ؛ حينما رأى أن الثورات التى مرت بالعالم الاسلامى بعد الحرب العالمية الأولى لم تحقق شيئا ، وأن الشرق قد عاش سنوات مجهدة من الكفاح ، والنضال ؛ من أجل الحرية ، وأنه ثار فى كل مكان دون أن تحقق ثورته شيئا ، وأن الأنظمة التى قامت بين الحربين ١٩١٨ ــ ١٩٣٩ لم تحقق شيئا يمكن أن يوصف بالنهوض ؛ فهو يقول :

« الشرق ليس مجردا من وسائل النهوض فحسب ، ولكنه متمخض روحا رجعية لا تؤهله لخلافة الغرب بعد الحرب لو قدر عليه فناء حضارته وعلومه ، ولا تدعه يقف حيث هو ، فضلا على أن يتقدم خطوة ، فاذا أراد أن ينهض وجب عليه أن يتجرد أولا من الحالة النفسية التى لاتنى تدفعه الى الوراء . أما والشرق على ما هو متورط فيه الآن من النفسية السقيمة والتقاليد الضارة ؛ فلا يعقل أن يخلف الغرب فى رسالته ، حتى ولو أصبحت مدنيته وثقافته وصنائعه خبرا من الأخبار ، لأن ما فى الشرق من الاوث ذاتى فيه ؛ لا معكوس عليه من الخارج ، فلا أخاله ينتفع بتفرده بالبقاء ، وربما زاد انحطاطا لأمنه من العدوان الخارجى » .

ومضى (فريد وجدى) يشرح وجهة نظره هذه فقال : نحن لا نقصد من القيود التى تعطل الشرق عن النهوض ما يفهم بعضهم من الخلاص من كل ما يربطه بماضيه ؛ فمن لم يكن له ماض فلا يكون له حاضر ، ولا يكون له مستقبل ؛ ولكنا نقصد منها ما ترسب فى كيانه من عادات وتقاليد وأوهام ليست من دينه القيم . ولا من حكمته المأثورة ، ولا من تقاليده الكريمة ، وهو اليوم

يحسبها منها ويتشدد فى تمسكه بها ، فاذا حاول علاجه من ناحيتها « مصلح » اتهمه بالخروج عن الدين والدعوة الى الالحاد .

وعنده ان هذه الحال من الرجعية أدت تحت تأثير الثقافة العلمية والفلسفية الحديثة الى نشوء «جيل» أملس من كل ما يمت الى الشرق بسبب ، وحاول أن يلحق بأهل الغرب فلم يفلح فانقطع عن القافلتين المتقدمة والمتقهقرة ؛ فوقف حائرا لا يهتدى الى مذهب .

وهو يرى فى مجال النهضة : « أن الانتقال الاجتماعى لا يكون الا عقب ثورة فكرية ، هذه الثورة الفكرية مختمرة فى الرؤوس ، ولكن يعطلها عن الاثمار ، رياء مستعص ؛ وهو من العيوب الشرقية الشديدة المراس ، فكل ثائر على ما هو موجود يتحاشى أن يجاهر برأيه ، لكيلا يتهم بالزيغ عن عقيدته . أو بالعقوق لقوميته . فهو يريد أن يقوم بنصيبه من نعرة الاصلاح . ولكن بشرط الا يلاحظ عليه شذوذ عن الجماعة فهو يدارى دهاءها ؛ عامدا فى نشر مبادئه الى طريق الدرس لا المصارحة ، فيجنى من وراء ما يفعل شرا مما يخشى منه من سوء القالة وشناعة الأحدوثة » .

وما يقوله (فريد وجدى) ينطبق على الروح الفكرية التى كانت سائدة فى مصر والشرق عام ١٩١٠ ، ويمضى (فريد وجدى) فى تصوير حقيقة النهضة الفكرية فيقول : ان النهضة « الفكرية » لا تجدى الا اذا تعينت حقيقتها وسطعت أدلتها ، وباشرت الكفاح علنا لتحل المبادىء الصالحة محل الحالات النفسية الضارة ؛ فاذا لم يحصل هذا ازداد داء الأمة استعصاء بما تنشئه من نفسيات متلونة وارادات مترددة . وكيف يعقل نشوء اصلاح ولم يقم وراءه راى عام يسنده ، ويؤيده ، وهل يتأتى قيام هذا الرأى العام تحت ستار هذا الرياء الذى لا معنى له غير مشايعة الدهماء فى باطلهم ؟

ويصل (فريد وجدى) الى ما يريد أن يقول من أن النهضة الفكرية القائمة ــ اذ ذاك ــ تتسارع الى نزعة الهدم مجردة من نزعة البناء ، وذلك لا ينطبق فى رأيه على مفاهيم سنة الاصلاح فى الجماعات التى ترى « أن لا تهدم من أساسها ثم تنشأ من جديد ؛ ولكن أن تهدم منها ما تداعى الى السقوط مع ابقاء الأجزاء الصالحة للبقاء قائمة ، لكى لا تجد الجماعة نفسها فى العراء فينحل وجودها وتفنى فى أجساد أمم أخرى » .

ويرى (فريد وجدى) أن من عيوب النهضة الفكرية المقنعة التى عايشها فى ظل الحرب العالمية الثانية فى مصر والعالم الاسلامى كله « أنها تبقى على تطرفها بل تزداد ابغالا فيه كلما طال عليها الأمد » وعنده « أن الذى تعيش به الجماعات هو الاعتدال لا التطرف » .

ثم يخلص (فريد وجدى) الى القول بأن القائمين بهذه النهضة الفكرية يتناقضون بين ما يدعون اليه وما يعيشون فيه « فاذا تسنى لواحد من الدهماء أن يشهد حياة بعض هؤلاء رأى مبالغة فى السرف ، واغراقا فى الترف ؛ وامعانا فى اللهو ؛ فتصادمه الاباحة فى جميع مظاهرها ، دون أن يلمح للفضائل المؤثرة فى النفس أثرا ، وهنا يسوء الرأى فى كلمة « التجديد » ويعتبرها سبيلا الى اضاعة الوجود الاجتماعى اضاعة لا قيام لها » .

ولكن (فريد وجدى) « وهو يصور الجيل المفكر الحامل للواء النهضة فى هذه المرحلة على هذا النحو » ليس متشائما يقول : « لست من المتشائمين ، وخاصة فيما يتعلق بحياة الأمم ، فان فى صميم الطبيعة الانسانية ضروبا من النزعات تظهر فى أشد الأدوار خطرا على وجودها فتدفعها فى سبيل الحياة دفعا عنيفا ؛ فتأتى بما لم يكن يدور فى خلد أكثر أبنائها تفاؤلا » .

وقد صدق (فريد وجدى) فى استنتاجه ، فكان ما وقع بعد الحـرب العالمية الثانيـة من يقظة وثورة وتحـول خطير فى عالم السياسـة والاقتصـاد والاجتماع فى مصر والشرق ، ولو بعث (فريد وجدى) اليوم لغير رأيه ولآمن بأن الشرق يستطيع « أن يخلف الغرب » .

٣ ـ معارك الأدب وقضاياه

١ – عرف (فريد وجدى) بسمت واضح ، هو طابع المفكر ؛ الباحث ، الموسوعى ؛ ومن هنا لم يشارك فى خضم السياسة أو الأدب فى فترة ما بين الحربين وما بعدها ، غير أن هذا لم يمنعه أن يشـــارك فى قضايا الأدب ما اتصلت بدراساته الاجتماعية ، وأبحـاثه المتصـلة بالعرب والاسلام والقـرآن ؛ ومن هنا كانت مراجعاته لثلاثة أعمال كبرى هى : الشعر الجاهلى لطه حسـين ؛ والنثر الفنى لزكى مبارك ؛ وثورة الأدب للدكتور هيكل .

وغاية ما يريد (فريد وجدى) أن يصل اليه هو تعيين الحدود بين الفكر والأدب ، واقامة معالم الأدب كقطاع من قطاعات الفكر والثقافة « ذلك أن هذا المجال من مجال النشاط العقلى قد أصبح دون حدود حتى اعتبر عند بعضنا موسوعة لعلوم الأولين والآخرين، ووسع من اختصاص أهله حتى عدوا فوق الاخصائيين ، وعنده ان هذه حالة تأباها طبيعة الأشياء « فأصبح هذا الفن والحالة هذه فى حالة ماسة الى تعيين دائرته وتمييزها عن سواها ، فما أضر بثمرات العقول شىء أكثر من تداخل اختصاصاتها ؛ وعدوان بعضها على بعض » ومن هنا فلا بد أن يوضع التوازن العلمى . ذلك أن الأدباء بطبيعة تفردهم بالكلام واستئثارهم بأدوات النشر يدفعون الى الافتئات على حقوق سواهم من حملة الأمانة العلمية .

هذا هدف ، وهدف آخر هو تصـــحيح ما يتعلق بالتاريخ والاجتماع مما يتصل بآراء الأدباء ·

وهو بعد ذلك سمح كريم ، يواجه مساجليه الثلاثة بالرفق والذوق ، وهم فى درجة تلاميذه ، فلا يعرض لهم بما يوقع الحرج أو يظهر الاستعلاء ·

ويبدأ بحثه دائما بعرض أمين للنصوص التى يناقشها ؛ ثم يقفى عليها بالرأى ·· ففى مناقشته لكتاب (الدكتور طه حسين) « فى الشعر الجاهلى » الذى أثار جدلا وخصومة وعنفا ، يقول : « رأيت فيه أخطاء اجتماعية وسيكولوجية وفلسفة لايصح السكوت عليها ؛ وألفيت الدكتور لاضطراره الى تقييد الأسباب التى حملت ذوى النفوس على اختلاق الشعر ونسبته الى الجاهلية قد عول على كتب المحاضرات وهى قرارة الأكاذيب ومستنقع المفتريات من كل نوع ، فجاء كتابه بما حمل من أوزار المفترين ، وبما غلا فيه من تقصى اغراءات المتناظرين وتسويلات المتنافسين ؛ من القادة الأعلين، طامسا لمعــالم أكبر ثورة اجتماعية حــدثت فى العالم ؛ ألا وهى ظهور الديانة الاسلامية ، وما استتبع انتشارها من سقوط دول وقيام دول، وفناء لغات وشعوب، وطروء عهد جديد على الانسانية انتقلت به درجات كثيرة فى معــارج العلم والفلســفة والأخــلاق والعمران » ·

ثم يستطرد فيقول : « لا ندعى أن الدكتور قصد تشويه جمال الثورة الاسلامية الكبرى فى كتابه ولكنه بغلوه فى تحرى أسباب الاختلاق ، على الجاهليين ، التقط من كتب المحاضرات جميع ما فيها مما يتعلق بالاختلاق » ·

ثم يشير الى ارتباط (الدكتور طه حسين) بمذهب ديكارت فيقول : « لم يسر فى ذلك على ما يقضى به عليه مذهب ديكارت من

النقد والتمحيص ، بل وثق به ثقة مطلقة حملته على اصدار الأحكام جزافا فى تركيب المسلمين الأولين وتأليف مجتمعهم بما لا يتفق وأثر الثورة التى قاموا بهـا فى عالم الاجتماع والعلم والمدنية ؛ ولا يتلاءم وما اعترف به عنها خصومها ومناظروها قديما وحديثا .

فبينما علماء الغرب لا يتمالكون أنفسهم من الدهش من قوة الحركة الاجتماعية التى انبعثت من بلاد العرب فجأة فرجت العالم كله رجات أذهلته عن كـل شىء عنها ؛ ولا يزال دويهـا يرن فى آفاقه ، ويصعب علينا ان نرى واحدا منايضع كتابا لغرض قليل الخطر وهو اثبات ان الشعر الجاهلى مختلق ، يكون اثره على قارئه؛ أن يحتقر هذه الثورة الكبرى ، ويستخف برجالها الذين أخـذوا حظا فى تمثيلها ، والاضطلاع بأعبائها ، واذا كان الانجليزى يفخر بأن آباءه كانوا أول من فكر فى وضع حد لحكم الفرد ؛ أو كان الفرنسى يفخر بأن أسلافه أول من فكر فى تعيين حقوق الانسان الطبيعية ؛ فهلا يفخر المسلمون بأن أوائلهم كانوا بايعاز من دينهم أول من أعلن للناس كافة بأن الانسانية بلغت سن الرشد ، وأنها أصبحت لا يصح أن تخضع لطوائف تنتحل لنفسها حق الوصاية عليها ؛ وأن السلطان للجماعة لا للفرد ، وأن المعول على العقل لا على الموروثات ، وأن الايمان بالدليل لا بالتقليد ، وأن التمايز بالمزايا لا بالجنسية ولا بالقومية ، وان الحكم بالشورى لا بالاستبداد ؛ وأن الدين هـو الفطرة التى فطر الله النفوس عليها ؛ لا الرسـوم ولا الأشكال التى يزينها الوهم ، ويولدهاالخلود ، وأن أصل كل الأديان واحد ، وما فرق الناس شيعا وأحزابا الا قادتهم بما صوروه لهم من الأباطيل ، قلت فهلا يفخـر المسلمون بهذه العـراقة فى الأصول العالمية مع الفاخرين ؟ ويتحققون ان لهم أكبر أثر فى ترقية الانسان مع العاملين » وهكذا يمضى (فريد وجدى) فى مناقشـة (طه حسين) على هذا النحو من السماحة والعمق ؛ ولا يتردد فى

أن يقول : « فالله أرجو أن يكون عملي خالصا من شوائب المــرارة والممـــاراة » .

وقد أشار الى انه يناقش المسائل التى تتعلق بتكوين الأمة الاسلامية ولا يتفق حكمه فيها والمقررات التاريخية ولا الأصــول الاجتماعية ويرى الأغضاء عنها ضارا كل الضرر بنابتـــة هـــذا الجيــل .

وأشار (فريد وجدى) الى أنه : « ان كان المنهج الديكارتى منهجا فى البحث عن الحقائق ، فان للقرآن منهجا يسمى بالمنهج القرآنى » ثم مضى يكشف عن نصوص منهج ديكارت وما يقابلة من نصوص منهج القرآن ؛ الذى سبقه بأكثر من ألف عام ، ويخلص الى أن منهج القرآن يبز منهــج ديكارت ويزيد عليه عمقا وســعة « فلا يكون محــل لطلب الدكتور أن ينسى المســلم دينه فى أثناء البحث عن الحقيقة ، فان دينا يخوله كل هذه الحركة فى البحث ؛ ويخوفه كل هــذا التخويف من الوقوع فى الباطل ، جــدير بأن يجعله دستوره فى كل ما يتصدى له من أنواع العلم ، انما يخشى من تأثير الدين على مثل هذا البحث وهو الأدب اذا كان من الأديان التى تعاكس حرية البحث فى أصول الجماعات وفى درجاتها فى الارتقاء ؛ وفى مكاناتها بين الأمم » .

ثم يصل الى قمة الموقف حين يقول « أصبح يعز على المعاصرين ان يجعلوا للدين أو ما يتصل به سلطانا على مناهجهم العلمية ، ونحن نعذرهم فى هذا الشعور ، لأنهم لا يعرفون الاسلام ولا يدرون انه سن منهاجا للبحث عن الحقائق ليس وراءه مرمى » (١) .

٢ — أما (الدكتور زكى مبارك) فقد نشر فى البــلاغ عام ١٩٣١ فصـــولا من أطروحتــه « النثر الفنى » أثارت كثيرا من

(١) الرد على الشعر الجاهلى ، لفريد وجدى ١٩٢٦ .

المناقشات والمساجلات ؛ وقد تعرض (فريد وجدى) لهذه الأبحاث على طريقته ووفق سمته ؛ حتى اضطر (الدكتور زكى مبارك) وهو الجدل اللجوج الى أن يقول فى رده عليه : « لا يسعنى الا اسداء الثناء للأستاذ وجدى على اسلوبه فى الجدل ، ذلك الاسلوب المهذب من شوائب الغرض والعناد ، وتلك سجية عرفناها له منذ أمد بعيد » ٠

وموضع الخلاف بينه وبين مبارك أمران :

أولا : قوله انه كان العرب قبل البعثة المحمدية أمة وصلت بعد تطورات عديدة الى الصلاحية للملك فلما جاء النبى عليه السلام نهض بهم فنهضوا ووجههم الى الفتح والسيطرة فوصلوا بعد زمن قليل الى ما كان يريد ، يقول (الدكتور مبارك) نعم ونقول نحن : لا ٠

ان قريشا وهى أرقى القبائل لغة وفهما ومكانة لم تقبل دعوة النبى الا رجالا ونساء لا يربو عددهم على بضع عشرات وان اتباع النبى الأولين اضطهدوا اضطهادا شديدا حتى هاجروا الى بلاد الحبشة ؛ وان النبى لبث على هذه الحالة من الاضطهاد ، ثلاث عشرة سنة ، فلما أنست قريش من النبى الهجرة اعتزمت قتله وأرصدت له ؛ ولما علم أهل مكة بافلاته اقتفوا اثره ؛ كل هذا ينطق بلسان فصيح ان قريشا وهى مظنة النجابة والفهم من العرب فى ذلك العهد لم تكن قد استعدت للملك فان المجتمع الذى يقاتل الداعى للتجديد والنهوض بهذا النفوذ ويصر عليه ثلاث عشرة سنة لا يزداد بعدها الا عنادا وتشددا ٠

هذا المجتمع الذى يقاتل الداعى بهذا النفور العظيم وينتهى أمره معه الى الخضوع له كرها لايعتبر انه استعد لاقامة دولة ، فلو ترك وشأنه لبقى على ما كان عليه ولو ان قريشا وهى أقرب

العرب الى الحضارة قابلت دعوة (محمد) بصدر رحب ، وأحلتها المكان اللائق بها ونهضت تحت قيادته لجمع كلمة القبائل وابطال وثنيتهم لساغ ان نقول : ان (محمدا) لم يعمل أكثر مما يعمله البناء ، وجد أحجارا منحوتة ، ومواد جاهزة ، فأقام بهـــا قصرا فخما ، أما وقد أراد أن يجعل محمـــد مركز دعوته « يثرب » التى تسكنها الأوس والخزرج ؛ وهما من مهاجرة اليمن ، وليس لهم أقل ميزة بين العرب ، ولم تكن لهجتهم بالفصيحة المنتخلة ، ولا جماعتهم بذات القوة والمنعة . بل كانوا أسوأ ما يكون عليـه قبيلتان من التناحر وتنازع البقاء ؛ أما وقد أراد الله أن يتخذ محمد رجال هاتين القبيلتين أنصارا لدعوته ومدينتهم عاصمة لدولته ، بعـد أن خذله أقوم العرب لهجة . وأقربهم للنهوض مطية . فقد أمكن كل ناظر أن يقدر عظمة روحه العلوية؛ اذ تولت أبعد القبائل عن مظنة التأهل للنهوض ، وأقلها وسائل لتقويم أودها ، فصاغ منها نواة تصلح أن ينجذب اليها مواد البناء والاكتمال وان تحييها وتخرجها من جمودها القديم. وان تؤلف فيها مجتمعا فتيا مملوءا حياة وقوة، يصلح للقيام بنفسه ، ولاحداث أكبر حدث فى العالمين . ان هذه الآية من آيات التاريخ البشرى لا تسمح لباحث باسم الاســـلوب العلمى ان يتجاهل أمرها ، ان الحياة البشرية لا يصـح ان ينظر اليها الباحثون بالعين التى ينظرون بها الى التاريخ الطبيعى ، غـير حاسبين حسابا لخصائص الروح الانسانية، ولايجوز لهم أن يكفوا عن ان فى حياة بنى آدم حوادث تشذ عن القوانين الفولاذية للطبيعة التى حددناها بعقولنا على قدر معلوماتنا الضيقة .

ثانيا : يقول الدكتور مبارك ان العرب كان لهم نثر فنى ويرجح أنه كانت لهم علوم آلية طوتها الأيام ، ويســتدل على ذلك بظهور القرآن فيهم ، فانه لا يعقل ان يظهر كتـــاب كالقرآن له أهميته وبلاغته بين قوم لم يفكروا فى الفصاحة والعروض والنقد وطرائق التعبير . وظهور أى كتاب فى أى لغة يدل على انها تعدت

طور الطفولة منذ أزمان ، واللغة حين تصل الى عهد القوة والفتوة لا تخلو من باحثين يهتمون بتقييـــد ما يعـرض للأســاليب من القوة والضعف ، والوضوح والغموض ..

ويرى (فريد وجدى) :

ان (مبارك) انما يعتمد فى هذا الرأى على القرآن ، ولولاه لما استطاع ان يصل الى مثل هذا الترجيح ، ولا الى ما يقرب منه لأن القرآن هو الأثر المكتوب الوحيد الذى وصل الينا عن العرب فى عهد جاهليتهم ، هذا كله حق ، يقره (فريد وجدى) ولكن .. هذا الكتاب « القرآن » عرض على الأمة العربية باعتبار أنه جاء عن طريق الوحى يفوق القوة البشرية ، وعلى انه الآية الخالدة للرسول الذى دعا لاحداث أكبر انقلاب سجله تاريخ الانقلابات فى المجتمعات البشرية ، وكان من أثره قيام دولة وسقوط أخرى ، وتغير ذريع فى خريطة الممالك الأجنبية ، وقد صرح الكتــاب نفسه باعجازه واستحالة معارضته ، فاذا لم يكن هذا الكتاب غريبا فى أســلوبه ونظمه ومعانيه لدى الأمة التى أنزل اليها على الأقل ، كان هــذا التحدى نفسه موجبا للسخرية ، ويصبح أعظم عقبة فى ســبيل انتشار الدين الجديد ، فاعتبارنا هذا الكتاب على ما فيه من آيات البلاغة ومعجزات الصياغة ومحكمات الأصول معيارا لما وصلت اليه اللغة العربية من الارتقـــاء مع وجود التحدى فيه ، وثبوت عجز المعاصرين له عن معارضته ، ثم خضوعهم له واعترافهم بهذا الاعجاز جيلا بعد جيل لا يلتئم والأسلوب العلمى فى شىء ، وهو أول دليل على أن هذا الكتاب كان ولا يزال معجزا حقا ، وأنه قد كتب على أسلوب لم يكن معروفا عند العرب الأولين ؛ ولو ســاغ لنــا ان نســـتدل بوجود القرآن على ان اللغة بلغت فى عهده أوجهـا عند الجاهليين ، فلم لا يسوغ لنا أن نستدل من ابراء (عيسى) للأكمه والأبرص ومن أحيائه للموتى على ان صناعة الطب وما تقوم عليه

من العلوم وخصوصا علم الحياة قد وصلت فى عهده الى الأوج ، وكانت أعمال عيسى مثالا منها ، ودليلا محسوسا عليها ، فالاستدلال بسمو عبارات القرآن وبالصياغة المحكمة المتلالئة فيه ، على أن النثر الفنى عند العرب كان قد وصل الى هذا المدى أو ما يقرب منه يعتبر استدلالا معلولا لأن سلامته تتوقف على حل مسألة النبوة ، وهى من أعوص المسائل الفلسفية ٠

٣ ــ فاذا عرض (فريد وجدى) لكتاب ثورة الأدب (للدكتور هيكل) فإنه يتخذ نفس أسلوبه ومنهجه ينقل النصوص بأمانة ، ثم يرد عليها فقرة فقرة ، وهو فى مناقشة هيكل يحاول ان يخضع الأدب للتعبير الدقيق ، محاولا ان يخرجه من فوضى الاطلاقات الخيالية ٠ وهو يؤمن بأن الثمرات الأدبية يجب أن تتناول بحذر، يقول : « أى مولدات الخيال غير الأدب يستطيع ان يخرج ثلاثة أرباعه بضاعة زائفة ، ظاهرها أنيق ، وفى باطنها اسم الذى لايبقى ولا يذر ، دفع كاتبيه الى تصيد الرزق بالتملق لأخس شهوات النفس وتناسى التبعة الملقاة على عاتق كل لعوب بالقلم » ٠ ويصل من هذا الى أن للأدب امتيازا خطيرا ، منحه اياه العرف البشرى منذ نشأته ، ولا يزال يعترف له به الى اليوم وهو تركه حرا يجول حيث شاء ، ويجرى وراء الخيال فى أى باحة أراد ، فبينا نرى الناس واقفين بالمرصاد للفلاسفة والعلماء يحاسبونهم فيما يقولون ويكتبون ؛ نراهم ازاء الأدباء على أتم ما يكونون من التسامح ، فهم يسيغون منهم كل المتناقضات ، جدهم وهزلهم ، تصونهم وتهتكهم ، اعتدالهم وغلوهم ، حتى الحادهم وكفرهم ؛ ثم يقول : «لسنا نميل الى ان نشير بالحد من هذه الحرية ، فان هذا الفن لا يمكن أن يؤتى ثمراته الا فى جو من الاطلاق المحض ، متحللا من جميع القيود الفلسفية والعلمية ، لأن من عناصره الخيال، والخيال ان حد بحد ضاقت عليه المنادح ، وفقد أخص مزاياه ، فارتج على الأديب ولم يعد قادرا على الانتاج » ٠ غير أنه يرى ان بذل هذه الحرية للأدباء

قد حشر فى زمرتهم كل ثرثار مغمور ، وكل متكلف مغرور ، وكل اباحى وممرور ، ومتهور وعاهر ، ممن جعلوا الأدب مسرحا لأخس الرعونات النفسية ، وداعيا الى أحط الميول الشهوانية ٠ وعنده ان هذه الحرية نفسها كفيلة على مر الأيام بتهـذيب الأدب وتنزيهه وايصاله الى كماله فى مستقبل الزمان .

وأبرز ما تعرض له (فريد وجدى) هو خطر التداخل بين دوائر النشاط العقلى المختلفة وكف عدوان بعضها عن بعض ومحاولة تحديد « دائرة الأدب » يقول :

« لسنا ننسى ما جره تدخل الأدباء فيما ليس من اختصاصهم فى العشر السنوات الأخيرة فى المباحث الدينية ؛ فقد تناولوها على طريقة الماديين ، وأثاروا فيها شكوكا لا محل لها فيها لو كانوا عنوا بدراسـتها دراسة علمية ، (ذلك) أن الأدب لو تجـاوز دائرة اختصاصه لكان أداة شر فى يد محترفه ٠ وفصل بين الأدب الصغير الذى يعمل على ارضاء النفوس والشهوات ، وبين الأدب الكبير ؛ ثم خلص الى القول بأن الأدب يجب ان يدخل فى دائرة حراسـة المجتمع ، وأن علينا ان نبنى على الأسس العلمية واللغوية والفلسفية والتشريعية لأسلافنا عن طريق الحكم لا التجرد ، وأن الأدب الأوروبى يفعل ذلك ويحمل أسس اليونان والرومان الفلسـفية والعلمية والشرعية واللغوية . وعنده انه لابد من التحوط من الفناء فى جثمان الأمم الغربية ٠

٤ ـ معركة العبقرية

انتشرت كلمة « العبقرية » اليوم ، وأصبحت ذات مدلول واضح ، وصدرت دراسات مختلفة ربطت العبقرية بالأعلام وبالانبياء، ترددت أقوال تحاول ان تنزه الأنبياء المرسلين عن أن يوصفوا بالعبقرية ، هذه الكلمة المستمدة من (وادى عبقر) الذى وصف بأنه يخرج الجن .

والواقع أن بلوغ الفكر العربى المعاصر الى فهم واضح للعبقرية اليوم ، لم يكن كذلك منذ ثلاثين عاما حينما كتب فريد وجدى عن العبقرية واصطرع من أجلها مع (أمير بقطر) وأمير بقطر باحث له وزنه وكاتب له دراسات وكتابات مختلفة فى مجال الأدب والعلم والتربية .

ولقد طال الجدل بين الباحثين حول مفهوم العبقرية ، وامتد على صفحات الهلال طوال النصف الأول من عام ١٩٣٥ ، وانتهى بحصيلة ضخمة لهذه الدراسة الجديدة فى اللغة العربية ، حملت (فريد وجدى) على أن يقول انه وفق لأن يبنى للعبقرية فى اللغة صرحا مدعما علميا يناسب كرامة هذه الموهبة الفذة . ثم جاء تلميذه العقاد فانشأ العبقريات لعدد من أعلام الفكر والاسلام .

ولقد كان من رأى (فريد وجدى) أولا ان العبقرية موهبة

غير مكتسبة تظهر مخايلها منذ الطفولة الأولى ، فلا تزال أصولها توجه عبقرية الطفل ونفسيته الى ناحية السمو حتى يكبر فيصبح واحدا من الأفذاذ من غير تكلف ، وقد لاتشاهد فى طفولة العبقرى مخيلة نجابة ، فيقطع أدوار حياته الأولى وسطا بل أقل من الوسط ، فلا يلبث بعد اكتمال السن وتمام النضج أن تظهر فيه سمات العبقرية ، ويبرز فيها على المطبوعين عليها • وقد شوهد أن العبقرية المبكرة قد لا تتابع سيرها فتقف ويصبح صاحبها رجلا عاديا ، وعنده أن أخص صفات العبقرية : الابتكار والابداع ، فالعبقرى مجدد بطبعه ، لا يقف من هذه المعضلة عند حد ، فهو يدرك الأمور على أكمل وجه ، فيجىء التصور فيفتح أمامه وجوه السير بها على أفضل مما هى عليه . وعنده انه لادخل للتربية ولا للوراثة فى العبقرية • وان الادمان على البحث وسعة الاطلاع على ثمرات العقول واجادة الروية فى المسائل كلها أسباب طبيعية للنبوغ • وأشار (فريد وجدى) الى ان علماء النفس قد تلمسوا الصفات المعينة للعبقرية فوجدوا انها عقل عال تخدمه ارادة قوية وقد جعلوا بين العبقرية والجنون قرابة ، والمراد من الجنون الخروج عن المألوف فى بعض الأمور ، وان هذا الانحراف أمر لا مناص منه ، ما دامت العبقرية حالة غير عادية فهى أشبه بتضخم عقلى • والتضخم كالضمور من شأنهما الاخلال بالتوازن على كل حال ، وقد شوهد عباقرة كبار ليس لديهم أقل اختلال للتوازن العقلى .

وعنده ان أكثر العباقرة المتقدمين خرجوا من بيئات جامدة ، وهو يعلل ظهور العبقرية متأخرة ، بأن الادمان على البحث وسعة الاطلاع هى من ثمرات العقول وأن اجادة الروية فى المسائل كلها أسباب طبيعية للنبوغ، ولكن العجب فى ظهورها مبكرة فى انسان لا يكون فيها الانسان قد تأهل لأى أمر يحتاج الى تفكير جدى •

وتصدى الأستاذ (أمير بقطر) للرد فقال : انه يعترض على ما أخذ به فريد وجدى من أن التربية وهى من أهم عوامل البيئة

لا توجد العبقرية وقوله بأن العبقرية غير مكتسبة ، ووصف بقطر العبقرى بأنه الكامل فى كل شيء واصطلاحا الذى يبلغ رقم قياسه بحسب اختبارات الذكاء فوق المعتاد .

وعاود (فريد وجدى) البحث مراجعا فقال : ان أمير بقطر كتب عن العبقرية بمعناها العامى الشائع على السنة الناس على أساس أنها الذكاء « الذى يوصف بأنه ١٦٠ أو ١٨٠ درجة فما فوقها » فقال : انها تأتى عن طريق الوراثة وأنها تحصل من تأثير التربية وانها تظهر فى واحد من مليون ، ومعنى هذا انه على سطح الأرض الآن ما لا يقل عن ألفى عبقرى لأن مجموع أهلها يبلغون ألفى مليون . وقال : لقد جر الأستاذ أمير الى هذا ظنه ان العبقرية هى الذكاء المفرط كما تفهمه العامة ولذلك أجهد نفسه فى مراجعة ما كتب عن الذكاء فى المؤلفات وأشار الى رأى دائرة معارف (لاروس) فى « العبقرية » التى وصفتها بانها من الكلمات التى تستعصى على التحديد ، وانه لا يوجد تحديد مضبوط لها ، وعاود (فريد وجدى) تصوير رأيه فى العبقرية فقال : انها هبة الهبة ثمرتها فوق القدرة البشرية ، يمنحها الله لبعض الأفذاذ لتبرز على ألسنتهم أو على أيديهم أمور لايستطيع العقل البشرى أن يستقل بايجادها . ولما كانت العبقرية عند أمير بقطر هى درجة راقية من الذكاء ، كان مما لا شك فيه أن يعزو صدورها للوراثة أو التربية العلمية . وله العذر ان يخلط بين الذكاء والعبقرية ، ولكنه ليس برأى العلم على وجه من الوجوه ، وأعاد القول بأن العبقرية موهبة غير مكتسبة تكون مهبطا للالهامات يمنحها الله لبعض الناس من غير طريق الوراثة والتربية .

وأشار (فريد وجدى) الى أن المرسلين الذين صاغوا الأمم وطبعوا نفسياتها وعقلياتها بطوابعهم كانوا عباقرة فى الاصلاح العلمى المعروف ، فانهم جميعا ولدوا رجالا عاديين ولم تظهر فيهم هذه الخصائص العالية الا بعد الأربعين .

وعاود (أمير بقطر) شرح وجهة نظره فى العبقرية فقال ان (فريد وجدى) يتكلم عن العبقرية من الناحية الفلسفية غير العلمية، وأن العلماء لا يعدون الميتافيزك meta physique علما ، فقد يضع الفلاسفة الذين يعتقدون فى هذه الميتافيزيك مؤلفات ضخمة فى الروح والأبدية والالهام والضمير ، والفكر ، غير أن المشتغلين بالعلوم الطبيعية لا يستطيعون أن يفهموا هذه الأمور بالطرف الملموسة ، فالالهام عندهم ضرب من الانتاج منشؤه طارىء أو حادث عظيم الأثر ؛ فاذا قلنا ان فلانا (ألهم) قصيدة فان ذلك عندهم منشؤه طارىء أو حادث عظيم الأثر ، أو انفعال وقتى مفرحا كان أو محزنا ، وما الضمير والعقل والروح سوى أسماء معنوية لشىء واحد هو التمييز ، وقال (بقطر) : ان كلام الفلسفة ـ شىء وكلام العلم شىء آخر ، فالارادة والعقل والنفس والضمير ، والحقيقة والخطأ والمشاهدة تختلف فى بحوثها عند الفلاسفة عنها عند العلماء كعلماء النفس الذين يعتقدون ان العقل والنفس والضمير كلمات خيالية لا وجود لها فى عالم الحقيقة ، ولا تدل على معنى واضح على الاطلاق . وقال ان الفكر عندهم مثلا هو التكلم بصوت مسموع وان العلم الحديث يرى ان العبقرى فرد يسمو فوق غيره سموا بحسب المقاييس والاختبارات المعروفة أو الذكاء المفرط .

وعاود (فريد وجدى) تفسير وجهة نظره فقال : ان العلماء يقررون أن العبقرية قوة خارقة للعادة وانها أرفع قوة عقلية مولدة للابتكار ومحدثة للانقلابات العلمية والفلسفية والفنية والاجتماعية. وأعاد ترجمة عبارة دائرة المعارف البريطانية التى استشهد بها أمير بقطر فقال انها ليست (اسمى مقدرة أصلية) ولكنها « أسمى مقدرة مولدة للابتكار » كما أعاد ترجمة عبارة دائرة لاروس الفرنسية وفسرها على النحو الذى يؤيد وجهة نظره . وخلص من ذلك الى التفرقة بين العبقرية والذكاء أو العبقرية والالتماع فقال : ان كلمة عبقرية تعنى صلاحية سامية فطرية لدراسة موضوع من المواضيع

فهى خصيصة تصويرية وابداعية فى جوهرها ، ومن هنا فهى على الدوام خصبة ومولدة للجديد ، تستطيع الدراسة تسـهيل ظهور العبقرية ، ولكنها لاتستطيع أن توجدها خلافا للألمعية ، فانهـا صلاحية تكتسب بالدرس والاعتمال الارادى لخصـائص من رتبة عقلية على وجه عام ، وعليه فان بين العبقرية التى ديدنهـا الخلق والاكتشاف وبين الألمعية التى تقتصر على التنظيم والترقية تفاوتا من ناحية ثمراتهما وتخالفا فى طبيعتهما ٠

وعاد (فريد وجدى) فلخص رأيه فى العبقرية فقال ان أخص مميزاتها أنها تولد مع بعض الأفذاذ وان التربية العقلية تسـاعد على ابرازها ولكنها لاتوجدها ٠ وانهـا قوة غير مفهـومة وخارقة للعادة ، وخارجة عن سلطان النواميس الطبيعية ، وانها تختلف عن « الألمعية » فى النوع ، وأن عمل الألمعية لا يتجاوز تنظيم ما هـو موجود وترقيته ؛ ولكن العبقرية توجد ما لم يكن موجودا ، أو تفتح آفاقا جديدة فيما يتصدى له صاحبها ، وان العبقرية حالة خاصـة لا سبيل للعلم الى فهمهـا . انها المقدرة التى تستخدمها الطبيعة لابراز الأمور التى لا يستطيع العقل العادى ان يبرزها ، وانهـا لا تعلو على الفهم لأنها مظهر الانسانية نفسها لا مظهر القوة الادراكية فيه ٠

« مؤلفاته وآثاره المكتوبة »

لفريد وجدى ثلاثة أعمال كبرى (مؤلفاته) وصحفه ومقالاته المتنوعة

١ ـ مؤلفاته :

١ ـ الفلسفة الحقة : بدائع الأكوان (١٣١٣ هـ ـ ١٨٩٦ م) مطبعة عبد الرازق ·

٢ ـ تطبيق الديانة الاسلامية على النواميس المدنية (١٣١٦هـ ـ ١٨٩٩ م) المطبعة العثمانية ·

٣ ـ الحديقة الفكرية فى اثبات وجود الله بالبراهين الطبيعية (١٣١٨ هـ ـ ١٩٠١ م) مطبعة الترقى ·

٤ ـ المرأة المسلمة (١٣١٩ هـ ـ ١٩٠٢ م) مطبعة الترقى ، الطبعة الثانية ١٩٠٥ م والطبعة الثالثة ١٩٢٠ مطبعة هندية ·

٥ ـ الاسلام ، فى عصر العلم (١٣٢٠ هـ ـ ١٩٠٣ م) جزء أول بمطبعة الترقى وجزء ٢ صدر ١٩٠٥ مطبعة الشعب ·

٦ ـ كنز العلوم واللغة ١٣٢٢ ـ ١٩٠٥ والطبعة الثانية ١٩١٦ مطبعة الواعظ ·

٧ ـ دائرة معارف القرن الرابع عشر والعشرين الميلادى (طبعة

أولى ١٩١٠ ــ ١٩١٨) وطبعة ثانية ١٩٢٣ (عشرة أجزاء) ٠

٨ ــ المدنية والاسلام : وهو كتاب تطبيق الديانة الاسلامية ١٣٢٢ ــ ١٩٠٤ الطبعة الثانية ١٩١٢ مطبعة هندية ٠

٩ ــ صفوة العرفان فى تفسير القرآن ومقدمة طبع حجر مصر (١٣٢٣ هـ ــ ١٩٠٥ م) طبع باسم المصحف المفسر ١٩٢٥ مطبعة (دائرة معارف القرن العشرين) تم طبعه بمطابع الشعب سنة ١٣٧٧ هـ ٠

١٠ ــ الوجديات مقالات خيالية فى سبيل الدين واللغة والوطنية (١٣٢٨ ــ ١٩١١ م) مطبعة الواعظ الطبعة الثانية ١٩٢٨ ٠

١١ ــ مجموعة الرسائل الفلسفية (الرسالة الأولى) (١٣٣٣ هـ ــ ١٩١٦ م) (فى معترك الفلسفتين المادية والروحية)٠

١٢ ــ كتاب المعلمين (منهج الدراسة لوزارة المعارف) (١٣٣٥ هـ ــ ١٩١٨ م) مطبعة دار المعارف ٠

١٣ ــ على أطلال المذهب المادى (مطبعة دائرة المعارف) ١٩٢١ ثلاثة أجزاء ٠

١٤ ــ دستور التغذى ١٩٢١ ٠

١٥ ــ نقد الشعر الجاهلى ١٩٢٦ مطبعة دائرة المعارف ٠

١٦ ــ الاسلام : دين عام خالد ــ ١٩٣٢ مطبعة دائرة المعارف ، وأعادت دار الهلال طبعه تحت اسم الاسلام : دين الهداية والاصلاح سنة ١٩٦٢ .

١٧ ــ الادلة العلمية فى جواز ترجمة القرآن ١٩٣٦ مطبعة الرغائب ٠

وله رسالة (سفير الاسلام الى سائر الاقوام) نشرها ١٣٢٣هـ ـ ١٩٠٧ ولم أجدها فى دار الكتب (وقد تفضل بارشادى اليهـا المهندس محمد توفيق أحمد) ٠

١٨ ـ اللورد كرومـر والاسلام (صدر ١٩٠٧) ولم يوجد فى دار الكتب ٠

٢ ـ صحفه ومجلاته :

الحياة : صـــدرت عام ١٨٩٩ ـ ١٩٠٠ ثم توقفت وعادت للصدور سنة ١٩٠٦ ، ١٩٠٧ وتوقفت وعـادت للصدور ١٩١٤ ـ ١٩١٥ ٠

الدستور : صدر فى ١٦ نوفمبر ١٩٠٧ وتوقف سنة ١٩١٠ ثم اعيد ١٩٢٢ ٠٠ واستمر يصـــدر كجريدة أسبوعية حتى عام ١٩٣٣ ٠

الوجديات : صدرت عام ١٩٢١ ـ ١٩٢٢ ٠

٣ ـ مقالاته المختلفة :

توزعت على عدد من الصحف والمجلات ومن أهمها :

مجلة المجـــلات العربية ١٩٠٦ ـ المقتطف ١٩١٩ ـ الأهرام (من ١٩٣٠ ـ ١٩٤٦) الهلال ١٩٢٩ ـ ١٩٤١ ـ كل شىء ١٩٣٠ ـ ١٩٣٥ ـ المعرفة ١٩٣١ ـ ١٩٣٢ الأخبـار ١٠ أغسطس ١٩٢٤ ـ الرابطة العربية (أكتوبر ٣٦ ويوليو ٣٨) البـــلاغ (أغسطس وسبتمبر ١٩٣١) ـ الرسالة م ١٩٤٥ ٠

البريد الاسلامى (١٩٤١ ـ ١٩٥١) ٠

٤ ـ مجلة نور الاسلام (الأزهر فيما بعد) من ١١ سـبتمبر ١٩٣٣ الى فبراير ١٩٥٢ ٠

المراجع

١ ـ الاعلام (الزركلى) ٠

٢ ـ أعلام المؤلفين (كحاله)

٣ ـ معجم المطبوعات (سركيس)

٤ ـ أوقات الفراغ (هيـكل)

٥ ـ أشهر مشاهير أدباء الشرق (محمد عبد الفتاح)

٦ ـ النثر العربى المعاصر فى مائة عام (أنور الجندى)

٧ ـ المعارك الأدبية (أنور الجندى)

المقتطف ١٨٩٩ ، ١٩٠٣ ، ١٩١٩ ، ١٩٢١ ٠

المصور (نوفمبر ١٩٥٣)

الرسالة م ١٩٣٥ (رسالة رشيد رضا الى عبد القادر المغربى)

البلاغ سبتمبر ١٩٣٦ وما بعده

المنار ١٨٩٩ ، ١٩٠١ ، ١٩٠٧ ، ١٩٣٣ ٠

مصر الحديثة المصورة م ٣

الحديثة (الحلبية) ١٩٢٩ و ١٩٣١

الأهرام : الأهرام ١٦ ، ١٩٥٤/٢/١٧ (محمد عبد الغنى حسن) ١٩٥٤/٣/١٧ (أبو الوفا المراغى) (يناير ١٩٣٢ وما بعده) معاركه مع التفتازانى ٠

١٩ سبتمبر ١٩٢٢ و ٨ ابريل ١٩٢٥ (دائرة المعارف)

(سبتمبر ١٩٣٣ وما بعده) معاركه مع مصطفى صبرى
(أكتوبر ١٩٣٣ وما بعده) معاركه مع رشيد رضا
الفتح : ٣ (١٩٢٩)
م ٦ (١٩٣٢) معاركه مع محب الدين الخطيب و م ٧ (١٩٣٣)
م ٨ (١٩٣٤) معاركه مع شكيب ارسلان .
العرفان م ٤
مجلة المجلات العربية ١٩٠٢ طاهر الطناحى
كل شىء : أحاديث لطاهر الطناحى معه ١٩٣٠/١٩٣١/١٩٣٢/١٩٣٣/١٩٣٤/١٩٣٥ .
المقتبس : ١٩٠٧ .
الشبهات (م ٩) سنة ١٩٣٣
الهلال م ١٩٣٥
مجلة الهداية الاسلامية م ١٣٤٧ هـ
كوكب الشرق ١٢ اكتوبر ١٩٢٦
البريد الاسلامى (مايو — يونيو ١٩٤٩)
المصرى ١٩٥٤/٤/١ (عبد الحميد جلال)

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
رقم الايداع بدار الكتب ٤٩٠٥/١٩٧٣